بيار روفايل

صرخة الاستقلال

صرخة الاستقلال.

تاريخ لبنان،

صفحات مجيدة من البطولة والشجاعة والتضحية والإقدام والاستشهاد.

فقد كتب اللبنانيون تاريخ لبنانهم المجيد بدمائهم الزكية.

وكان اللبناني، وما زال، وسيظلّ يثور ويجاهد ويدافع ويستشهد من اجل لبنان، من اجل الحرية والكرامة والاستقلال.

وما صرخة الاستقلال إلا صفحة مشرقة من تاريخ هذا الجبل الأشمّ، مهد الكرامة المئناف، والبطولة الشماء والشرف الاثيل.

صرخة الاستقلال

روفائيل بيار

صرخة الاستقلال

دار الجيل
بيروت

جميع الحقوق محفوظة
لدار الجيل
الطبعة الثالثة
١٩٩٠

المقدّمة

هذه القصة واقعية ، بدأت حوادثها في مطلع فجر الاستقلال فكانت حوادث غريبة عجيبة .

وقد روت لي هذه القصة سيدة من سيدات السياسة والمجتمع في لبنان ، سيدة رافقت كبار رجال السياسة والدبلوماسية والصحافة والمال والاقتصاد ، فوقفت على اسرار عميقة يجهلها حتى كبار رجال السياسة .. والمرأة لم تكن يوما غير بئر عميقة الغور تخفي بين حناياها الاسرار الغامضة الخفية .

وكتبتُ ما روت لي السيدة سميرة نجار «وهو الاسم المستعار للسيدة س. ن.» بكل امانة واخلاص . الا انني ابدلت بعض الاسماء الحقيقية الواردة في هذه القصة باسماء خيالية رغبة مني في المحافظة على كرامة بعض الذين فضحتهم السيدة سميرة في ما روت ، لاسيما ومنهم ما زال على قيد الحياة يتربع في مقام رفيع مرموق .

هذه القصة اذن ، مذكرات ، مذكرات امرأة رائعة الجمال ، عاشت فجر حياتها في فجر الاستقلال فتعرفت الى كبار رجال البلاد ، والى بعض رجال الانتداب .ووقفت على اسرار رهيبة تنشر للمرة الاولى .. وجمعت هذه المذكرات فكانت هذه القصة .

بيار روفايل

الفَصْل الأول

العذاب والحرمان

الزمان ، عام ١٩٤٢ ،
ونيران الحرب الضروس تلتهم العالم ،
والحلفاء يملأون الارض بدعاياتهم ،
والجيوش الالمانية تحاول ـ دون جدوى ـ السيطرة على العالم .

ونحن هنا في لبنان نعيش حياة هانئة سعيدة ، لا يقلقنا سوى خوفنا من المجاعة التي ذقنا مرارتها خلال اعوام الحرب الاربعة السابقة : «الحرب الكبرى» ، والفرنسيون، المنتدبون، «الديغوليون» ، يمدون سلطانهم على لبنان ، ويحاولون السيطرة التامة عليه ، حينا بانتزاع صلاحيات رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء ، واحيانا بفرض رقابة شديدة على الاحزاب ورجال المال

والسياسة والصحافة والاقتصاد .

وكان والدي ، وهو رجل سياسة معروف ، ونائب في المجلس النيابي ، يخشى ان ينتهي الامر بلبنان الى ان يصبح مستعمرة فرنسية ، لان الحال كانت خطرة ، والحرب التي تلتهم العالم تهدد الدول الصغرى بعواقب مروعة لا يعلم الا الله ماذا ستكون نتائجها .

وكنت يومذاك في الثانية والعشرين من العمر . كنت اعيش مع والدي ووالدتي وشقيقي في قصرنا الفخم في ضواحي بيروت .

ولم اكن لأعير القضايا السياسية أقل اهتمام .

كنت مثل كل فتاة تدرج في العشرين من العمر ، ارى الدنيا بأسرها حبا وعشقا وغراما .

وكنت قد تركت مدرسة اللاييك الفرنسية منذ سنة واحدة واندفعت في مدارج الحياة اعيش ببذخ ولهو واسراف .

والحقيقة هي اننا في لبنان ، لم نكن نشعر بان هناك حربا قائمة في العالم ، لولا بعض الجنود الفرنسيين والبريطانيين الذين كانوا يعيشون في بلادنا او يمرون فيها .

كان صيف ١٩٤٢ قد بدأ ينشر وشاحه على بيروت . وأطل تموز على لبنان بحره الملتهب الانفاس ، فرأت

والدتي ان نبكر في الصعود الى منزلنا في بحمدون ، ورأى والدي ان يبتعد عن جو العاصمة لأن الجو السياسي كان مدلهما قاتما .

وصعدنا الى الجبل في الثاني من شهر تموز .

ولم اكن مرتاحة للابتعاد عن بيروت ، وفيها صديقتي الحميمة آمال نصري التي كانت رفيقتي في معهد اللاييك. وقد تركنا المعهد معا في سنة واحدة بعد ان فشلنا سوية في امتحان شهادة البكالوريا .

كما يوجد في بيروت ايضا الاستاذ نسيب شهوان الذي كان يدللني ويغدق عليّ الالقاب ، فيناديني حينا «ست الحسن» واحيانا «ام العيون الشهل» .

والاستاذ نسيب محام مشهور ورجل سياسة وعلم وذكاء وله صلة وثيقة برجال الانتداب وبالبريطانيين الذين كانوا يتمركزون في لبنان .

وكان صديق العائلة يزورنا من حين الى اخر .

وكنت ارتاح لنظراته الملتهبة ، وكلما لمست يده يدي اشعر بالنار تندلع من بين اصابعه لتحرق اصابعي ، بالرغم من ان ثمة فرقا شاسعا بين عمرينا . فأنا في مطلع العقد الثالث «٢٢ سنة» وهو قد اجتاز الاربعين ، ومع ذلك فقد كان يسمعني كلمات الغزل كلما خلا بنا مكان .

وكنت ارتاح كل الارتياح للاستماع الى تلك

الكلمات الحلوة العذبة الشجية ..

وفي بيروت أيضا بعض أبناء الوزراء والنواب والسياسيين والاثرياء وبينهم أكثر من صديق ورفيق ...

وصلنا الى بحمدون والشمس قد توسطت كبد السماء ، فانصرفت مع امي والخادمة حسيبة الى تنظيف الدار وترتيبها .

اما والدي فقد جلس في مكتبه يراجع بعض الكتب القانونية .

وقفل اخي غسان عائدا الى بيروت في سيارتنا الخاصة التي كان يقودها احيانا بنفسه ..

وكنت اعلم ان اخي على علاقة غرامية بفتاة فرنسية تعرف اليها على البلاج اسمها جوليات ، وهي ابنة موظف فرنسي كبير في دار الانتداب .. وكنا نضحك منه احيانا فنسأله «كيف حال جوليات يا روميو ؟»

وانقضى النهار فاذا بي متعبة مرهقة .

وقبل ان نتناول العشاء دخلت غرفتي وهممت بنزع ثيابي لأرتدي ملابس النوم ، الا ان امي دخلت علـيّ لتقول : «لقد حضر الاستاذ نسيب لقضاء السهرة عندنا ، وهو يسأل عنك» ..

وهمست : «اني قادمة» .

قلت هذا ، واسرعت الى المرآة استعرض جمالي

واتبرج ، فأنا اريد ان ابدو جميلة امام الاستاذ نسيب ..
وقد نسيت تعبي وذهب عني العياء . وخرجت من الغرفة بعد ان اطمأننت الى اناقتي، فاذا بالاستاذ نسيب يستقبلني بضحكته العريضة الزاهية ويتمتم : «اهلا بست الحسن».

وصافحته ، فشدت اصابعه اصابعي ـ كعادته ـ وهمس : «أهكذا تهربين مني ؟»

قلت : انا اهرب منك ؟ ومن هي تلك التى تستطيع ان تهرب منك ؟

واجاب ضاحكا : «انت» .

ودعاني للجلوس قربه .. فجلست .

وهمس في اذني : انت جميلة الليلة يا سميرة .

قلت : الليلة فقط ؟

قال : لا .. الليلة وكل ليلة. انت فاتنة.. عيناك .. شفتاك .. شعرك .. عنقك .. كل ما فيك يطفح بالروعة والفتنة والجمال .

وارتحت كل الارتياح وانا اسمع كلمات نسيب .

واي فتاة لا تطرب لمثل هذه الكلمات الشجية السمحاء ؟

وكنا وحدنا . كان ابي لا يزال في غرفته ، وكانت امي قد دخلت الى المطبخ لتهيىء الطعام ، بعد ان تأكدت من ان الضيف سيتناول العشاء عندنا .

فاغتنم نسيب الفرصة واطبق يديه الاثنتين على يدي يشدهما ، ويقول بصوت خفيض : «ماذا فعلت بي» ؟

وضحكت •• وقلت : لم افعل بك شيئا •

قال : «جننتيني» !

قلت : «بتستاهل» •

وضحكنا •••

قال : انت ستأخذين بثأر جميع النساء اللواني عذبنهن في حياتي •

قلت : ليتني استطيع ذلك •

وهمس : اسمعي يا سميرة •• انت ستدلفين الى بيروت غدا •• اليس كذلك ؟

قلت : لماذا تسألني هذا السؤال ؟

قال : اريد ان تتناول طعام الغداء معا !

قلت : لا •• دع ذلك لمناسبة اخرى •

قال : سأنتظرك في مكتبي الساعة الحادية بعد الظهر •• سأنتظرك •

وأطل والدي مرحبا بصديقه الحميم •

وجلس يتحدث اليه بعض احاديث السياسة •

ونهضت لادخل المطبخ وأساعد امي والخادمة حسيبة في اعداد الطعام •

وتناول نسيب الطعام معنا تلك الليلة ، وشرب

نخبي ، وامطرني بوابل من الالقاب ..

وفيما هو يودعنا عند منتصف الليل ، شد على يدي قائلا : «سأنتظرك» .

وضحكت ..

وعزمت على ان لا اذهب اليه .

انا لن اشخص الى بيروت غدا .. فلينتظر ما يطيب له الانتظار ..

ولكن حصل في اليوم التالي ما لم اكن انتظره .

فقد اتصلت بي صديقتي آمال نصري هاتفيا من بيروت ، في الساعة الثامنة صباحا طالبة الي ان احضر اليها على جناح السرعة .

وحاولت الاعتذار ، الا انها اصرت ، ورجتني ان ألبي دعوتها ، لأن ثمة ما يهمني ويهمها معا .

ونزلت عند إلحاحها .

وطلبت الى والدي ان يصطحبني معه الى العاصمة ، مدعية انني نسيت بعض الاغراض في دارنا .

ولم يكن والدي ليرد لي طلبا ، قال : اسرعي في ارتداء ثيابك ، لانني على موعد مع شخصية كبيرة .

ارتديت ثيابي على عجل ..

واسرعت مع والدي الى السيارة، فطارت بنا يقودها السائق نجيب .

ووصلنا الى دارنا ، فترجلت من السيارة •

وقال والدي : سأعود عنـد الظهر لاصطحبك الى بحمدون •

قلت : لا •• لا تعـد •• انا سأعود مـع صديقتي آمال نصري في سيارتها ، لانني مدعوة للغداء عندها •

قال : كما تريدين ••

ودخلت الى الدار لأتصل هاتفيا بآمال ، التي هتفت: من اين تتكلمين يا سميرة ؟

قلت : من دارنا في بيروت •

قالت : انا باتنظارك •• اسرعي •• اسرعي •

قلت ، وقد اثارت آمال فضولي : ما بك يا آمال•• هل هناك ما يدعو الى القلق ؟ لقد اقلقتني يا اختي •

وهمست صديقتـي عبر الهاتف : لا • اطمئنـي • ليس هناك ما يقلق الخاطر • انا باتنظـارك • تعالي الي وستعرفين كل شيء •

قلت : انني قادمة ••

واستقللت سيارة تاكسي ، نقلتني الى دار آمال التي كانت باتنظاري امام الباب ، فأمسكت بيدي لتقودني الى غرفتها وتوصد وراءنا الباب ••

وقلت لها ، وقد اصبحنا وحدنا في الغرفة : ما بك يا آمال ؟ ماذا حدث ؟

قالت : اجلسي •

وجلست هي على السرير ، فجلست قربها وأمسكت بيدي لتقول :

ــ انا واقعة في مأزق يا اختي ، واريد منــك ان تنقذيني ••

قلت : قولي لي ما هو هذا المأزق اولا كي استطيع ان احدد موقفي ، وان اعلم اذا كنت استطيع انقاذك •

قــالت : اسمعي يــا سميرة • انت تعرفــين علاقتي بشفيق ، وتعرفين انني احبه ، وهو يحبني ، واننا تعاهدنا على الحب والوفاء والزواج •

والحقيقة هي انني كنت اعلم ان آمال ــ وهي ابنة رجل غني جدا ــ كانت علــى علاقة غرامية عنيفة بالشاب شفيق ايوب ، وهو نجل موظف صغير في الدولة • وقــد اصبح الان شفيق موظفا كبيرا جدا في الدولــة ، فقلت : اعرف •• اعرف كل شيء عن علاقتكما •

قالت : وتعلمين ان مقام شفيق دون مقــامي ، وان الفرق شاسع ، بعيد بين مقام والدي وبين مقام والده •

قلت : نعم •• اعرف كل هذا •

قالت : وتعلمين ان علاقتي بالشاب سر لــم يكتشفه احد •

قلت : اعلم كل هذا •• وبعدئذ ماذا تريدين مني ؟

قالت : لقد اكتشف والدي علاقتي بشفيق وهـدد وتوعد وسجنني في الدار وابى ان يسمح لي بالخروج •

فوجمت ، وقلت : يا لك من بلهاء ، اهكذا تتركين لوالدك مجال اكتشاف اسرارك ؟ اخبريني كيف استطاع ذلك ؟

قالت : الحقيقة ان والدي لم يكتشف السر • ولكن امي هي التي وقفت على علاقتي به ، وحملت الخبر الى والدي •

قلت : وكيف استطاعت امـك ان تقف علـى هذه العلاقة ؟

قالت : دهمتني واياه في هذه الغرفة •

فوجمت ، وهمست : يا مجنونة • هل احضرته الى هنا ؟

قالت : اجل ، كان والدي في عمله ، وقـد خرجت امي من الدار لزيارة احدى صديقاتها ، فاتصلت به هاتفيا ودعوته للحضور ، مغتنمة فرصة غياب والدي • وما ان خلوت به ، حتى عادت امي فجأة لتدهمني مـع شفيق هنا على هذا السرير • لم تجد صديقتها في دارها ، فعادت توا • انه حظي السيء المشؤوم يا سميرة •

قلت : وهل اخبرت والدك كل شيء ؟

قالت : لا • لم تخبره كل شيء • لم تقل له انهـا

دهمتنا بالجرم المشهود ، بل اكتفت بان اخبرته انني على علاقة به • وغضب والدي غضبا شديدا • وهدد وتوعد ومنعني من ان اخطو خطوة خارج المنزل •

قلت : انك بلهاء • هل هناك فتاة عاقلة تحضر حبيبها الى دارها وتخلو به في غرفة نومها ؟

قالت : هذا ما حصل ، وليس لنا الان الا ان تنقذيني من هذه الورطة يا سميرة •

قلت : ولكن كيف استطيع انقاذك ؟

قالت : اسمعي • بعد قليل سيحضر والدي •• ستطلبين منه ان يسمح لي بمرافقتك الى الجبل •

قولي له : «ارجوك ان تسمح لآمال بان تذهب معي الى بحمدون •• سنذهب الان ونعود معا غدا» •

ان والدي يحبك يا سميرة وهو لن يرفض طلبك •

قلت : انني لأتمنى ان ترافقيني الى بحمدون يا آمال • ولكن ماذا سيفيدك ذهابك معي ؟

قالت : اريد ان ارى شفيقاً •

قلت : واين ؟

قالت : كل ما اطلب منك هو ان تخرجي بي من هنا ، ودعي الامر الي بعدئذ •

كان همها الوحيد ينحصر في مشاهدة حبيبها •

كانت تخشى ان يفلت من يدها •

تخاف ان تفقده .

فهي تحبه حبا هائلا شديدا ولا تطيق البعاد عنه .

قلت : كرمت عينـاك . اطمئنـي ، سأقنع والـدك وسنخرج معا ، ولكن بشرط .

قالت : ما هو ؟

قلت : تذهبين معي الى بحمدون .

قالت : اقابـل شفيق . ثـم ارافقك في المساء الى بحمدون .

وأقمنا ننتظر عودة والدها الى الدار .

ولم يطل انتظارنا .

زهاء ساعة ، وعاد والد آمال .

فوثبت اليه ارجوه ان يسمح لابنتـه بمرافقتي الى بحمدون ..

ورفض الوالد طلبي في بادىء الامر ، الا ان والدتها ساعدتني عليه .

فقالت له : لا بأس ، فلترافق سميرة وتعـود واياها صباح غد .

واخيرا ، ونزولا عند إلحاحي ورجاء زوجته ، وافق الرجل على طلبي .

ولكنه اشترط علي ان اعود بهـا في صباح اليوم التالي .

وقال لي : انت مسؤولة عنها ••

اجبت : اجل ، انا المسؤولة يا سيدي •

وخرجنا من الدار •

واستقللنا سيارة الى دارنا •

وقالت لي : سأتصل به هاتفيا من داركم وادعوه للحضور ، وسأخلو به في غرفة نومك •

فضحكت ، وقلت لها : لقد دهمتك والدتك واياه في غرفة نومك ، وسيدهمك والدي معه في غرفة نومي •

قالت : وهل سيعود والدك الى الدار الان ؟

قلت : من يدري • قد يقوده حظك السيىء إلينا •

فضحكت، وهمست : قد تكونين على حق يا سميرة•

واتصلت آمال هاتفيا بشفيق ، ودعته للحضور فوراه الا ان شفيقا ابى الحضور الى دارنا •

قال : لا يا آمال •• لا • لن اخلو بك في دار صديقتك سميرة • اتريدين ان تتكرر الفضيحة ؟ اتريدين ان تدهمنا امها او والدها او شقيقها ؟ لا • اذا كنت تريدين الاجتماع بي ، فوافيني الى دارنا ، ففي دارنا ستكونين في مأمن • ان والدي ووالدتي في الجبل ، وانا وحدي هنا • سأكون بانتظارك بعد نصف ساعة • سأترك عملي بعد برهة ، واوافيك الى هناك •

قالت : لا بأس ، بعد نصف ساعة اكون عندك •

وألقت بسماعة الهاتف من يدهـا . واستلقت علـى المقعد الرجراج الوثـير لتشعل لفافـة تنفث دخانهـا في الفضاء وتهمس : سترافقينني الى داره يا سميرة .

قلت : ومتى سنصعد الى بحمدون ؟

قالت : في المساء . اطمئني . لن ادعـك تذهبـين وحدك الى المصيف . سأكون ضيفتك الليلة .

وبعد نصف ساعة ، كنت مع آمال نطرق دار شفيق في محلة المصيطبة .

وفتح الشاب الباب ، فارتمت رفيقتي بين ذراعيه ..

وضمها الى صدره برفق وحنان، وهمس : يا حبيبتي.

ووقفت انظر اليهما بلهفة وحنين ...

وجلسا على مقعد رجراج وثير .

فجلست بعيدا عنهما ..

وغرقا في يم من الشوق والحب والعناق .

وضاعا ..

ونسيا انني موجودة بقربهما وانني اشاهدهما ..

وكدت انا اضيـع ايضا معهما ، امـام ذلك المشهد الغرامي العنيف .

فرأيت ان انسحب واعود الى دارنا ..

ووقفت اقول لآمال: انا سأنتظرك في دارنا يا آمال.

فانسلخت آمال عن شفيق ، وهمست : سأكون عندك

بعـد ساعتين • انتظريني يـا سميرة • سنصعد معا الى بحمدون •

وخرجت مـن تلك الدار ، وانا لا ازال اراهما في عناقهما ، بعين الخيال ، وصدى قبلاتهما يتكسر في اذني•

وصعدت الى سيارة تاكسي ، وطلبت الى سائقها ان يوصلني الى دارنا •

الا انني تذكرت ، وانا في الطريق ، الاستاذ نسيب شهوان الذي دعاني الى تناول طعـام الغداء معه ، وكنت قد عزمت على ألاّ اوافيه •

اما الان فامامي ساعتان ، وربما ثلاث ساعات •

ان آمال لن تخرج من دار شفيق قبل ساعتين ، فاين سأقضي هذا الوقت ؟

اين ؟

مع نسيب • سأشخص الى مكتبه، وأدعي انني جئت من بحمدون لأتناول طعام الغداء معه •

وقلت للسائق : سر بي الى شارع اللنبي •

فابتسم ابتسامة مكر ودهاء ، وقد ادرك انني فـي طريقي الى موعد غرام •

وأدار مقـود السيارة ليسير بي في طريـق شارع اللنبي •

وطلبت اليه ان يوقف السيارة امـام البنايـة التي

يحتلها مكتب الاستاذ نسيب •

وترجلت منها ، وأسرعت بالدخول الى مكتب المحامي الكبير •

واستقبلتني «السكرتيرة» بابتسامة واهية صفراء • كانت هـذه الفتاة جميلة ، وفي مثـل عمري ، ولم تكن ترتاح لزياراتي ، فكانت دائما تستقبلني بفتور •

وقالت لي : الاستاذ نسيب موجود ، ولكنه يستقبل الان احد رجـال السياسة • هـل تستطيعين ان تنتظري برهة في قاعة الاستقبال ؟

قلت : سأنتظر • ولكن قولي له انني هنا •

فنهضت لتدخل الى غرفتـه ، وتغيب زهـاء خمس دقائق ، ثم تعود فتقول لي : تفضلي •

ودخلت ••

وكان نسيب جالسا وراء مكتبه ، وقد جلس امامه على مقعد وثير احد كبار رجال السياسة المعروفين •

ولاح لي انهما يتحدثان بامور سياسية هامة ••

ونهض نسيب يرحب بي ترحيبا شديدا •

ورحب بي ايضا رجل السياسة • وهو يعرفني تمام المعرفة ، وانا اعرفه من خلال زياراته لوالدي •

وجلست ، وتمتمت : قـد اكـون قطعت عليكما حديثكما •

قال رجل السياسة المعروف : ابدا ، على كـل انا استأذن الان لانني على موعد .

قال هذا ، ونهض ليودعنا ويخرج ..

وما ان خلا بنا المكان ، حتى وثب نسيب الي يدغدغ ذقني ويقول : الان تأكدت من انك تحبينني ..

فضحكت وهمست مازحة : احبك كما احب بابا .

فقهقه وتمتم :«الله يلعنك...»

وامتدت يده تداعب شعري ، ليهمس : انت رائعـة يا سميرة .. والله العظيم رائعة .

قلت : غصباً عنك .. الجميع يشهدون بجمالي .

قال : وشهادتي تساوي مئات الشهادات ، لانني خبير في امور الجمال واصوله .

قلت : انا جائعة ، هل دعوتني لتناول الطعـام ، ام لتناول كلمات الغزل والثناء ؟

فتمتم : «تسلميلي» .. تفضلي .. سنذهب .

وخرجنا معا .

وحانت مني التفاتة الى السكرتيرة ونحـن نخرج فشاهدتها ترمقني بنظرة ملؤها الحقد والحسد والرغبة في الانتقام .

وهمست في اذن نسيب ، وقد صعدنا الى سيارته الفخمة الانيقة : ما بها سكرتيرتك تنظر الي نظرات غريبة ؟

قال : «بتغار منك» •
قلت : يبدو أنها تغار عليك •
فأجاب ضاحكا : «خليها تجن ••»
ثم قال للسائق : سر بنا الى الروشة •
وانطلقت السيارة بنا الى محلة الروشة •
ولم تكن هذه المنطقة يومذاك ، عـام ١٩٤٢ ، مثلها اليوم •
كانت مقفرة قاحلة •• يجثم فيها على كتف البحر ، بعض المقاهي والمطاعم المتواضعة ، وينتصب بعيـدا عنها بعض القصور القديمة ، وما بقي فصخور ورمال وبساتين•
الا ان حركة العمران كانت قد بدأت تبرز ، فكان هناك بعض «الشاليهات» وثلاث او اربع «ورشات» عمار•
وخيل الي ان نسيباً سيدعوني لتناول طعام الغداء في احد المطاعم الصغيرة الجاثمة على الشاطىء ، الا انني دهشت عندما توقفت السيارة بنا امـام «شاليه» حديث البناء، يشرف على البحر وتنبسط امامه الصخور والرمال••
وترجل من السيارة وتمتم :
ــ تفضلي ••
قلت : الى اين ؟
قال : تفضلي ، تفضلي •
وترجلت من السيارة ••

وترجل السائق ليسرع الى باب «الشاليه» فيفتحه..
ودخلنا فاذا بي امام منزل صغير ، ولكنه انيق جدا .
كان هناك «صالون» صغير ، وغرفة نوم انيقة . وقاعة طعام صغيرة ، ولكنها جميلة .

وقلت لنسيب : ماذا جئنا نعمل هنا ؟

قال : سنتناول طعام الغداء .

قلت : ولماذا لا نذهب الى المطعم ؟

فابتسم ، وهمس : اريد ان نكون وحدنا ..

قال هذا ، والتفت الى سائق سيارته ليقول له : اذهب الى المطعم ، وقل لأبي عبد ان يحضر لنا غداء فاخرا. وذهب السائق .

وجلس نسيب على مقعد وثير في الصالون. وقال : اجلسي .. هنا .. هنا قربي .

وجلست قربه ، فأمسك بيدي يشدها ويقول : هل اعجبتك هذه «الشاليه» ؟

قلت : رائعة .

قال : تستطيعين ان تأتي الى هنا ساعة تشائين ، انت وصديقاتك .

قلت : شكرا .

وشدت يده يدي فسحبتها ، وقد بدأت اشعر «بالخطر» .

فهمس : هل تخافين مني ؟

فضحكت وقلت : انت بمثابة ابي • هل اخاف من ابي ؟

فابتسم وقال : «بلاها» • دعينا الان مـن ابيك • اريد ان انسى ، وانا معـك ، الفرق الشاسع بـين عمري وعمرك •

فنهضت لأقول : دعنـا نخرج الى الشرفة • الطقس حار هنا •

وخرجنا الى الشرفة ، نمتـع انظارنا بجمـال البحر وهدوء امواجه •

ولم يلبث ان عاد السائق ليقول : بعد قليل سيكون الطعام هنا يا سيدي •

قال نسيب : اذهب انت الان ، ولا تعد قبل الساعة الرابعة •

فقاطعته قائلة : لا •• اريد ان اعود بعد ساعة •• ساعة واحدة فقط •

قال نسيب للسائق : «طيب» عد الساعة الثالثة •

قلت : لا بعد ساعة • ساعة واحدة •

فالتفت نسيب الى السائـق ليقول له : طيب ، بعد ساعة •

قال هذا وغمزه كأنه يقول له : «لا تعد» •

وشاهدته ، فقلت له برجاء : انا على موعد بعد ساعة

يا نسيب • ارجوك • قل له ان يعـود بعد ساعة واحدة فقط •

قال : ايكون موعدك مع شاب ؟

قلت : لا وحياتك •

وخرجت كلمة «وحياتك» عفوا من بين شفتي •

فأمسك بيدي وهمس :«قوليها مرة ثانيـة»•• هل تهمك حياتي ، فتقسمين بها ؟

وشعرت بيـده تداعب اصابعي ، وبعينيه تلهبـان عيني ، فصبغ الخجل وجنتي ••

وافلت يده من يدي •

والتفت الى السائق ليقول :

ـ اذهب الى مطعم ابي عبد ، وتناول طعام الغداء هناك ، وانتظر «تلفونا» مني • سأتصل بك هاتفيا عندما نريد الذهاب •

وذهب السائق ••

وبعد قليل ، اقبل خادم المطعم يحمل الينا الطعـام ليمده فوق المائدة ويعود ادراجه •

وشخص نسيب الى «بار» صغير ليخرج منه زجاجة ويسكي ويعود ••

وجلسنا نتناول الطعام ونشرب الويسكي ••

وشربت كأسا •• كأسا واحدة •

وحاولت الاعتذار عن المضي في الشرب ، الا ان نسيبا صب الكأس الثانية قائلا : اشربي .. بصحتك .

وشربت ..

ورحنا تتحدث ونحن تتناول الطعام ونحتسي الخمر

وراح نسيب يمازحني ويتودد الي ..

وهو محدث لبق ، خفيف الظل ، يحب المزاح ، ويتقن النكتة ، ويستطيع ان يخلق جوا رائعا من الانسجام مع محدثيه ..

واستطاع بموهبته هذه ان ينسيني موعدي مع امال .

وعندما انتهينا من تناول الطعام ، نهض ونهضت .

ودخل الى غرفة النوم وناداني اليه : سميرة .. تعالي .

ودخلت الى الغرفة وانا ضائعة .

لم اكن افكر بما سيكون .

كنت مرحة فرحة .

فالويسكي التي شربتها دفعت البهجة والفرح الى قلبي .

وأدار نسيب المذياع ــ والعهد عهد مذياع ، فلا تلفزيون ولا اشرطة تسجيل . ما هناك سوى اسطوانات وراديو ــ فانسابت الالحان شجية عبر المذياع ..

ووجدتني وحدي مع نسيب في غرفة نوم انيقة فخمة

تنساب بين جدرانها الموسيقى الشجية •

وقد لعبت الخمرة برأسي ، واضاع الجو الساحر الحنون صوابي •

•• وجلس نسيب على المقعد «صوفا» ، ودعاني للجلوس قربه •

وقال : اجلسي لندخن سيكارة •

وجلست قربه ، فقدم لي لفافة فاخرة •

واشعل هو سيكارا •

ونفثت دخان اللفافة في الفضاء دون ان انطق بحرف •

واذ بيد نسيب تمتد الى شعري لتداعبه ••

ومضيت في صمتي البارد الحائر •

وراحت اصابعه تداعب خصلات شعري بعطف وحنان •

ولفنا الصمت البعيد ، فلا هو تكلم ، ولا انا •

واتتابني شعور غريب ، وانا اجلس قرب المحامي الكبير ، فأحسست برعشة باردة تسري في عروقي •

وامتدت يده الى يدي تشدها ، فارتحت اليه ، ولم احاول الابتعاد عنه •

كنت كالسكرى ، لا أعي ، ولا اقاوم ، ولا ابدي اعتراضا ، وهذا ما شجعه على ان يلف ذراعيه حول عنقي ويطبع قبلة ملتهبة على خدي •

ودون ان اعلم ماذا افعل ، وبدون اي شعور طوقته بذراعي وضممته الى صدري •

فهمس : يا حياتي •

وفجأة ، استفقت من الحلم الرائع الجميل •

وكانت تلك الكلمة التي تلفظ بهـا «يا حياتي» ، كناقوس الخطر يقرع في أذني ليوقظني من الحلم الوردي المخضل الآهاب ، وكأن الصمت الذي لفنا بجناحيه كـان السبب في استسلامي الى مداعبات نسيب •

ان للصمت قوة هائلـة تضـاهي ملايين الكلمات ، وكثيرا ما نلمس حزنا صامتا فنتأثر لـه اكثر بكثير مما تتأثر لكلمات الحزن والاسى • الصمت اقوى من الكلمة • ذلك لان ارواحنا هي التي تتكلم عندما نصمت • وعندما تتكلم تصمت الروح • وشتان بـين كـلام الروح وكلام الجسد !

وانتفضتُ كعصفور بلله قطر الندى ، وقد وقعت كلمته في اذني •

وابتعدت عنه قائلة : ماذا تفعل يا نسيب ؟

اجاب : انا ماذا افعل ؟ سلي نفسك ماذا فعلت بي •

فحاولت الوقوف • الا انه امسك بيدي ، يشدهـا هامسا : اجلسي •

قالها بلهجة آمرة ، فكأنه السيد المطلق ، يأمر فيطاع•

الا انني ابيت ان اطيع ، فأجبته : لا ، لن اجلس •
وادرك انه لن يستطيع ان يأمر هـذه المرة ، فعمد الى اللطف واللين هاتفا : ارجوك •
قلت : يجب ان اذهب يا نسيب ، يجب ان اذهب •
قال مازحا : لماذا العجلة ، وفي العجلة الندامة ؟
وابتسم ، فابتسمت •
وهمست : احيانا لا تكون الندامة في العجلة ، بل في التأني •
قال ، والابتسامة لم تفارق ثغره : يا «ملعونة» ، لن اقوى عليك •
وعاد يمسك بيدي ، ويداعب اصابعي التي تركتها في يده •
وقلت : يجب ان اذهب ، يجب ان اذهب •
قال : الى اين ؟
قلت : سأعود الى بحمدون •
قال : سأوصلك بسيارتي • اجلسي •
قلت : دعني اذهب يا نسيب •
قال : لا • لن ادعك تذهبين الان •
قلت : انني على موعد ••
فابتسم ابتسامة مكر وخبث ودهاء •
وتمتم : هل هو شاب جميل ؟

قلت : افكارك دائما سيئة •

قال : ولماذا تلحين اذن في الذهاب ؟

قلت : اتريد ان تعلم لماذا ؟ اسمع يا «سيدي» ، انا على موعد مع آمال •

قال مستوضحا : آمال نصري ؟

قلت : اجل آمال نصري ، هل ارتحت الان ؟

قال : بسيطة ، تستطيع ان تنتظر •

قلت : لا •• هي ليست في دارها • لقد اتفقت واياها على ان توافيني الى دارنا لنذهب معا الى بحمدون. وأخشى ان تحضر فلا تجدني •

قال : اتصلي بها هاتفيا ، واطلبي اليها ان تتريث في الحضور •

وراقتني الفكرة • لا سيما وقد كنت اخشى ان توافيني آمال الى داري فلا تجدني ، وقد مضى الوقت سريعا • كان موعدي معها بعد ساعتين ، وها قد مضى اكثر من ساعتين ••

ودون ان اجيب ، تناولت سماعة الهاتف ، وأدرت ارقام هاتف منزل شفيق ايوب• ترى اتكون آمال ما زالت هناك عند حبيبها ؟

ورن صوت في اذني عبر اسلاك الهاتف :

آلو •• من ؟

وعرفت بالصوت ، صوت شفيق ايوب .
فهمست : آلو .. شفيق ؟
قال : نعم .
قلت : انا سميرة يا شفيق . ألا تزال آمال عندك ؟
قال : اجل . هل تريدين ان تتكلمي معها ؟
قلت : اجل .. اجل .
لحظة .. وسمعت صوت آمال : آلو .. سميرة .
قلت : آمال ، متى ستغادرين دار شفيق . انـــي باتنظارك .
وتمتمت آمال : اسمعي يـا سميرة . انا لن اغادر هذه الدار . سأظل هنا .
فوجمت . وهمست : ماذا تقولين يا آمال ؟ مــاذا تقولين ؟
قالت : لقد اتفقت مع شفيق على الهرب . لن اعود الى دار والدي . لا ، لن اعود الى دار ألقى فيها العذاب والآلام والدموع .
فازداد وجومي واضطرابي .
وهمست : هل جننت يا آمال ؟ كوني عاقلة يا اختي . يجب ان تحضري الان . الان فورا . لا ترتكبي هفــوة تندمين عليها طيلة العمر .
قالت بحزم واصرار : لا لن اعود .

قلت : تبصري بالامر يا آمال • لا تتخذي مثـــل هذا القرار الخطير بهذه السرعة الخاطفــة ، الزواج ليس لعبة نلهو بها • انه مصير ، انه العمر ، انه المستقبل •

قالت : لقد تبصرت مليا يا اختي ، فاتضح لي انني لن استطيع ان احيا بعيدة عن شفيق •

قلت محاولة صرفها عن تنفيــذ الخطة التي رسمتها مع حبيبها ، خطة الهرب والزواج : آمال • انت لن تبتعدي عن شفيق • يمكنك ان تعيشي العمر كله قربه ، ولكــن ليس بهذه الوسيلة • انت ستقضين على والديك بتصرفك هذا • لا ترتكبي جريمة بحقهما وبحق نفسك ايضا •

قالت : لن اعود الى دار والدي • لن اعود •

وكانت حازمة • فأدركت انني سأعجز عن اقناعها •

ولاحظ نسيب اضطرابي وقلقي فاقترب مني ليقول : ما بها آمال ؟

ولم اجب على سؤاله ، بل مضيت في التحدث الى آمــال •

قلت : آمال ! انا تعهدت لوالدك بان اعيدك الى داره غدا • لا تحرجي موقفي • يجب ان تعودي معي غدا الى داركم •

فأجابت بحزم : لقــد اتخذت قراري • لن اعود • لن اعود •

قلت : انا قادمة اليك .

قلت هـذا ، وألقيت بسماعة الهاتف مـن يدي . وألقيت بجسدي الواهي المضطرب علـى المقعد الرجراج الوثير .

وجلس نسيب قربي .

وهمس : ما بك يا سميرة ؟ ما بك يا حبيبتي ؟

قلت : مجنونة ، انها لمجنونة .

قال : من هي ؟

قلت : آمال .. تصور يا نسيب ، انها تريد ان تهرب مع حبيبها شفيق ايوب .

فتمتم : شفيق ايوب .. ابن الموظف الصغير ؟

قلت : اجل !

قال : حقا انها لمجنونة . ان والدها سيموت عندما يعلم بالامر .

قلت : يجب ان احول دون تنفيذ هذه المؤامرة . دعني اذهب يا نسيب .

قال : اين هي الان ؟

قلت : عنده في بيته .

قال : سأرافقك . سأساعدك عليها .. تعالي ..

واسرع الى الهاتف يتصل بسائق سيارته الذي كان ينتظر في مطعم ابو عبد .

وما هي دقائق قليلة حتى كان السائق قد وصل •
فاسرعنا الى السيارة نستقلها ونطير بهـا الى دار شفيق ايوب •
ووصلنا الى دار شفيق ••
ووقفنا امام الباب نطرقه ، ففتح الباب •
وأطلت آمال وهي بثياب النوم ، كانت ترتدي بيجاما شفيق •
ووجمت عندمـا شاهدت الاستاذ نسيباً معـي ، فأسرعت الى غرفة النوم لترتدي ثيابها •
وجلس نسيب في الصالون •
واقبل شفيق يرحب به •
اما انا فقد لحقت بآمال الى غرفة النوم •
وقـالت لي وهي تنزع عنهـا البيجاما لترتـدي «فسطانها» : لماذا احضرت الاستاذ نسيباً معك ؟
قلت : كي يساعدني عليك •
قالت ، وقـد انتهت مـن ارتداء ثيابهـا : اسمعي يا سميرة ، انا لن ابتعد عن شفيق ، انني احبه وهو يحبني، وقد انتهى كل شيء •
فذعرت ، وانا اسمع كلامها ، وهمست :
ــ ماذا تعنين ، ما هو هذا الذي انتهى ؟ هل اعتدى شفيق عليك ؟

فضحكت وقالت : انا الذي اعتديت عليه •

قلت : ماذا حدث يا آمال ؟ اخبريني ماذا حدث ؟

فاتسعت الابتسامة على شفتيها واجابت :

ــ اطمئني ، لم يحدث شيء •

قلت : اذن يجب ان تعودي معي •

قالت باصرار : لا • لن اعود •

فأمسكت بيدها لاقول: آمال• كوني عاقلة يا اختي، لا ترتكبي حماقة تندمين عليها العمر كله •

قالت : لن اندم •

قلت : لن ادعك هنا • يجب ان تعودي معي • تعالي•

قالت : مستحيل ! لن اعود الى دار والدي ، لا ، لن اعود الى تلك الدار التي ذقت فيها مرارة العذاب والحرمان•

فبدأ الغضب يستبد بي ، وانا اصطدم بعنادها : ماذا ستفعلين ؟

قالت : سأتزوج من شفيق وأسافر واياه الى اوروبا•

قلت : وكيف ستسافران وانتما فقيران ، لا تكادان تملكان اجرة سيارة تقلكما من بيروت الى عاليه ؟

قالت : اطمئني ، لقد تدبرت الامر •

قالت هذا ، واسرعت الى محفظتها تفتحها وتخرج منها سوارا ذهبيا مطعما بالماس ، وخاتما «سوليتار» فيه فص كبير من الماس •

وتمتمت : انهما ليساويان زهاء عشرين الف ليرة •

فهدرت : سارقة ؟ تسرقين الحلي لتهبيها لعشيقك ؟

وبكل هدوء ورصانة تمتمت : اولا : انا لست سارقة • هاتان الحليتان لي. أهداني اياهما والدي • هذا السوار أهداني اياه عندما فزت بشهادة «البريفيه» ، وهذا الخاتم كان قد اشتراه ليهديني اياه بمناسبة فوزي بشهادة «البكالوريا» • وعندما رسبت في الامتحان حزنت حزنا شديدا ، فما كان منه الا ان اخذ يطيب خاطري ، وأهداني الخاتم •• ثم ، ثانيا : شفيق ليس عشيقي ، انه حبيبي ، وسيكون زوجي •

قلت : انت سارقة ، سارقة ، سارقة • هاتان الحليتان لن تكونا ملكك الا اذا رضي والدك عنك • وما دام والدك غير راض فهما ليسا لك • اذا شئت ان تذهبي معي الان ، فلك الخيار • واذا شئت ان تستمري في عنادك فلك الخيار ايضا • ولكن ثقي انني سأكون عدوتك طيلة العمر •

فأمسكت بيدي تشدها وتهمس : سميرة • لا تكوني قاسية في حكمك علي • انا احب شفيقا• احبه حبا هائلا رهيبا عظيما • ألا تعرفين ما هو الحب يا سميرة ؟ الم تحبي ؟ الم تتعذبي ؟ ارجوك ان تقدري موقفي • انا لا استطيع ان ابتعد عن شفيق • لا استطيع ان ابتعد عنه •

وادمعت عيناها ، فأشفقت عليها •

وشدت يدي يدها لاقول : من قـال لك : ابتعدي عنه ؟ ظلي على علاقتك به • ولكـن لا تهربي معه ، ولا تنشري الفضيحة على الملأ • يمكنـك ان تحبيه دون أن تكوني زوجتـه • تستطيعين ، اذا شئت ان تجتمعي به كل يوم •

فارتسمت ابتسامة واهية علـى شفتيها وهمست : انت تخدرينني يا سميرة • تحاولين ان تخدعيني •

قلت : انا ؟ انا اخدرك ؟ انا اخدعك يا آمال ؟ كيف؟

قالت : توهمينني ان باستطاعتي ان اخلـو بشفيق ساعة اريد ، وانت تعلمين ان والدي الغاضب القاسي قد حجزني في الدار ، وأطبق علي الابواب • هو لن يدعني اخرج من الدار • ولولاك ، لو لـم تتوسطي لي عنـده اليوم ، لما سمح لي بالخروج من الدار •

قلت : «يا ستي» سأتوسط لك عنـده كل يوم • تعالي معي الان • سنصعد الى بحمدون ، ونعود غدا الى بيروت •

فعادت الى الاصرار تعتصم به لتتمتم : لا • لقـد اتخذت قراري وسأنفذه • لن أعـود معك يا سميرة • ارجوك ان تعتذري لي من ابي على تصرفي هـذا ، وان تحملي سلامي وتحياتي واشواقي الى امي •

فنهضت لاقول : انت وما تريدين • ولكن ثقي انك ستندمين يا آمال •

وسرت ، فلحقت بي •

وخرجت من الغرفة الى الصالون ، فتبعتني •

وكان نسيب لا يزال جالسا قرب شفيـــق وهما يتحدثان • فتقدمت من نسيب لأقول : هيا بنا •

قال : مهلا • ريثما تودع آمال حبيب قلبها شفيقا •

قلت : آمال لن تذهب معنا • ستظل هنا •

فنفث دخان سيكاره في الفضاء •

وقال باستغراب : من قال لك ذلك ؟

قلت : هي •• تقول انها اتخذت قرارها ، وانتهــى الأمــر •

فابتسم نسيب وأجاب : آمال مجنونة• ولكن شفيقا شاب عاقل • لقد اتفقت واياه على كل شيء •

فدهشت ، وادركت ان نسيباً وفّق حيث أخفقت انا•

لقد استطاع الخبيث ان يقنع شفيقا في حين عجزت انا عن اقناع آمال ••

وتمتمت : على ماذا اتفقت مع شفيق ؟

قال : لقد اتفقت واياه على ان تعود آمال معنا الان، ثم اقنع والدها بالموافقة على زواجهما • وسيتقدم شفيق لخطبتها ، ويوافق والدها ، ونقيم لهما حفلة زفاف لـــم

يشهد مثلها لبنان •

ووقفت آمال على دهشة ووجوم ، وهي تسمع كلام نسيب •

ونطقتْ بكلمة ، كلمة واحدة فقط : لا !

فوقف نسيب يمسك بيدها قائلا : تعالي • تعالي ، اجلسي هنا قربي •

وجلس فجلست قربه •

وقال لها : آمال ، انت تريدين ان تأكلي العنب ، ام تراك تريدين الفتك بالناطور ؟ تريدين ان تتزوجي من شفيق ، ام تراك تريدين اذلال والدك ، وطعنه في الظهر؟

وصمتت آمال •

والتفتت الى حبيبها شفيق بعينين تغمرهما الدموع ، وكأنها تستشيره ، وتطلب اليه ان يبدي رأيه في ما يقول المحامي نسيب •

الا ان شفيقا لم ينبس بحرف • كانت عيناه ايضا مغمورتين بالدموع •

وعاد نسيب الى الكلام ليقول بالحاح : قولي يا آمال، ما بك صامتة؟ أتريدين أكل العنب أم قتل الناطور؟

وطغت ابتسامة واهية صفراء على شفتيها النديتين ، وتمتمت : بل أريد أكل العنب ، ولتسلم حياة الناطور •

قال : انا أضمن لك أكل العنب • أنا أتكفل لك

باقناع والدك يا آمال • تعالي معنا الان ، واتركي الامر اليّ •

فالتفتت آمال الى شفيق تسأله : ما هو رأيك يـــا شفيق ؟

قال : كما تريدين يا آمال • المهم لدي هو ان نظل معا • اذا كان الاستاذ نسيب يكفل لنا سعادتنا ، ويتعهد باقناع والدك ، فانني أوافق على ما يبديه •

قالت : أخشى ان يعجز الاستاذ نسيب عن اقنـــاع والدي بالموافقة على زواجنا •

فاتنفض نسيب ليقول : انا أعجز ؟ قلت انني أتعهد لكما بان احمل اليكما موافقته في العاجل الوشيك •

قالت : وهب انه رفض طلبك ؟

فابتسم المحامي ، وتمتم : عندئذ تستطيعين ان تهربي مع شفيق • هو لن يهرب منك ، ولن يفلت مـــن يدك • اطمئني •

وصمتت برهة ، لتعود بعدها الى الكلام ، فتقول : كما تريد يا استاذ نسيب •

فنهض نسيب ليقول : تفضلي • يجب ان نذهب الان •

ونهضت انا •

ووقفت آمال تودع شفيقا بنظـــرة ملؤها الحب

والعطف والحنان •

واغرورقت عيونهما بالدموع •

والتفت الى نسيب فرأيته ينظر اليهما بعطف •

وهمس : اتركيهما وتعالي معي •

قال نسيب لي هذا ، ثم التفت الى صديقتي ليقول لها : سننتظرك في السيارة • لا تتأخري يا آمال •

ولم تجب آمال •

وسرنا ، انا ونسيب •

وقبل ان نخرج من الباب حانت مني التفاتة الى الوراء ، فشاهدت آمال ترتمي بين ذراعي شفيق •

وضمها شفيق الى صدره •

وغابا في يم عميق سحيق من الشوق والقبل والدموع •

وخرجت مع نسيب •

ودلفنا الى السيارة •

وقال لي ونحن نجلس في السيارة : مسكينة آمال، فهي تحبه •

قلت : وهو ؟ ألا يحبها ؟

قال : يتفانى في حبها • مساكين أهل الهوى والحب والغرام كم يتعذبون ويبكون ويتألمون •

وجلسنا ننتظر حضور آمال •

ولم يطل انتظارنا •

دقائق قليلة ، واقبلت آمال •

وصعدت الى السيارة لتجلس قربي في المقعـــد الخلفي ، اما نسيب فقد جلس في المقعد الامامي ، قرب السائق •

وانطلقنا الى بحمدون •

وراح نسيب يمازحنا ، ويروي لنا الاخبار المضحكة• فهو يريد ان يؤاسي آمال ، ويبعدها عن جـــو المأساة •

ورحت انا اشاركه المزاح والضحك •

الا ان آمال لم تكن لتبتسم ، ولا لتنطق بحرف •

كانت جالسة وهي تستعرض مناظر الجبال والوديان والتلال ، في حين كانت السيارة تتسلق الطريق الـــى بحمدون •

وكانت الشمس تتأهب للانحدار وراء الافق البعيد، ساكبة على قمم لبنان وتلاله ذوبها الذهبي الجميل عندما وصلنا الى عاليه •

فأمسكت بيد آمال اشدها واتمتم : انظري يـــا آمال ، كم هو جميل منظر الشمس وهي تتأهب للافول•

وهمست : الغروب ؟ ما اجمل الغروب يا سميرة • انني لأرى في غروب الشمس غروب سعادتي وهنائي •

قلت : مجنونة •• انت تتربعـــين الان على قمة السعادة • لقد وعدك الاستاذ نسيب بالسعادة ، وهــو سيفي بوعده •

والتفت نسيب الينا ليقول : بماذا تتهامسان يــا «عفاريت» ؟

قلت مازحة : «مش شغلك» لا تتدخــل في ما لا يعنيــك •

فضحك وقال : «حاضر يا ستي» ، لن اتدخل في ما لا يعنيني •

ووصلت بنا السيارة الى بحمدون ••

وترجلنا من السيارة امام دارنا الفخمة الانيقة •

واقترب نسيب مني ليقول : ماذا ستقولين لوالديك الان ؟ ايــن التقينا ؟

فأجبته مازحة : سأروي لهما كل شيء •

فضحك وقال : «عال •• توفقنا» •

قلت : انا سأتدبر الامر • ما عليك الا ان توافق على ما اقول •

قال : سأختبر ذكاءك •

ودخلنا الى الدار ، فاذا بوالدتي تستقبلني بالعتاب والتنديد : اين كنت ؟ لماذا تأخرت ؟ لماذا لم تعودي مــع والدك ؟ اين قضيت طيلة النهار ؟

وكانت والدتي تمطرني بوابل من أسئلتها المحرجة القاسية ،بدون ان تترك لي مجالا للرد على سؤال واحد.

وانبرى الاستاذ نسيب يدافع عني قائلا لوالدتي :

ـ ما بك تستقبلينا بهذه الاسئلة يا ست أدما ؟ لقد أرعبت البنت !..

فطفت على شفتي والدتي ابتسامة هادئة ، وهمست: اطمئن .. لن يرعبها شيء !

قالت هذا ، والتفتت الي لتقول : أين كنت حتى هذه الساعة ؟

قلت : لقد قضيت النهار عند صديقتي آمال . وقد ابت الا ان ترافقني ، فاتصلت هاتفيا بالاستاذ نسيب ، وطلبت اليه ان يوصلنا الى هنا .

فارتاحت والدتي ، وأنا اعلن لها انني قضيت طيلة النهار عند صديقتي آمال نصري .

وتدخل الاستاذ نسيب ليقول لها : الا ترحبين بنا يا ست أدما ؟

فتمتمت : أهلا وسهلا ، أهلا وسهلا .

وتقدمت آمال منها لتقول : الحق علي انا . فقد ألححت على سميرة بالبقاء معي ، ووعدتها بأن أرافقها الى هنا «يا تانت» .

قالت امي : يا ابنتي ، يا آمال ، لقد شغلت سميرة

بالي • وخيل الي انها أصيبت بمكروه • لم يكن من عادة سميرة ان تغيب عن الدار طيلة النهار •

فضحك نسيب وقال : لا تخافي عليها • فهي أخت الرجال •

وأطل والدي •••

واسرع الى نسيب يرحب به اشد الترحيب ويقول:

ـ لقد ارسلك الله الي ، انني بحاجة اليك • تعال تعال معي •

وسأله نسيب : خير ان شاء الله ؟

قال والدي : تعال معي الى المكتب ، تعال •

ودخلا الى المكتب ، ودخلت انا وآمال الى غرفتي، دون ان نأبه لما يشغل بال والدي •

وضحكنا وقد خلت بنا الغرفة •

وقالت آمال: لقد سببت لك متاعب اليوم يا سميرة•

قلت : المهم هو أنني أنقذتك من كارثة ، لم يكن يعلم الا الله ماذا يمكن ان تكون تنيجتها •

قالت : أيكون زواجي من شفيق كارثة يا سميرة ؟

قلت : هربك معه هو الكارثة يا آمال • كارثة كانت ستهدم سعادة أسرتك ، وتنزل على والديك كالصاعقة •

قالت : انا خائفة يا سميرة •

قلت : لماذا ؟

قالت : انني لأخشى ألاّ يستطيـــع الاستاذ نسيب اقناع والدي ، فأحرم من شفيق الى الأبد .

قلت : اطمئني . الاستاذ سيفي بما وعد . تعالـي الان لنخرج الى الصالون .

وخرجنا ...

وكان والدي لا يزال في خلوته مع الاستاذ نسيب في مكتبه الخاص . فقلت لآمال : انا لم أقبّل والدي ، سأدخل عليه وأقبله . لقد اعتدت على ذلك كلما خرجت من الدار او عدت اليها .

وكان والدي يحبني حبا شديدا .

وكان يقول دائما : انا اعتمد على سميرة وأرى فيها عكازة الشيخوخة . اما غسان ، فليس لي ان اعتمد عليه.

وتحاول امي ان تدافع عن اخي غسان .

فيبتسم والدي ، ويقول مازحا : غسان عكازتـك انت ، وسميرة عكازتي انا .

***

دخلت على والدي ، فاذا به متجهم الوجه ، وقـد بدا التجهم ايضا على جبين الاستاذ نسيب .

وأدركت أن ثمة امرا هاما يشغل بالهما . فتقدمت

من والدي أقبله وأقول : ما بك يا والدي ؟

قال : لا شيء • لا شيء يا سميرة •

قلت : لعل دخولي أزعجكما •

قال نسيب : ابدا اجلسي معنا •

وجلست • ومضى والدي في حديثه مع المحامي ليقول : ما هو رأيك يا نسيب ؟

قال : رأيي ان توافق •

قال : ولكن أخشى ان «يحرقوني» • انا ما زلت نظيفا حتى الان ، وانني لأرغب في ان احافظ على سمعتي •

وفي هذه الاثناء ، دخلت امي لتشترك معهما في الحديث ، وتقول : ماذا ارتأيت يا نسيب ؟ ان أبا غسان يحترم رأيك •

قال : رأيي ان يوافق •

قالت : ورأيي انا مثل رأيك •

فأجابها والدي ضاحكا : انت تريدين ان تصبحي زوجة الوزير •

ودهشت : ماذا يقول والدي ؟

وزير ؟

وسألته : ماذا حدث يا والدي الحبيب ؟

وتولى الاستاذ نسيب الجواب فقال : لقد اتصل

سامي بك الصلح هاتفيا بوالدك منذ ساعة ، وعرض عليه الاشتراك في الوزارة التي سيؤلفها •

وعصفت الفرحة بقلبي •

والدي سيصبح وزيرا •

وسأصبح انا كريمة الوزير ••

والتفت الى ابي اسأله : وماذا كان جوابك ؟

قال : قلت لسامي بك : اترك لي مجال التفكير ، وسأرد عليك الجواب غدا •

قلت : وهل يدعو الامر الى التفكير ؟

قال: دون شك ، لان البلاد في حال حرب• والاقتصاد اللبناني ينهار يوما بعد يوم • والخبز يكاد ينفد من الاسواق • ورجال الانتداب يمدون سلطانهم على الحاكمين • ولن تستطيع اية حكومة ، مهما كانت قوية ، ان تنقذ البلاد من الازمة الخانقة التي تعصف بها •

وكان والدي على حق •

فلم تكن حال لبنان تلك الايام بالحال التي يحسد عليها •

كان الاستاذ الفرد نقاش رئيسا للجمهورية ، وكان يحاول بما عرف عنه من نبل ، وأخلاق عالية ، وحكمة ، ان يتخلص من سيطرة الجنرال كاترو والجنرال سبيرس •

وكان كل من الجنرالين ، الفرنسي والانكليزي ،

يحاول ان يوسع نفوذه في البلاد •

وكان الجنرال كاترو ، يومذاك ، الحاكم الفعلي في البلاد ، وكان يتذرع بحال الحرب كلما عنّ له ان يفرض قانونا ، او ان يسن تشريعا جديدا •

وكان الرئيس نقاش قد كلف زميله في القضاء سامي بك الصلح تشكيل الوزارة (كان الرئيس نقاش والرئيس سامي الصلح قاضيين كبيرين قبل ان ينصرفا الى السياسة) • فانصرف سامي بك الى الاتصال بكبار رجال السياسة في محاولة لتشكيل وزارة جبابرة •

وكان من الطبيعي ان يتصل بوالدي ، وهو من رجال لبنان البارزين ، ومن الذين وقفوا مواقف وطنية مشرفة مرارا عديدة •

الا ان والدي رأى ان يتريث قبل الموافقة على الاشتراك بالوزارة •

وقال الاستاذ نسيب : انا لا اعلم لماذا تتردد في قبول الاشتراك بالحكم يا أبا غسان • انت لست افضل من سامي الصلح • ان سامي الصلح وافق على تشكيل الوزارة ، ولو لم يكن متيقنا من انه «قد الحمل» لما وافق• نصيحتي اليك ان تتصل الان بسامي بك وتقول له : «موافق» • انا لو كنت في مكانك لما ترددت •

قال والدي : هل تشترك معنا بالوزارة ؟ انا على

استعداد لأن اقول لسامي بك : «انا اوافق على الاشتراك في الوزارة ، اذا كان نسيب شهوان من أعضائها» •

قال نسيب : لا •• أنا اعرف سامي الصلح ، فهو عنيد • ولن يرضى بأن يفرض أحد عليه رأيا • اسمع من اخيك نسيب ، وكن وزيرا •

وصمت والدي •

وساد الصمت أرجاء الغرفة •

ونظرت الى والدي ، فاذا به شديد القلق والاضطراب ، فكأنه يحمل جبالا على رأسه ••

واذا بيده تمتد الى سماعة الهاتف لترفعها •

فقال الاستاذ نسيب : ستتصل بسامي بك ؟

قال : لا •• سأتصل بأحد الاصدقاء •

قال : من هو ؟

قال : شفيق الحلبي • ان شفيقا صديقي ، وهو صديق الرئيس نقاش ايضا • وسأستشيره في الامر •

وطلب والدي من عاملة الهاتف ان تصله بهاتف الاستاذ شفيق الحلبي •

دقائق قليلة ، ورن جرس الهاتف •

وقالت عاملة الهاتف : تفضل احكِ •

وبدأ والدي الحديث ، عبر الاسلاك الهاتفية ، مع الاستاذ شفيق الحلبي •

وسمعته يقول : ما هو رأيك يا شفيق ؟ تنصحني بالاشتراك؟ لماذا لا تشترك انت؟ ستكون محافظا لبيروت؟ ألا يخيل اليك ان الوزارة محرقة ؟ هل هذا هو رأيك ؟ شكرا يا شفيق بك •• شكرا •

وألقى والدي بالسماعة من يده ، والتفت الى نسيب ليقول : سيصدر مرسوم بتعيين شفيق الحلبي محافظا لمدينة بيروت • لقد خير شفيق بين الوزارة والمحافظة ، فاختار الثانية • شفيق الحلبي رجل حكيم ينظر الى البعيد • لو رأى في الوزارة «قرص عسل» ، لما فضل المحافظة عليها •

قالت والدتي : على ماذا عولت ؟

قال : سأعتذر • لن اشترك بوزارة لا يعلم الا الله ماذا سيكون مصيرها •

وتركت الجميع في المكتب • وخرجت الى الصالون• وكانت آمال لا تزال جالسة تطالع احدى المجلات فسألتني :

ــ ما بكم ؟ يخيل الي انكم في مأزق يا سميرة •

قلت : لا •• ليس هناك مأزق •

قالت : اخبريني • هل هناك ما يقلق ؟

قلت : ابدا •• ابدا •

قالت : هل يتعلق الامر بك • هل هناك عريس ؟

فضحكت ، وقلت : انت لا تفكرين الا بالعريس .

قالت : كلنا نحلم «بالعرسان» . اخبريني . ماذا جرى ؟

واخبرتها . قلت : والدي مجنون . عرض عليه سامي بك الصلح الاشتراك في الوزارة فرفض .

قالت : قد يكون على حق . والدك يعرف مصلحته اكثر منك .

وبعد قليل خرجت امي من المكتب .

ولم يلبث ان خرج والدي ونسيب . فجلسنا نتبادل الاحاديث ..

ورأيت والدي مرتاحا وكأنه ألقى بالحمل الثقيل عن ظهره ، وقد توصل الى اتخاذ قرار برفض الاشتراك بالوزارة .

اكتب هذا الان ــ بعد ثلاثين سنة ــ واضحك . اضحك وانا اشاهد رجال السياسة اليوم يتهافتون ، ويستميتون في سبيل الوصول الى الوزارة .

ترى هل هناك بينهم الان من يقول لرئيس مكلف بتشكيل الوزارة : «انني ارفض الاشتراك بالوزارة ولا اريد ان اكون وزيرا» ؟

لا ..

فكل ما هنالك ، ان جميع رجالنا السياسيين

والحزبيين يمكن ان يتخلـوا ، او يرفضوا كل شيء ..
ما عدا كرسي النيابة ، او الوزارة ، او اي مركز هام في الدولة ..

* * *

وجاءت الخادمة بعد قليـل تدعونا لتناول العشاء .
قالت تخاطب والدتي : العشاء جاهز يا سيدتي .
والتفتت والدتي الينا لتقول : تفضلوا .
وتفضلنا ..
وجلسنا الى المائدة تتناول الطعام وتتحدث .
وراح والدي يتحدث الـى الاستاذ نسيب بشأن الوزارة .
وعاد نسيب الى محاولة اقناعه بالاشتراك في الوزارة ، الا ان والدي كان قد اتخذ قراره الحاسم .
ولم يكن ثمة مـن يستطيع ان يقنعه بالرجوع عن قرار اتخذه .
كان عنيدا . اذا قال كلمته تمسك بها .
ومضى في عناده قائلا : هـذه وزارة لن يكتب لها النجاح ، وكل من يشترك فيها سيحترق ، وتصبح سمعته السياسية رمادا منثورا .

الا ان والدي كـان علـى خطأ ، لان تلك الوزارة كانت من «اقوى» الوزارات ، وقد استطاعت ان تقـوم بواجبها خير قيام ، وان تنقذ لبنان من كارثتين كبيرتين : كارثة الجوع ، وكارثة الحرب •

واتهينا من تناول الطعام •

وعدنا الى الصالون •

وجلست قرب صديقتي الحميمة آمال تتحدث بصوت خافت ، في حين جلس والدي ووالدتي والمحامي الكبير يتحدثون حول الوزارة ، والحرب ، والازمات العديـدة التي يتخبط فيها لبنان •

اما حديثي مع آمال فقد انحصر حول قضايا الحب والهوى والغرام ، او بالاحرى حول الحب العاصف العاتي الذي يغمر قلب آمال وقلب حبيبها شفيق ايوب •

وفيما هي تحدثني عن شفيق ، وعما دار بينهما في خلوتهما فـي داره ، امسكت بيـدي تشدها وتهمس : سميرة ! انظري •

قلت : ماذا ؟

قالت : انظري ماذا يفعل الاستاذ نسيب •

قلت : ماذا يفعل ؟

قالت : ان نظراته تكـاد تلتهمك ••• هو يحبـك يا سميرة •

والحقيقة هي انني كنت قد لاحظت ذلك ، كنت قد شاهدت الاستاذ نسيباً ينظر الي نظرات محرقة ، لاهبة ، حمراء .

الا انني تجاهلت تلك النظرات ولم ابادله اياها .

ولم تخف على آمال ، فدهمته وهو يرمقني بشرود وحيرة .

وتمتمت وانا اتظاهر باللامبالاة : ما لنا وله ، اكملي حديثك .

قالت : انه يحبك .. انظري ، انظري اليـه كيف يخالسك النظرات .

قلت : انت مخطئة يا آمال .

قالت : انا اراهنك . الاستاذ نسيب يحبك !

قلت : ما لنا وله .

قالت : يا خبيثة ، انت تحاولين ان تخفي عني الحقيقة.

قلت : اية حقيقة يا آمال ؟

قالت : حقيقة حبكما .. قـولي لي ، ماذا يجري بينك وبينه ؟

فهمست : هل يخيل اليك ان ما يجري بينـك وبين شفيق ، يجري بيني وبين الاستاذ نسيب ؟

قالت بمكـر وخبث ودهاء : لا تكذبـي علي . اخبريني كل شيء .

فتمتمت : ليس هناك ما يستحق الاهتمام .

فعادت تمسك بيدي لتشدها وتهمس : لماذا تحاولين اخفاء اسرارك عني ؟ هل اخفيت انـا يوما اسراري عنك يا سميرة ؟

ـ سأخبرك كل شيء عندما ندخل الى غرفة النوم.

ـ تعالي الان .

قلت : مهلا ريثما تتناول القهوة .

ـ ستتناولها في غرفة النوم .

ـ مهلا . مهلا .

واذ بالخادمة تدخل حاملة القهوة الينا ، فرحنـا نرشفها ونتحدث احاديث شتى

وانتقل نسيب من مقعده قرب والدي ليجلس قربي متمتما : لقد اشتقت اليك .

وضحكت .

وضحكت آمال .

وقال والدي مازحا : كلما كبرت يا نسيب ، صغر عقلك .

فأطلق المحامي الكبير ضحكة رنانة وقـال : انا لا اكبر ، سأظل شابا بالرغم منك .

قال والدي : انت تكبر ، اما عقلك فلا .

وضحكنا كلنا ،.وشاركنا نسيب الضحك ايضا .

وعدنا الى الاحاديث تتبادلهـا ، احاديث السياسة والحرب والخبز •

وتبرمت آمال من هذه الاحاديث الجافة التافهة •

وراحت تهمس في اذني من حين الى آخر : تعالي ندخل الى غرفة النوم •• تعالي • تعالي •

واقترب نسيب مني ليهمس في اذني :

ــ هل اراك غدا ؟

ــ لا •

ــ لماذا ؟

ــ «هيك» •••

ــ سنتناول غدا طعام الغداء معا •

ــ «فشرت» •••

ــ انا بحاجة اليك ، اريد ان افضي اليك بسر خطير•

فهمست مازحة : ابق اسرارك في صدرك •

قال : سأراك غدا •• اين ؟

قال ذلك بلهجة حازمة حاسمة شديـدة فكأنه على يقين من انني سأوافيه الى حيث يريد •

قلت بحزم ايضا : لا ، غدا لن ادلف الى بـيروت ، سأقضي النهار هنا مع آمال • نريد ان نرتاح •

قال : ولكن آمال لن تظل هنا غدا • انها مشتاقـة لحبيب القلب والروح •

وضحك ، وضحكت •

واحمر وجه آمال خجلا •

والتفت الاستاذ نسيب اليها ليقول : ما هو رأيك يا آمال ؟

قالت : كما تريد سميرة •

قال : سميرة تريد ان تقضي نهار غد هنا •• قلبها خال ليس لها حبيب تشتاق اليه وينتظرها في بيروت • اما انت ••

فقاطعته انا قائلة : وهي ايضا تريد ان تقضي نهار غد معي هنا •

فالتفت ليقول : ساعديني عليها يا آمال •

واذا بصوت والدي يتعالى : بماذا تتهامسون ؟ اشركونا معكم في الحديث •

فابتسم نسيب وقال : لا تحشر نفسك مع الشبان والصبايا •

وضحك والدي وهو يقول : انت شاب ؟

قال مازحا : «غصباً عنك» •

قال والدي : لن تعقل يا نسيب الا اذا تزوجت • تزوج ترتَح وتُرح •

قال نسيب : انا عاقل ، ولذلك فلن اتزوج • لن اتزوج لأنني عاقل •

وضحكنا كلنا ..

كان نسيب يجيد النكتة ويتقن المزاح .

كان لطيف المعشر ، مذواقا ، خفيف الظل . يحب الجمال ويرتاح اليه .

ولم يكن لينشىء علاقات غرامية الا مع الجميلات الفاتنات .

وعاد يهمس في اذني : سأنتظرك في مكتبي . اذا لم تستطيعي الذهاب اتصلي بي هاتفيا .

قال هذا ووقف ليقـــول : سأستأذن .. يجب ان اذهب الان .

والقى والدي بنظرة الى الساعة ليقـول : الان ؟ الساعة لم تتجاوز العاشرة .. فلنكمل السهرة هنا .

قـال نسيب : لا ، الان تبدأ سهرتي . سأنتقل الى فندق صوفر الكبير .

قال والدي : قد تلتقي هنـاك بسامي بك او باحد الاخوان . اذا وقفت على اي خبر جديد اتصل بي .

قال : حتما . على كـل انـا ما زلت عنـد رأيي . نصيحتي اليك ان تشترك بالوزارة وتكون وزيرا . مـا يصيب سامي الصلح يصيبك . انت لست بافضل منه .

قال والدي : رأيي يختلف عن رأيك . لن اكـون وزيرا . سأترك الوزارة لك هذه المرة .

قال: سيكون لكل حدث حديث • الوزارة لن تتألف الليلة ، وغدا سأتصل بك او تتصل بي •

وصافحنا مودعا •

ولم ينس ان يشد يدي وهو يصافحني •

وما ان خرج حتى دخلت مع آمال الى غرفة النوم وأوصدنا وراءنا الباب •

وتنفست آمال الصعداء وقد خلت الغرفة بنا •

وهمست : الحمد لله ، لقد اصبحنا وحدنا الآن •

قلت : هل ضايقك حديث الاستاذ نسيب ؟

قالت : ابدا ، ابدا • ولكنني أريد ان اخلو بك لنتحدث في ما يهمنا • ما لنا ولأحاديث السياسة والحرب والوزارات •

ونزعنا عنا ثيابنا ، وارتدينا ثياب النوم ، واشعلنا لفافتين رحنا ننفث دخانهما في الفضاء ونحن نتساير •

ولم يكن ثمة في غرفتي سوى سرير واحد • سرير واحد ، ومقعد طويل «صوفا» ، فقلت للصديقة الحميمة: سأنام انا على «الصوفا» وتنامين انت في السرير •

فابتسمت ابتسامة زاهية زاهرة وتمتمت: ألا تريدين ان تنامي معي الليلة ؟

وآمال صديقة محبة وفية •

وكثيرا ما كنت انام عندها ، وكثيرا ما كانت تنام

هي عندي •

كنا نقضي معظم اوقاتنا معا • وكانت اسرتانـــا كأسرة واحدة • كان والدها صديق والدي ، ووالدتهـا صديقة والدتي •

وكان والدي يأمل ان تكون آمال لأخي غسان •

كما ان والدها كان يأمل ايضا ان يكون غســـان صهره •

الا ان آمال وغسان لم يفكرا بالزواج •

وكان اخي غسان يومذاك لا يزال طالبا في معهد الحقوق •

وكان على علاقة غرامية وثيقة بفتاة فرنسية والدها موظف كبير في المفوضية الفرنسية • كان يقضي معظـم لياليه عندها •

في حين كانت آمال عالقة بهوى شفيق ايوب •

وأمسكت بيدي وهي تقول : لن تنامي علـــى «الصوفا» تعالي •

وقفزت آمال الى السرير ، واندسست معها •••

•• ونفثت دخان اللفافة في الفضاء وهمست : انت تقولين الان في سرك ، ليت شفيقا ايوب في مكان سميرة• «بشرفك» قولي لي يا آمال ، ألا تتمنين ان يكون شفيق الان نائما هنا قربك ، مكاني انا ؟

فضحكت وقالت : ما كل ما يتمنى المرء يدركه •

قلت : «حظك منحوس» •

قالت : وانت ألا تتمنين لو كان الاستاذ نسيب الان مكاني بقربك ؟

قلت : ألم تختاري لي الا الاستاذ نسيب ؟

قالت : ما به الاستاذ نسيب ؟ ألا يعجبك ؟

قلت : يكفي انه يكاد يكون في عمر والدي •

قالت : ولكنه يحبك ، قولي لي ، يا سميرة ، ألم يقبلك ؟

قلت ، محاولة الانكار : هل جننت ؟ أأسمح لرجل في عمر والدي ان يقبلني ؟

فأطلقت ابتسامة هازئة ساخرة وهمست : لا تكذبي علي يا سميرة • كوني صريحة معي كما انا صريحة معك•

قلت : ما لنا ولهذا الحديث الان • أخبريني انت ماذا جرى بينك وبين شفيق ؟

قالت باصرار : لن اخبرك شيئا الا بعد ان تطلعيني على ما يجري بينك وبين الاستاذ نسيب •

قلت ، وأنا ابتسم : لم يجر شيء •

فأمسكت بيدي تشدها وتهمس : انت تكذبين • انا أراهن ان بينك وبينه اكثر من قبلة •

وأدركت انها لن تكف عن الاسئلة الا بعد ان تقف

على الحقيقة ، فهمست : اسمعي يا آمال • ان الاستاذ نسيب يعاملني معاملة لطيفة لا اكثر ولا أقل •

قالت : واين قضيتما النهار اليوم ؟

قلت : تناولنا الغداء معا •

قالت : اين ؟

قلت : عنده في الشاليه •

قالت : تذهبين معه الى الشاليه ، ثم تدعين بان ليس بينك وبينه اي سر ، ولا اي هوى وغرام ؟

فضحكت وقلت : ولكنه في عمر والدي •

قالت ، وهي تنفث دخان اللفافة في الفضاء : لو انني لا احب شفيقا ، لما اخترت حبيبا لقلبي غير الاستاذ نسيب • فهو رائع ، فاتن ، جميل • في عينيه دفء ، وفي شفتيه حلاوة وندى • ان اية فتاة تتمنى ان يكون الاستاذ نسيب حبيبها •

فأجبتها : انا لم افكر بان اتخذ من الاستاذ نسيب حبيبا يا آمال • انني انظر اليه نظرتي الى صديق •

قالت : وهو ؟ هل ينظر اليك نظرته الى صديقة ؟

قلت بكل صراحة : لا •• يخيل الي انه يعاملني معاملة عطف وحب وغرام •

قالت ، محاولة استدراجي الى الكلام : ألم يحاول تقبيلك ؟

قلت : حاول .. ولكنني صددته .

فصرخت : مجنونة !.

قلت : لا يا آمال ، انا لست مجنونة . انني عاقلة، انظر الى البعيد ، انظر الى مستقبلي بعين واعية يقظى . ماذا يرجى من الاستاذ نسيب ؟ هل سيكـــون نسيب زوجي ؟ وهل يقدر للحب ان ينمو ويثمر في قلبينا ؟ مـــا لي وله .

قالت : لو كنت في مكانك لما ترددت لحظة فـــي اتخاذ نسيب عشيقا اقضي معه فترة من الزمن ، ريثمـــا يفرجها الله علي وأتزوج .

قلت : انت دائما تفكرين باتخاذ مثل هذه المقررات المخطئة . انك دائما على خطأ . انت لست واقعية يـــا آمال ، انت فتاة خيالية .

قالت ، واللفافة لا تفارق شفتيها : الحياة كلهـــا خيال . نحن هنا على هذه الارض نعيش في الخيال يـــا سميرة .

قالت هذا ، وأفرغت ما في صدرها من دخـــان اللفافة لتكمل : انظري الى اجنحة الدخان ، دخان اللفافة، كيف تتراقص وتخفق في الفضاء . ثم .. ثم ماذا ؟ ثـــم تتلاشى وتختفي وتزول . هكذا هي حياة الانسان على الارض يا سميرة ، تظهر وتخفق وتتلاشى وتزول .

فابتسمت وهمست : يبدو لي انك اصبحت فيلسوفة!

قالت : الحياة تعلم الفلسفة ، والالم يصقل الروح يا سميرة • وأنا كما تعلمين ، خبرت الحياة وتألمت وبكيت واصبحت فيلسوفة •

قلت : دعينا من الفلسفة الان ، وأخبريني مـــاذا جرى بينك وبين حبيبك شفيق •

قالت ، وهي تضحك : جرى بيني وبينه ما جـرى بينك وبين الاستاذ نسيب •

قلت : لقد ظلمتني يا آمال • انني اقسم لك بأنه لم يجر بيني وبين نسيب ما جرى بينك وبين حبيبك • ليس بيني وبينه سوى قبلة او قبلتين • اما انت وشفيق •••

فقاطعتني : لقد جرى بيننا كل شيء •• كل شيء يا سميرة ، ولكننا حافظنا على ما يجب ان تحافظ عليـــه الفتاة العذراء •

قلت : كوني على حذر يا آمال • فما كل مرة تسلم الجرة • كوني عاقلة • يجب ان تتجنبي الخلوة بشفيق ، لاسيما اذا كانت هذه الخلوة في غرفة موصدة الباب ، فيها سرير • لقد قيل : «كلما اجتمع رجل وامرأة في غرفة موصدة الباب فيها سرير كان الشيطان ثالثهما» •

فابتسمت وأجابت : انا لا اخاف شفيقا ما دام سيصبح زوجي •

قلت : من يدري ؟ من يدري ماذا تخبىء لنا الايام يا آمال ؟ قد تصبحين زوجة شاب غير شفيق ، وقد يصبح شفيق زوج فتاة غيرك .

فارتعشت وتمتمت : مستحيل .. مستحيل . اذا لم اتزوج من شفيق فسأنتحر . اما شفيق واما الموت !

فابتسمت قائلة : سأذكرك بما تقولين في يوم من الايام ، وستدركين ان تفكيرنا غدا سيكون غير تفكيرنا اليوم ، وعاطفتنا اليوم ، هي غيرها في الغد .

قالت : دعينا الان من هذا الحديث ، واخبريني على ماذا عولت ؟

قلت : ماذا تقصدين ؟

قالت : اقصد ماذا ستفعلين مع الاستاذ نسيب ؟

قلت : يبدو ان الاستاذ يشغل بالك .

قالت : انت التي تشغلين بالي ، لا هو .

قلت مازحة : اطمئني . فأنا بألف خير .

قالت : هل هناك فتاة في مثل عمرنا تكون بألف خير ، اذا لم يكن لديها حبيب ، او عشيق ، تنعم بين ذراعيه بالدفء والهوى والغرام ؟

قلت : وهل يخيل اليك انني لم اجد حتى الان هذا الحبيب يا آمال ؟

قالت : انت تضيعين وقتك . تنتقلين من صديق الى

الحياة هي لحظات من السعادة والحب

صديق بدون ان تجني اية فائدة . كنت بالامس ، كما اذكر ، تحبين استاذ الادب العربي في المدرسة ، فماذا افادك حبه ؟ ثم احببت ابن الجيران . هل تذكرين ؟ وكان غرامكما أفلاطونيا ، من بعيد لبعيد ، ثم احببت بائع النوفوتيه في سوق الطويلة ، ولم تسنح لكما الفرصة بالاجتماع الا في محله . وماذا بعد ؟ هذه مغامراتك كلها . والآن تسنح لك فرصة ذهبية ، ويفتح لك الاستاذ نسيب القلب و«الشاليه» ، فتكفرين بالنعمة وتتمردين

عليه ؟

قلت : سأترك لك هذه النعمة ، اذا اردت ان تتنعمي بهـا •

قالت : نعمتي تكفيني • يكفينـــي هوى شفيق ، وعذابي في هذا الهوى العاصف اللاهب الولوع •

ورمقت الساعة المشدودة الى معصمي لاقول : لقد اشرف الليل على الانتصاف ، ألا تريدين ان تنامي ؟

قالت : النوم بعيد عن عيني بعـد الارض عـن السماء • هل رأيت عاشقة تعرف طعم الكرى ؟

قلت : وتريدينني ان اعشق ؟

قالت : اسمعي يا سميرة • متى تستطيعين الاجتماع بالاستاذ نسيب ؟

قلت : ساعة اشاء •

قالت : هل توافيه غدا الى «الشاليه» ؟

قلت : الحقيقة هي انه ضرب لي موعدا في مكتبه غدا ، على ان نذهب معا الى الشاليه ، ولكنني رفضت•

فاستوت في السرير ، ورفعت خصلات شعرها عن جبينها وتمتمت : مجنونة •• مجنونة • يجب ان توافيه الى الموعد المضروب •

فألقيت باللفافة من يدي وهمست : لا •

قالت : ستوافينه ، وسأكون انا رفيقتك •

فوجمت ..
ماذا تقول آمال ؟
أتريد ان تلقي شباكها على الاستاذ نسيب ؟
وشفيق ؟ ألا تحبه ؟
وكيف تريد ان تهرب معه ؟
ولماذا تريد ان ترافقني الى لقاء الاستاذ نسيب فـي الشاليه ؟.
ماذا تريد ان تفعل ؟
وتراقصت عشرات الاسئلة المبهمة الغامضة في رأسي، بدون ان اجد جوابا واحدا لها ..
وضممتها الى صدري .
ولفت ذراعيها حول عنقي .
واستلقينا في السرير ، وهمست :
ـ سنذهب غدا معا الى شاليه الاستاذ نسيب .

الفصل الثاني

ثورة في عالم الحب

لم انم طيلة ذلك الليل .
بل رحت أفكر بما قالت آمال .
ان صديقتي ترى في الاستاذ نسيب عشيقا نـادر المثال .

وهي تتمنى لو انها عشيقته .
اذن الاستاذ نسيب يصلح عشيقا لي .

صحيح انه لا يصلح زوجا ، وهو يكاد يكون في عمر والدي ، ولكن العشيق غير الزوج . فلماذا لا اتخذ من الاستاذ نسيب عشيقا لي ، ريثما يفرجها الله علـي وأتزوج ، كما قالت آمال ؟

وراقت لي الفكرة .

وعزمت على ان استجيب لطلبات نسيب شهوان ، وعلى ان اغتنم الفرصة السانحة ، والفرصة لا تسنح كل آن وحين ، وأقضي وقتا ممتعا مع المحامي الأنيـــق الوسيم •

ولم يستطع الكرى ان يتغلب علي الا وخطوط الفجر الوردية اللون تتسرب عبر زجاج النافذة الى غرفتي •

ونمت ، واستغرقت في النوم ، ولم استفق الا على همسات آمال ووشوشاتها : «سميرة ! انهضي يا حبيبتي، الساعة اشرفت على الثامنة صباحا» •

وفتحت عيني لأجد آمال لا تزال ممددة في السرير قربي ، وأصابعها تداعب خصلات شعري •

وكان النعاس لا يزال مستبدا بي ، فأغمضت عيني وهمست : اتركيني أنام دقائق قليلة يا آمال •

وطوقتني بذراعيها ، وتمتمت : انهضي ، يجب ان نعود الى بيروت •

قلت ، والنعاس يثقل أجفاني : الان ؟ في هـــذه الساعة المبكرة من الصباح تريدين ان تذهبي الى بيروت؟ مهلا ، لن تهرب بيروت منك ولن تفلت من يدك •• نامي، نامي •

وأبت آمال ان تنام ، ومضت في مداعبة خصلات شعري ، وفي سكب الوشوشات والهمسات في اذني ،

فاضطررت الى النهوض ••

واستويت فـــي السرير وتمتمت : لا تنامين ولا تتركينني انام ؟

قالت مازحة : النوم للكسالى الذين تخلو قلوبهم من الهوى والغرام • اما نحن فليس لنا ان ننام •

قلت : انت عاشقة ، والحب يحرمك لذة النوم ، فما هو ذنبي انا كي تحرميني من النوم ؟

فضحكت ، ورفعت اللحاف عني وقالت : انهضي، انهضي •

وقفزنا من السرير •

وتركت آمال تسرح شعرها وتغسل وجهها ، وخرجت الى المطبخ لأطلب من الخادمة ان تهيىء لنا القهوة •

وفيما كنت اعود الى غرفتي ، شاهدت أمي خارجة من غرفتها •

فسألتها : اين والدي ؟

قالت : والدك خرج في ساعة مبكرة من الـــدار وشخص الى بيروت •

فأسفت وقلت : كنت عازمة على ان اذهب معه •

قالت : لماذا ؟ بالأمس كنت في بيروت ، واليـــوم تريدين الذهاب اليها • ماذا في بيروت ؟ هل استطيع ان اعلم لماذا هذا الغرام المفاجىء بها ؟

وكانت أمي رصينة حازمة شديدة القسوة علي في ما يختص بالآداب والتهذيب .

كانت تريد مني ان اكون فتاة مثالية اتحلى بالاخلاق العالية ، وأحافظ على سمعتي واسمي .

لم تكن امي لتتساهل في كل ما يسيىء الى الاخلاق والآداب والمثل العليا .

وضحكت ، وأمي تسألني : ماذا لك في بيروت ؟

وقلت لها : اريد ان ارافق آمال . هي لم تحضر معي الى هنا الا بعد ان وعدتها ان اعود معها . أيخيل اليك ان هناك في بيروت ما يشغل البال ؟

قالت امي : هل هناك من يبتعد عن نسائم بحمدون العليلة العطرة ، ليدلف الى بيروت ، ويكتوي بحرها ولهيبها في هذا الفصل المحرق اللاهب ؟

قلت : سأرافقها وأعود بعد الظهر .

وكانت الخادمة قد اقبلت حاملة القهوة ، فقلت لها: اتبعيني الى غرفتي ..

وسرت امام الخادمة ، وجلست أرشف القهوة مع آمال وندخن ، وتتبادل الاحاديث .

ثم نهضنا نرتدي ثيابنا وتتناول طعام الصباح .

ثم خرجنا الى الصالون ، فقالت لي آمال : يجب ان نذهب . لقد اشرفت الساعة على العاشرة .

قلت : انني افضل ان نقضي النهار هنا •

فنهضت لتقول : هل جننت ؟ ان الاستاذ نسيب في انتظارك •

قلت : لن اذهب اليه • دعيه ينتظر على قدر مـــا يشاء •

فأمسكت بيدي تشدها وتقول : تعالي ، لا تكوني بلهاء • سنذهب معا الى الاستاذ نسيب ، ثم تتصـــل بشفيق ، فأذهب انا واياه ، وتظلي انت مع الاستاذ •

ونهضت ••

وودعنا امي وخرجنا من الدار لنستقل تاكسي ونطير بها الى بيروت •

ورحنا نتحدث فيما السيارة تجتاز بنـــا الطريق وتلف المنعطفات عبرالاحراج والغابات والوديان والجبال•

وقلت لآمال : الى اين سنذهب الان ؟

قالت : الى مكتب الاستاذ نسيب •

قلت : لا •• لن اذهب قبل الساعة الثانية عشرة •

قالت : أمامنا اكثر من ساعة ، اين سنقضي هــذا الوقت ؟

قلت : سنشخص الى داركم •

فقهقهت وقالت : هل جننت • انا لن اعود الى دارنا الا في المساء • ان والدي ووالدتي على اعتقاد انني مـــا

زلت في بحمدون • هل تريدين ان تسجنيني في الدار منذ الان ؟ ان انا دخلت الى الدار الان ، فلن يقدر لـي الخروج منها •

قلت : اذن سنشخص الى دارنا ، فنرتاح قليلا ، ثم نشخص الى مكتب الاستاذ نسيب معا •

قالت : ووالدك ؟ ألا يكون في الدار ؟

قلت : لا •• سيكون في مكتبه • انه مشغول الان بتأليف الوزارة • قد يصبح وزيرا ، كما يبدو •

قالت : اذن سنشخص الى داركم • هل تحملـين المفتاح ؟

قلت : أجل ، انه معي ••

ووصلت بنا السيارة الى بيروت •

وشخصنا الى دارنا ••

وفتحت الباب ودخلت ، ودخلت ورائي آمال ••

ووصلنا الى البهو•• ووجمنا ونحن نسمع وشوشات وهمسات تنطلق من غرفة نوم اخي •

وكان اخي ينام معظم الليالي في بيروت ، وأحيانا في بحمدون • كان فوضويا ، لم يكن ليستقر على حال • فهو حينا في بحمدون ، وأحيانا في صوفر ، وتارة فـي الارز ، وطورا في بعلبك •

وهمست آمال ، وهي تسمع الوشوشات ، يبدو ان

والدلك هنا .
فتمتمت : لا .. انه اخي . هذه غرفة اخي غسان.
قالت : هل نعود أدراجنا ؟
فأومأت برأسي مشيرة بالنفي ..
وهمست : تعالي معي .
وسرنا على رؤوس اصابعنا .
واقتربنا من باب غرفة اخي ، فاذا بالهمسات والوشوشات تتعالى بوضوح .
وهمست آمال : انه صوت امرأة .
قلت همسا : يبدو اننا سنشاهد مغامرة جديدة .
قلت هذا ، وانحنيت على ثقب الباب ، لأرتد مذعورة ..
كان اخي وحبيبته الفرنسية جوليات على السرير..
وقلت لآمال : تعالي نخرج من هنا .
قالت : ماذا شاهدت ؟
قلت : تعالي . تعالي .
وحاولت ان ابتعد بآمال من امام الباب .
وامسكت بيدها وانا اتمتم : تعالي .. تعالي .
الا ان آمال ، أبت ان تبتعد . وافلتت يدها من يدي لتنحني على ثقب الباب ..
وخيل الي انها سترتد مذعورة كما ارتددت انا ، الا

انني كنت على خطأ لان آمال لم تبتعد ، بل هي مضت في انحنائها على ثقب الباب ومشاهدة ما يجري في غرفة نوم اخي ...

وعدت امسك بيد آمال ، محاولة ان ابعد بها عن مرأى تلك المشاهد الفاضحة .

الا انها سحبت يدها من يدي ، ودفعتني عنها .

وانحنيت على اذنها لأهمس : يجب ان نذهب .. تعالي .

وابتعدت آمال قليلا لتتمتم : الا تريدين ان تشاهدي ما يجري ؟

قلت : لا ، اخشى ان يخرج اخي ويدهمنا في وقفتنا امام الباب .

قالت : وممَّ تخشين ؟

قلت : اخشى غضبه .

قالت : هو الذي يتوجب عليه ان يخشى غضبك .

قلت : دعينا من «المشاكل» ، فلنذهب .

وأبت آمال ان تذهب .

فهي تريد ان تشاهد كل ما يجري بين اخي وحبيبته الفرنسية الحسناء ...

وهمست في اذنها : يجب ان نعود أدراجنا يا آمال .

فهمست : مهلا •• مهلا •
وعادت تنحني على ثقب الباب •• وعدت أشـــد يدها •
وغضبت ••
وارتدت الي لتقول : «اوه شو ثقيلة •• خلينــــا تتفرج» •
قلت : اخشى ان يكشف اخي امرنـــا يا آمال • تعالي • تعالي •
وشددت بها ، وانا اهمس : تعالي • تعالي •
وابتعدت بها عن باب الغرفة ، وتمتمت : فلنخرج من الدار حالا •
قالت : فلنسترح قليلا قبل ان نخرج يا سميرة ، الى اين سنذهب الان ؟
فهمست : نذهب الى مكتب الاستاذ نسيب •
قالت : الان ؟ الوقت ما يزال مبكرا •
قلت : نذهب الى اي مكان • تعالي •
وحاولت ان اخرج بها من الدار قبل ان يكشـــف اخي اننا وقفنا على سره •
الا ان آمال ابت ان تذهب ، وهمست : تعالي ندخل الى غرفتك ونستريح قليلا •
ولم استطع ان ارغمها على النزول عند طلبي ، فنزلت

انا عند طلبها .

ودخلنا الى غرفتي ، وأقفلنا وراءنا الباب .

وجلسنا على السرير .

وأشعلنا لفافتين رحنا ندخنهما بهدوء .

وساد الصمت برهة بيننا .

واذا بآمال تلتفت الي لتقول : لماذا اصررت على ان نبتعد عن ذلك المشهد المثير ؟

قلت : ولماذا تريدين ان تثيرينا ؟ مالنا ولهما ، دعينا من «المشاكل» .

ونفثت دخان اللفافة في الفضاء وتمتمت: «مجدوبة»، هل هناك فتاة تسنح الفرصة لها لمشاهدة مثل هذا المنظر الفريد وتعرض عنه ؟

قلت : دعينا الآن من مثل هذه المشاهد ، وقولي لي ماذا سنفعل ؟ الى اين سنذهب ؟

قالت : تمددي قربي ، تعالي .

قلت : لا ، اخشى ان نستغرق في النوم .

فأمسكت بيدي تشدها وتهمس : تعالي ، تعالي .

وضمتني الى صدرها برفق وحنان .

الا انني ابيت ان انام قربها ، لانني كنت اخشى ان يكتشف اخي وجودنا في الدار .

كنت اريد ان اخرج من تلك الدار قبل ان يتنبــه

اخي لوجودنا •

وابتعدت عن آمال لأقول : فلنخرج ، تعالي نذهب الى سوق الطويلة فنشتري بعض الاغراض •

واستوت في السرير لتقول : سأتصل هاتفيا بشفيق. لقد اشتقت اليه •

قلت : تتصلين بشفيق ونخرج •

قالت : اجل ، اجل !

ونهضنا • كان علينا ان ندخل الى مكتب والدي من البهو لان آلة الهاتف كانت هناك على مكتبه •

وخرجنا وسرنا على رؤوس اصابعنا بكل حذر الى المكتب •

وامسكت آمال بسماعة الهاتف تتصل عبر اسلاكـه بحبيبها شفيق ايوب •

وسمعتها تهمس : «آلو ، شفيق ! اجل ، انا آمال• كيف حالك يا حبيبي ، انا بخير ، وانت ، انت لستمشتاقا الي شوقي اليك ؟ انني اتكلم من دار صديقتي سميرة • لا، من بيروت وليس من بحمدون • لقد جئت معها الى بيروت الان ، اجل يجب ان اراك • متى ؟ الان ؟ لا • الان مستحيل • سأذهب مع سميرة الى السوق ، فنشتــــري بعض الاغراض • ثم اتناول طعام الغداء معها • سأراك بعد الظهر ، الساعة الثالثة اذا شئت ، اجل سأحضر اليك،

الى البيت •• الى اللقاء يا حبيبي الى اللقاء» •--

وألقت بسماعة الهاتف من يدها •

والتفتت الي لتقول : سنتناول طعام الغداء مع الاستاذ نسيب ، ثم اذهب انا الى شفيق •

قلت : ولكن يجب ان اعود بك الى داركم يا آمال • لقد تعهدت بذلك لوالدك • تتناول طعام الغداء مع الاستاذ نسيب ، ثم اعود بك الى داركم •

قالت : اريد ان أراه • لن اعود الى الدار قبل ان ارى شفيقا •

قلت : سأذهب معك الى شفيق ، ثم اعود بك الى داركم •

فوافقت •

قالت : كما تريدين يا حبيبتي •

قلت : سأتصل بالاستاذ نسيب الان ، واتفق واياه على موعد اللقاء •

قلت هذا ، ورفعت سماعة الهاتف لأتصل بمكتب نسيب شهوان •

وسمعت صوت السكرتيرة يرن في أذني عبر اسلاك الهاتف : آلو •• من ؟

قلت : اريد ان اتكلم مع الاستاذ نسيب •

قالت : هل استطيع ان اتشرف بمعرفتك ؟

قلت : قولي له سميرة .

قالت : ماذا تريدين منه ؟

قلت : اريد ان استشيره في دعوى .

قالت : الاستاذ مشغول الان ، سأحدد لك موعدا لمقابلته اذا شئت .

قلت بغضب : لا ـ اريد ان احضر اليه . ارجوك قولي له سميرة تريد ان تتحدث اليك .

وتمتمت بغضب ايضا :«طولي بالك ، بلا نرفزة اذا بتريدي».

فتمتمت : قلت لك ارجوك .

قالت : تفضلي احكي مع الاستاذ .

وسمعت صوت نسيب يهمس : آلو ، من ؟

قلت : استاذ نسيب ، انا سميرة .

وهتف : سميرة ؟ اين انت الان ؟

قلت : هنا في دارنا .

قال : في بحمدون ؟

قلت : لا ، في بيروت .

قال : تعالي .

قلت : الان ؟

قال : اجل الان ، الشمس بدأت تتوسط كبد السماء . لقد حان موعد الغداء ، سنتناول طعام الغداء

معا • تعالي انا بانتظارك •
قلت : انني آتية •
وألقيت بسماعة الهاتف من يدي ، والتفت الى آمال لأقول : تعالي سنذهب الان اليه •
قالت : لماذا لم تقولي له انني رفيقتك اليه ؟
قلت : تعالي •••
وفيما نحن نهم بالخروج من الغرفة ، فوجئنا بأخي يدخل علينا •
ودهش ، وهو يشاهدنا في الدار •
وتقدم مني يقول : منذ متى وصلتما الى هنا ؟
قلت : الان ، وانت متى وصلت ؟
كنت اريد ان اقنعه بأننا لم نعلم بوجوده مع عشيقته في غرفة النوم •
قال : الان ، الان وصلت •
وكان مرتبكا ، مضطربا ، قلقاً ••
كان يخشى ان نقف على سره ونكتشف وجـــود عشيقته في غرفته •
وقلت له : هل تريد شيئا منا ؟
قال : لا ، لا • الى اين ستذهبان ؟
كان يريد ان نخرج من الدار •
وضحكت آمال، وهمست : لن نخرج الان سنبقى

هنـــا •

لقد ارادت الخبيثة ان تثير قلقه وان تزيد اضطرابه•

كانت آمال تميل الى المزاح والضحك •

ووجم اخي والتفت الي ليقول : ماذا جئت تفعلين اليوم في بيروت ؟

قلت : اريد شراء بعض الاغراض •

قال : اذن اذهبي الان قبل ان يشتد الحر •

وضحكت آمال وتمتمت : لماذا تريد ان تبعدنا عن الدار ، أتكون على موعد مع احدى الحسناوات •

وابتسم اخي ابتسامة صفراء ، وهمس : انت سيئة النية يا آمال •

قالت : اطمئن نحن ذاهبتان الان • تستطيـــع ان «تأخذ حريتك» •

قالت آمال هذا ، وأمسكت بيدي لتقول : تعالي يا سميرة ، تعالي •

وخرجنا من الدار واستقللنا سيارة تاكسي ، الـى شارع اللنبي ، الى مكتب الاستاذ نسيب •

ودخلنا الى المكتب ، فاذا بالسكرتيرة تستقبلنـــا بشفتين مزمومتين ، وبحاجبين مقطبين ، وبجبين مكفهـر عبوس •

ولم تكلف نفسها عناء رد التحية •

وعندما حاولنا الدخول ، قالت لنا : لحظة من فضلكما .

قالت هذا ، ونهضت لتدخل الى مكتب الاستاذ ..

واقتربت آمال من الباب الفاصل بين البهو والمكتب لتصغي الى ما يدور بين الاستاذ والسكرتيرة من حديث.

ثم اومأت لي بيدها لأقترب ، فاقتربت ..

وسمعت السكرتيرة تقول للاستاذ : الا تكفيك واحدة ؟ انهما اثنتان .

وسمعنا الاستاذ نسيب يضحك ويقول : «بسيطة.. طمني بالك . ما دامتا اثنتين فليس ثمة اي خطر» .

وهمست السكرتيرة : انا بفرجيك شو راح اعمل.. بدي اعمل متلك .

ومضى في ضحكه وقال :«لو ما بتغاري ما كان في احلى منك».

والتفتت آمال الي لتهمس : يبدو ان صاحبك غرقان في هوى السكرتيرة ايضا .

واذا بالسكرتيرة تخرج وتقول لنا : تفضلا ..

ودخلنا . فاذا بالاستاذ يستقبلنا بابتسامته العريضة، ويرحب بنا شديد الترحيب ..

ودعانا للجلوس ، فقلت له : الافضل ان نذهب الان وتتناول طعام الغداء .

قال : فلنشرب فنجان القهوة ، ثم نذهب •
وضحكت آمال •• وتمتمت : بلاها ••
قال : لماذا ؟
قالت بكل جرأة ومكر ودهـــاء : لئلا تجـــن سكرتيرتك !••
وضحك وهمس :«يا ملعونة ••»
قلت : فلنذهب لئلا يدهمنا الوقت • آمال تريد ان تعود الى دارها ، وانا اريد ان اعود الى بحمدون •
قال : كما تريدين يا حبيبتي •
ونهض •
وسرنا •
واستقللنا سيارته الفخمة لتطير بنا الى «الشاليه» الهادئة الجاثمة عى الرمال السمراء المنبسطة على الشاطىء الرحيب الفسيح الارجاء •
ووصلنا الى «الشاليه» •
وترجلنا من السيارة ، فأسرع السائق يفتح بـــاب «الشاليه» •
ودخلنا • فأبدت آمال اعجابها بذلك الركن الهادىء الانيق •
كانت «شاليه» الاستاذ نسيب ركنا هادئا فخما انيقا• كل ما هناك في تلك الدار الصغيرة جميل رائع •

والتفتت صديقتي الى المحامي لتثني على ذوقه .

قالت : انك لمذواق يا استاذ ، ويظهر ذوقك جليا في تأثيث هذه الدار .

وضحك نسيب .

وتمتم : لو لم اكن مذواقا لما اعجبت بصديقتك سميرة يا آمال واخترتها صديقة لي .

قالت آمال بخبث ومكر ودهاء : وسميرة صاحبة ذوق سليم ايضا يا استاذ نسيب . فهي معجبة بك .

قال : من قال لك ذلك ؟

قالت : هي ، هي تقول انها معجبة بك .

فابتسم ليقول : كذابة لا تصدقيها...

واحتججت على ما تقول آمال ، وقلت : انا لم أقل لك انني معجبة بالاستاذ نسيب يا آمال ، لماذا تخدعينه ؟

فقهقه نسيب ، وقال مازحا :"بالناقص واحدة ..."

قال هذا والتفت الى السائق الذي كان يقوم بتنظيف غرفة الطعام ، ليقول له : ماذا تنتظر ؟ اذهب الى مطعم ابو عبد وقل له ليرسل لنا الطعام . اسرع ، قد تكون الآنسة سميرة مستعجلة كعادتها .

وذهب السائق .

كان سائق الاستاذ نسيب مخلصا له وفيا . وكان شابا قوي البنية يستميت في خدمة سيده .

ودعانا نسيب للجلوس في الصالون ، فجلسنا .
ودخل هو الى غرفة النوم .
وما هي دقائق قليلة حتى سمعت صوته يناديني : سميرة ! تعالي .
وترددت في الدخول ، الا ان آمال شجعتني على تلبية ندائه قالت : اذهبي اليه .
ودخلت الى غرفة النوم ، وقد خيل الي ان نسيباً سيعاتبني لانني اصطحبت معي صديقتي آمال ، وهو يريد ان نكون معا في خلوة . الا انني كنت على خطأ . فهو لم يعاتبني ، بل بالعكس ، فقد لاح لي انه مرتاح لوجود آمال معنا .
وقال لي ، وقد دخلت عليه : انا لم أُهدكِ شيئا حتى الان . اريد ان اهديك تذكارا مني كي تذكريني كلما شاهدته .
قال هذا ، وقدم لي علبة مخملية صغيرة .
وترددت في استلام الهدية ، وقد ادركت ان داخل العلبة الزرقاء الصغيرة حلية .
الا انه اصر علي ، وقال : افتحيها .
وتناولت العلبة وفتحتها ، فاذا بي امام خاتم «سوليتر» رائع جميل ، ترصعه ماسة كبيرة تلمع وهاجة ساطعة .

وهمست : لا يا نسيب ، انا لا اريد ان «تخسر علي» شيئا •

فضحك وتمتم : يا مجنونة ، أتعتبرين هديتي اليك خسارة ؟ انا سعيد جدا لانك ستحتفظين مني بتذكار •

قلت : وهل يخيل اليك ان هذا الخاتم سيذكرني بك ؟

قال : ستذكرينني عندما تشاهدينه •

قلت : سأذكرك دائما يا نسيب • ثق انك تعيش في ذاكرتي •

ولا اعلم ما هي هذه القوة التي دفعتني الى ان أنطق بما نطقت •

وادركت ان نسيباً قوي الشخصية جذاب ، وانه محدث لبق ، يستطيع ان يسحر النساء ببيانه ، وان يرغمهن على البوح بكل ما في قلوبهن •

وكانت كلماتي القليلة مشجعة •••

فاقترب مني ليطوقني بذراعيه ويشدني الى صدره•

ولم ابتعد عنه ، بل التصقت به على شوق وهوى وحب وحنين •

وطوقته بذراعي ••

وغبنا معا في قبلة طويلة حالمة حمراء •

وراح يهمس في اذني كلمات الغزل ، كلمات تسكرني

وتحملني على اجنحة بيضاء وارفة الى عالم غريب ساحر مجهول ..

وتمنيت لو ان وقفتنا تطول ، تطول العمر كله . الا انني تذكرت اننا لسنا وحدنا في تلك الدار ، وان صديقتي آمال جالسة في الصالون .

وحاول نسيب ان يجلسني على السرير ، الا انني همست في اذنه : ان آمال في الصالون تعال ، تعال ندخل الى الصالون .

قال : هي لن تضايقنا ، ولن تفشي سرنا .

قلت ، وانا امسك بيده وأشدها مبتعدة عنه : تعال، تعال .

ونزل عند إلحاحي .

فوضعت الخاتم الماسي الجميل في اصبعي وخرجت معه من غرفة النوم الى الصالون .

وكانت آمال جالسة تقلب صفحات مجلة فرنسية ، فجلست قربها ، في حين دخل نسيب الى قاعة الطعام .

والتفتت آمال الي لتهمس في اذني : هل كنت مرتاحة بين ذراعيه ؟

قلت : «استحي» ، لم يحصل بيننا شيء .

فهمست : لقد شاهدت كل شيء . فلماذا تنكرين؟

فمددت لها يدي ، وتمتمت مشيرة الى الخاتم :

انظري ماذا اهداني •

فأمسكت بيدي ، تمعن النظر في ذلك الخاتم الثمين ، لتهمس : رائع ، رائع ، خاتم ثمين جدا يا سميرة• مبروك •

واذا بالاستاذ نسيب يدخل علينا حاملا زجاجة ويسكي وثلاث كؤوس •

واقترب منا ليقول : سنشرب «كأسا» قبل ان يحضر الطعام •

وصب لنا الويسكي ، فجلسنا نشرب وندخن وتتحدث احاديث شتى •

وبعد قليل اقبل خادم المطعم والسائق يحملان لنا شهي الطعام ، فمداه فوق المائدة •

ودعانا السائق لتناول الغداء •

وجلسنا نشرب الويسكي وتتناول الطعام ، في حين عاد الخادم والسائق أدراجهما •

وعندما انتهينا من الغداء ، عدنا الى الصالون نجلس وندخن •

وقال نسيب : من منكما ستهييء لنا القهوة ؟

قلت : انا سأهيئها •

الا ان آمال اعترضت على ما اقول •

وتمتمت : بل أنا سأهييء القهوة •

قالت هذا ، ونهضت .
وحاولت ان أثنيها عمّا عزمت عليه .
الا انها أصرت .
ودخلت الى المطبخ ، في حين اقترب نسيب مني ،
ليهمس كلمات الهوى والغرام :«يا حياتي ، يا حبيبتي ،
تسلميلي ، يا عيوني .»
انها كلمات يجيدها ويتقنها كل الاجادة والاتقان .
وضمني الى صدره برفق وحنان .
وراحت شفتاه تلامس عنقي ، ووجهي ، وشعري .
وتجاوبت معه .
كنت اشعر بارتياح عميق وانا قربه .
ونسينا ان آمال في المطبخ .
وضعنا ...
واذا بآمال تدخل علينا فجأة حاملة القهوة .
ودهمتنا بالجرم المشهود .
فتراجعت مبتعدة عن نسيب والخجل يصبغ وجنتي.
وتمتمت آمال وهي تقدم لنا القهوة: خذا حريتكما.
انا لست بغريبة عنكما .
وابتسم نسيب وقال :«تسلميلي شو بتفهمي . تعي،
تعي اقعدي حدي..»
وجلست قربه .

اي ان نسيباً جلس بيني وبين آمال .
ورحنا نرشف القهوة .
وامتدت يد نسيب الى يدي تشدها بشوق وحنين،
وهمس : يا عيوني !
وأشرت بطرف عيني الى آمال انبهه الى انها تراناه
وهمست : استحِ ..
وقال بصوت عالٍ : ممن تريدين ان استحي ؟ من آمال ؟ أتكون غريبة عنا ؟
وسمعت آمال ما قال ، فضحكت وقالت : خذا حريتكما .
وامتدت يد نسيب الى يد آمال تشدها ، وتمتم : «تسلميلي..»
وخيل الي انها ستسحب يدها من يد نسيب .
خيل الي ان حبها لشفيق واخلاصها له سيهيبان بها الى الابتعاد عن خيانته .
ولكنني دهشت عندما شاهدت اصابعها تداعب اصابع نسيب ، وهي مرتاحة كل الارتياح لتلك المداعبة.
واذا به يطوقها بذراعيه ..
ولم تبتعد عنه ..
وقبلها، فبادلته القبلة .
وضحكت ..

وقلت لهما مازحة : خذا حريتكما فأنا لست بغريبة عنكما ...

وقهقه نسيب ، وقال : انتما حبيبتا قلبي .

ولم تثر مداعبته لآمال غيرتي .

بل بالعكس ، فقد كنت مرتاحة لمرآهما وهمـــــا متعانقان .

ومضى نسيب في المغامرة ..

فكان يقبلني ، ثم يقبل آمال ، ويضمها ، ثم يضمني الى صدره ..

ولم يلبث ان وقف ليقول : فلندخل الى غرفة النوم لن نرتاح هنا .

وحاولت الاعتراض .

ولكن آمال قطعت علي سبيل الاعتراض ، عندمـــا نهضت لتمسك بيده وتسير واياه الى غرفة النوم ..

والتفتت آمال الي لتقول : تعالي يا سميرة .

ولحقت بهما .

ودخلنا غرفة النوم .

واصبحنا فتاتين وشابا في غرفة نوم واحدة .

واستلقى نسيب على السرير .

واستلقت آمال قربه .

اما انا فقد وقفت انظر اليهما بدهشة ووجـــــوم

واستغراب .

وضمها الى صدره برفق وشوق وحنان ، فاغمضت عينيهابدون ان تبدي اية مقاومة ، ولا اي اعتراض .

فكأنها خليلته منذ امد بعيد .

وراودتني فكرة عابرة ، لم تلبث ان توارت عن خاطري : ترى أتكون هناك علاقة غرامية من وراء ظهري بين آمال والاستاذ نسيب ؟

أتكون عشيقته منذ أمد بعيدبدون ان ادري ؟

وأجبت نفسي على السؤال ، قلت في خاطري «لا» لأنْ آمال كانت تبدي حيال المحامي الكبير الخجل والحياء ، وهي لم تكن تعلم ان الاستاذ نسيباً يملك تلك الشاليه الانيقة الفخمة ، الجاثمة على شاطىء البحر بتيه ودلال واعتداد .

ولو انها على علاقة سابقة به لما جهلت ان للاستاذ نسيباً مثل هذه الشاليه .

ولكنها كانت تتجاوب معه ، وهما على السرير الوثير ، في الضم والقبل والعناق .

فكيف أفسر هذه المتناقضات ؟

ثم ان آمال تستميت في هوى حبيبها شفيق ايوب، فكيف تخون شفيقا مع الاستاذ نسيب بكل هذه السهولة؟

اتراها تحب نسيباً وتحب شفيقا في آن واحد ؟

وهمست في سري ، وانا القي بجسدي الواهي المضطرب على الصوفا قرب السرير : انني لأكاد اضيع • آمال افقدتني ثقتي بالحب وبالوفاء وبالاخلاص •

وغرقت في تفكيري وانا اشاهد مغامرات الاثنين •

كنت اريد ان اتوصل الى جواب واحد على عشرات الاسئلة التي تتردد في خاطري •

كيف تستسلم آمال للاستاذ نسيب وهي تحب شفيقا ؟

كيف تلقي سلاحها امامه منذ القبلة الاولى ؟

لماذا تخون حبيبها ؟

أتراها لا تحب شفيقا ؟

وأدركت ، بعد تفكير طويل ، ان آمال من نوع النساء اللواتي يحببن بقوة وبعنف وجنون ، ويخن بجنون وبقوة وعنف •

هناك نوع من النساء قوي العاطفة ، ثائر الجسد، لا يستطيع ان يصمد امام العواصف العاطفية ، ولا امام رياح التجربة التي تهب عليه •

يحب هذا النوع من النساء منذ النظرة الاولى ويستسلم منذ اللمسة الاولى •

هذا النوع من النساء يعيش على هامش الحياة •

فهو كالحيوان ، لا يقيم وزنا للقيم الروحية ، ولا

يعترف بالشرائع المقدسة التي تفرضها الحياة ، وتقرهــا الطبيعة ، ويقدسها الدين .

وتذكرت ، وانا جالسة على الصوفا استعــرض مسرحية الهوى والغرام التي يقوم بتمثيلها نسيب وآمال، ما قالته لي مرة صديقتي الفرنسية اوديت موران ، وكانت امرأة فاتنة ، وهي زوجـــة مستشار كبير في الدولة ، والمستشار يومذاك كان كلشيء في الدولة. فهو فيمقام يعلو على مقام الوزير . وكان لكل وزارة مستشارهــا الذي يحل ويربط ويأمر وينهي ، وما على الوزيــر الا الموافقة والتوقيع .

وكانت اوديت تحب مفتشا لبنانيا في الامن العام، وتحب زوجها ايضا، وكانت تطلعني على جميع اسرارها..

وقد سألتها مرة : من تحبين .. زوجك ام المفتش؟

فضحكت وقالت : الاثنين .. احب زوجي وأحب المفتش .

قلت : هل يمكن ان يتسع قلب المرأة لاثنين .

قالت : انت ما زلت صغيرة يا سميرة . عندمـــا تكبرين وتحبين وتعشقين وتتزوجـــين ستدركين اسرار الهوى والعشق والحب والغرام . انك تنظرين الان الى الحب من أسفل الى أعلى . انت في الوادي البعيـــد السحيق ، والحب منك على القمة العاليـــة الشامخة ، فترينه عاليا قاصيا رائعا بعيد المنال ، ولكنك عندمـــا

تبلغين القمة ، ستنظرين من فوق ، من اعلى . لتشاهدي الحب صغيرا تافها يجثم بذل وانكسار في قعر الوادي القصي البعيد .

قلت : ولماذا تريدينني ان انتظر ريثما اصل الــى القمة كي اسبر غــور الحب وأدرك اسراره ؟ لماذا لا تطلعينني انت الان على هذه الاسرار ؟

قالت : اسمعي يا سميرة . ان المرأة بحاجة الــى حبيب ، والى عشيق ، والى صديق . اذا استطاع زوجها ان يكون الحبيب والعشيق والصديق ، اكتفت به . والا فهي ستكون بحاجة الى ثلاثة رجال . الى رجل يبثهــا وتبثه العاطفة الصادقة والشعور العميق ، والى عشيــق يشبع نهم جسدها ، والى صديق تلقي بهمومها علــى صدره ، وتبوح له بأسرارها ، وتستشيره في كل مــا تريد الاقبال عليه .

وتذكرت تلك الساعة ، وانا في غرفة نوم الاستاذ نسيب في الشاليه ، تذكرت كلام اوديت موران .

وهمست في سري : اوديت على حق . يبدو ان آمال لم تجد في شفيق ايوب سوى الحبيب الذي تبثه العاطفة والهوى والشوق والحنين ويدللها ويسمعها كلمات الغزل الشجية المسكرة . وها هي الان تقع على العشيق الذي يشبع نهم جسدها . وهي ستبحث حتما عــن الصديق المخلص الوفي .

واذا بالأستاذ نسيب يقطع علي حبل تفكـــيري ويناديني : سميرة ! ما بك ؟ لماذا تجلسين بعيدا ؟ تعالي.

وآبيت ان اجيبه الى طلبه .

انه يدعوني الى الاقتراب منه ، وهو يضم آمال بين ذراعيه .

ولم اجب ، ولم ألتفت اليه .

فاذا بآمال تناديني ايضا : سميره ! تعالي ، تعالي.

قلت : انني مرتاحة هنا يا آمال .

وقفز نسيب من السرير ليمسك بيـــدي هامسا : تعالي يا حبيبتي تعالي . لماذا تجلسين بعيدة عني ؟

ومضيت في صمتي .

وأبيت ان انهض عن الصوفا .

فما كان منه الا ان حملني بين يديه ، وألقى بـــي على السرير قرب آمال ..

وحاولت النهوض والعودة الى الجلوس علــــى الصوفا ، الا ان آمال امسكت بي وطوقتني بذراعيها ، وهمست في اذني : هذه الفرصة لن تسنح لنا مـــرة ثانية . لا تبتعدي عنا . ظلي هنا .

وألقى الاستاذ نسيب بجسده الملتهب بيننا .

وضمني بيسراه ، في حين ضم آمال بيمناه .

وغرقنا معا ، انا والاستاذ وآمال ، في يم عميق شاسع رحيب من الحب والجوى والغرام .

كنا في وضع يثير الدهشة والاستغراب • رجل وفتاتان في سرير واحد •

وضعنا •••

كان نسيب بارعا في القيام بأدوار الغرام •

ولم اشعر بغيرة من آمال ، وانا اشاهدها ترتمي على صدر نسيب •

كما انها ايضا لم تكن تشعر بالغيرة مني ، عندما تشاهدني بين ذراعيه •

بل بالعكس ، فقد كانت تشجعني على الاندفاع نحوه وتشجعه على ضمي وعناقي •

ومضى الوقت سريعا بدون ان نشعر به •

وفيما كان نسيب يعانق آمال حانت مني التفاتة الى الساعة في معصمي فاذا بها تشير الى الثالثة والنصف بعد الظهر •

وأطبقت على اذن آمال هامسة : يجب ان تذهبي الى شفيق يا آمال • الساعة الآن الثالثة والنصف •

وانسلخت آمال عن الاستاذ نسيب والنار تندلع من عينيها الحمراوين •

وهمست : اوه ، ليتني لم اضرب له موعدا •

قلت : تعالي ، يجب ان تفي بموعدك له •

ووثبت آمال من السرير •

وأمسك الاستاذ نسيب بيدها يشدها هامسا : إلى

اين ؟

قالت : يجب ان اذهب . انني على موعد مع شفيق .

فضحك الاستاذ وتمتم : «هلق وقت شفيق ؟»

وتدخلت بينهما لاقول : يجب ان تذهب يا نسيب.

فخيل للاستاذ انني اريد ان اتخلص منها لاظل وحدي معه ، الا انه دهش عندما تابعت كلامي لاقول : وسأذهب انا معها ايضا .

قلت هذا ، ووثبت ايضا من السرير .

ولحق بنا نسيب محاولا اقناعنا بالبقاء قربه .

وكادت آمال تلين ، كادت توافق على البقاء ، الا انني رحت أحرضها على الذهاب .

كنت اخشى ان تتجاوز الحدود مع نسيب وان يضيع هو ، ونضيع نحن ، وتقع الكارثة ...

وبدأنا نرتدي ثيابنا .

وراح نسيب يرتدي ثيابه ايضا .

وتمتم ، وقد انتهى من ارتداء ثيابه : سأنقلكما بسيارتي الى حيث تريدان ، ولكن بشرط .

قلت له : ما هو شرطك ؟

قال : بشرط ان تعودا الى هنا .

فضحكت وقلت : متى تريدنا ان نعود ؟ الساعة الان تشير الى الثالثة والنصف . وسنذهب الى شفيق.

ومن المؤكد ان آمال لن تروي شوقها من حبيب القلب والروح قبل ساعة او ساعة ونصف ، اي اننا لن نخرج من دار شفيق قبل الخامسة • وعندئذ يتحتم على آمال ان تعود الى دارها ، ويتحتم علي ان اعود الى بحمدون•

فأمسك بيدي ليقول : لا تعودي الى بحمدون فلنقض هذه الليلة معا هنا •

وضحكت ، وقلت : هل جننت ؟

واقتربت آمال منا لتقول : ان قضاء ليلة معك هنا تساوي العمر يا استاذ • ولكن ما العمل واليد قصيرة ، والعين بصيرة •

وانصرفت آمال الى الماكياج مستعينة بمرآة صغيرة كانت في محفظتها •

فما كان من الاستاذ نسيب الا ان فتح درج «التواليت» واخرج منها جميع ادوات الماكياج النسائية•

وقال : كل ما تحتاجين اليه من «روج» و«بودر» و«بارفام» و«كريم» موجود •

وضحكت، وقلت له : يبدو ان كثيرات غيرنا يزرنك يا استاذ •

وقهقه نسيب وتمتم : على الانسان ان يكون متحسبا دائما للطوارىء •

وانصرفت انا ايضا الى «الماكياج» ، فسرحت شعري ورششت قليلا من البودرة على وجهي وصبغت شفتي

بالاحمر •

والتفت الى الاستاذ لأقول : تفضل يا استاذ...

وخرجنا من الشاليه •

وكان السائق نائما في السيارة ، فايقظه نسيب •

وطارت بنا السيارة الى دار شفيق ايوب ، ووصلنا الى امام تلك الدار ، فترجلت آمال ، وترجلت انا معها •

وقال الاستاذ نسيب : متى ستكونين في داركم يا سميرة ؟

قلت : لماذا ؟

قال : سأمر بك وانقلك الى بحمدون •

قلت : سأتصل بك هاتفيا ما بين الخامسة والسادسة. اين ستكون انت ؟

قال : سأنتظر هاتفك في المكتب حتى الساعة السادسة •

وودعنا نسيب وعاد ادراجه ، في حين اتجهت انا وآمال الى الباب نقرعه •

وفتح الباب •

وأطل منه شفيق •

ودهش وهو يشاهدني مع آمال •

كان ينتظر ان تكون آمال وحدها ، الا انه رحب بي شديد الترحيب •

ودخلنا •

وخيل لشفيق انني سأعود ادراجي بعد قليل •

الا ان دهشته ازدادت عندما رآني اجلس قرب آمال على المقعد الرجراج الوثير في الصالون •

وجلس هو قرب آمال هامسا في اذنها : انني في شديد الاشتياق اليك يا حبيبتي •

وشدت يد آمال يده، وتمتمت : شوقي اليك يفوق شوقك الي يا شفيق ، لقد جئت محمولة على اجنحة الشوق اليك يا حبيبي •

قال : سيطل علينا يوم ، وهو قريب ان شاء الله ، لا نفترق فيه عن بعضنا ، سيطل يوم اظل فيه قربك يا آمال، وتظلين فيه قربي العمر كله •

فارتمت آمال على صدره ، وهمست : يا حبيبي •

وصبغ الخجل وجه شفيق ، وهو يشاهدني قربهما•

ووقفت لأقول : خذا حريتكما ، انا ذاهبة •

قالت آمال : الى اين ؟

قلت : سأنتظرك في دارنا ، ولكن لا تتأخري يا آمال • انت تعلمين انني سأرافقك الى دارك لاسلمك الى والدك «تسليم يد» كما اتفقنا ، ثم اصعد الى بحمدون•

وأمسكت بيدي تشدها وتقول : لا ، لا تذهبي ، بعد نصف ساعة فقط سأذهب واياك •

واحتج شفيق وقال : نصف ساعة ؟ نصف ساعة فقط ؟

قالت : انني مضطرة للعودة الى الدار يا شفيق ، كما تعلم •

قال : لن ادعك تعودين قبل ساعتين •

فضمته الى صدرها ، على مرأى مني •

وهمست : هل يخيل اليك اننا سنرتوي من اللقاء، ولو طال هذا اللقاء الساعات الطوال ؟ اتمنى لو انني اظل قربك ، لا ساعتين فحسب ، بل العمر ، العمر كله يا شفيق • ولكن ما حيلتي والقيود تكبل يدي ، وأهلي يفرضون حصارهم علي ؟

قال : اخشى ألا تستطيعين التخلص من هذه القيود يا حبيبتي • انني اخشى ان اخسرك يا آمال •

قالت : اطمئن • ما دامت سميرة نصيرتي ، فلن تخسرني • ستعود بي اليك • غدا او بعد غد • وستظل سميرة تساعدنا على اللقاء ريثما يتمكن الاستاذ نسيب شهوان من اقناع والدي بالموافقة على زواجنا •

قال : ومتى ؟ متى سيبدأ الاستاذ نسيب مساعيه الحميدة هذه ؟ متى سيخاطب والدك في امرنا ؟

فتوليت انا الجواب .قلت : غدا او بعد غد على الاكثر • اطمئن • ان الاستاذ نسيباً وعدكما بحل معضلتكما هذه ، وهو يفي اذا وعد •

وعدت الى الجلوس قربهما •

وطوقته آمال بذراعيها ، فسمعته يهمس في اذنها:

ان سميرة تراانا يا آمال .

وضحكت آمال وتمتمت : «سميرة مش غريبة ..»

وقلت : خذا حريتكما .. اذا شئتما خرجت الـى الشرفة .

قالت آمال : انت لست بغريبة عنا يا آمال . ابقي.

ولم يفه شفيق بحرف .

فكأنه يريد مني ان اخرج كي يستطيع ان «يأخـذ حريته» .

وخرجت ..

خرجت الى الشرفة لأدخن لفافة .

وجلست على الشرفة .

ورحت افكر بما كان بين آمال ونسيب منذ قليل.

لقد كانت منذ اقل من ساعة بين ذراعي الاستـاذ نسيب ، وهي الان بين ذراعي حبيبها شفيق .

خائنة ...

فهي تخون حبيبها مع نسيب ، أتراها تحب نسيباً ايضا ؟

لا ، من المؤكد انها لا تحبه ، وقد تكون مخدوعة ايضا في حب شفيق ايوب .

لو انها تحب شفيقا لما استطاعت ان تخونه مـع نسيب .

آمال لا تحب احدا .

لا تحب الا نفسها ، الا جسدها .
ومضيت في التدخين والتفكير .
وطال تفكيري .
ورمقت الساعة المشدودة الى معصمي ، فاذا بها تشير الى الخامسة والنصف .
الخامسة والنصف ؟
الاستاذ نسيب ينتظرني في مكتبه حتى الساعة السادسة .
يجب ان اعود الان لأصل الى دارنا قبل الساعة السادسة وأتصل من هناك هاتفيا بالاستاذ نسيب .
ونهضت ...
وسرت نحو باب الشرفة ، ورأيت من خلال زجاج الباب آمال وشفيق ..
كانا في مشهد مثير فاضح مجنون .
وتوقفت قليلا استعرض آمال وشفيقا في موقفهما الثائر المفضوح ، قبل ان ادخل عليهما .
وتذمر شفيق ، وهو يراني ادخل عليهما .
وانسلخ عن آمال .
وتقدمت منهما لاقول : الساعة تشير الى الخامسة والنصف ، يجب ان نعود .
ووقفت آمال وتمتمت : اجل يجب ان نعود .
قال شفيق : الان ؟ الان تعودين يا آمال ؟

قالت : اني مضطرة للعودة الان • يجب ان اكون في الدار قبل الساعة السادسة •

ووقفت، وراحت تسرح شعرها وتصلح«مكياجها» •

ووقف شفيق وتمتم : متى سأراك يا آمال ؟

قالت : سأتصل بك هاتفيا •

وودعته ••

وخرجنا لنستقل تاكسي ونطير بها الى دارنا •

ورحنا نتحدث فيما تجتاز السيارة بنا شوارع بيروت واحياءها •

وقالت آمال : الى اين سنذهب الان ؟

قلت : سنشخص الى دارنا فاتصل من هناك بالاستاذ نسيب هاتفيا واطلب اليه ان يوافينا • ثم نذهب بك الى دارك حيث اسلمك الى والدك وأفي بوعدي معه • لقد وعدته بأن اعيده اليك سالمة ، أليس كذلك يا آمال ؟

وتمتمت : لا ، لن اعود الى الدار الليلة •

فوجمت ، وقلت : والى اين ستذهبين ؟

قالت : سأظل برفقتك •

قلت : وتعودين معي الى بحمدون ؟

قالت : لا ، انت لن تعودي الى بحمدون الليلة يا سميرة •

فازددت دهشة ووجوما وهمست : ماذا تقولين ؟

قالت : عندما نصل الى داركم سأبسط لك الخطة التي رسمتها •

وصمت ، وصمتت آمال ••

ورحت افكر : ما هي هذه الخطة التي تقول آمال انها رسمتها ؟

ولم استطع ان اجيب نفسي على هذا السؤال ••

وساد الصمت بيننا •

ووصلت بنا السيارة الى امام دارنا ، فترجلنا منها ودخلنا •

وكانت الساعة قد اشرفت على السادسة فاتجهت الى مكتب والدي في الدار •

وهممت برفع سماعة الهاتف فسألتني آمال : ماذا تفعلين ؟

قلت : سأتصل بالاستاذ نسيب واطلب اليه ان يوافيني الى هنا •

قالت: مهلا • سأتحدث اليك مليا قبل ان تتصلي به •

قلت ، وقد بدأ صبري ينفد : قولي ما تريدين قوله بسرعة • انني اخشى ان يخرج الاستاذ نسيب من مكتبه بعد ان تحل الساعة السادسة •

قالت : اسمعي يا سميرة •• ان الاستاذ نسيب طلب الينا ان نقضي الليل معه في الشاليه • أليس كذلك ؟

قلت : اجل وقد رفضنا طلبه •

قالت : بل نحن سنجيبه الى طلبه وسنقضي ليلتنا هذه معه .

فعقدت الدهشة لساني ، وانا اسمع ما تقول .

وتمتمت : هل جننت ؟

قالت : لا .. انا ما زلت بكامل عقلي .

قلت : وكيف تريدين ان نقضي ليلتنا مع الاستاذ نسيب ؟ وماذا سأقول لوالـــدي ؟ وماذا ستقولين انت لوالدك .

فارتسمت ابتسامة مكر وخبث ودهاء على شفتيها .

وتمتمت : لقد تدبرت الامر . رسمت خطة لا تخطر على بال .

قلت : ما هي هذه الخطة التي لا تخطر على بال الا على بال حضرتك .

قالت : ستتصلين انت بأهلي هاتفيا الان . قد يرد عليك والدي او ترد والدتي ، فتقولين : انا اتكلم مــن بحمدون . ان آمال عندي . لن تحضر الليلة . ستنــام عندي وغدا صباحا اكون معها عندكم .

قلت : عال .. لقــد حلت معضلتـــك .. بقيت معضلتي .

قالت : وسأتصل انا الان بأهلك هاتفيا من هنا . وأقول لهم : سميرة عندي . ولن تحضر الليلة الــى بحمدون . ستكون عندكم صباح غد . هي ستنـــام

عندي .

فوجمت ، يا لها من ماكرة خبيثة شريرة .

وتابعت آمال كلامها .

قالت : ونذهب مع الاستاذ نسيب الى الشاليهوننام عنده .

قلت : لا . لا . انا لا اوافقك على تنفيذ هذه الخطة . انها خطة خطرة .

قالت : «مجدوبة ..» هذه فرصة لن تسنح لنا كل آن وحين . ستكون ليلتنا هذه من ليالي العمر التي لا تنسى .

قلت : ولكننا رفضنا طلب الاستاذ نسيب . فكيف تريديننا ان نتراجع وان نقول له : نحن موافقتان على قضاء الليل معك ؟

قالت : «حمارة ستظلين» كل ايام حياتك ، اتركي الامر الي ، انا سأتولى حل هذه المعضلة ، اتصلي الان بالاستاذ نسيب واطلبي اليه ان يحضر .

ورفعت سماعة الهاتف .

وطلبت الى عاملة التلفون ـ والعهد يومذاك عهد العاملات ، لم يكن الهاتف الآلي قد وصل الى لبنان ـ طلبت اليها ان تصلني بمكتب الاستاذ نسيب .

وقالت عاملة الهاتف : النمرة مشغولة .

وعدت بعد قليل اطلب الى العاملة ان تصلني

بالاستاذ نسيب ، فعادت تتمتم : مشغولة •

وظلت «النمرة مشغولة» حتى الساعة السادسة والنصف •

وأخيرا ، في الساعة السادسة والنصف تمكنت من التحدث ، عبر اسلاك الهاتف ، الى الاستاذ نسيب •

وقال نسيب وقد عرف صوتي : «اهلا بالقمر» •

قلت : يبدو انك مشغول يا استاذ • منذ الساعة السادسة وانا احاول الاتصال بك عبثا •

قال : فعلا ، كان هاتفي مشغولا •

قلت : من هي هذه «الملعونة» التي شغلت هاتفك طيلة نصف ساعة ؟

قال : انني قادم اليك وسأخبرك كل شيء •

قلت : انا في انتظارك •

وألقيت بسماعة الهاتف من يدي ، وجلست قرب آمال •

ورحنا ندخن ونتحدث •

وقلت : انا خائفة يا آمال من تنفيذ هذه الخطة الجهنمية الخطرة • اخشى ان يكشف سرنا •

قالت : لا تخافي ، لن يكشف احد سرنا • لا انت ستفشين هذا السر ، ولا انا ، ولا الاستاذ •

قلت : انني افضل العودة الى بحمدون •

قالت : اما انا فأفضل قضاء الليل في شاليه الاستاذ

نسيب .

وصمت ، ورحت ادخن وافكر .

وكنت قلقة مضطربة حيرى .

لا اعلم ماذا علي ان افعل . أأوافق آمال ام ارفض الاشتراك معها في تنفيذ تلك الخطة المرسومة الخطرة ؛

.. ولم تنتظر آمال مني ان اعلن موافقتي ، بل رفعت سماعة الهاتف لتطلب الى «عاملة التلفون» انتمهد امامها الاتصال بدارنا في بحمدون .

ولم احاول منعها ، بل اكتفيت بالصمت وبالتدخين.

وما هي دقائق قليلة حتى رن جرس الهاتف .

وقالت العاملة : معك بحمدون . تفضلي احكي .

و«حكت» ، وردت عليها والدتي ، فقالت : انا آمال يا «تانت» ، لا تقلقي . ليس هناك ما يشغل البال. ان سميرة عندي ، وقد ارغمتها على البقاء معي . ستنام الليلة عندنا ، وتشخص اليكم غدا .

وقالت لها امي : دعيني اتكلم معها .

ودفعت بالسماعة الي وقالت : تفضلي ، احكي مع «الماما» .

وتكلمت مع امي .

فقالت : ما بك يا سميرة ؟ لقد اقلقت خاطري يا ابنتي . لماذا لم تعودي الى بحمدون ؟

قلت : لقد ارغمتني آمال على البقاء عندها الليلة.

سأكون عندكم صباح غد يا «ماما» •

قالت : كما تريدين يا ابنتي •

وألقيت بالسماعة من يدي ، فتلقتها آمال لترفعها الى اذنها وتطلب الاتصال بدارها •

والتفتت الي لتقول : عليك الان ان تقولي لأمي ما قلت لأمك •

وتحدثت الى امها ، فقلت لها : انا سميرة يا «تانت» انني أتكلم من بحمدون ، لقد ارغمت آمال على البقاء عندنا • ستنام هنا الليلة وأكون معها عندكم في الصباح•

وقالت امها : لقد كنا في قلق عليها يا ابنتي يا سميرة • كنا نريد ان تتصل بكم هاتفيا الان ، لاسيما وكنت قد وعدتنا بان تحضري واياها منذ الصباح •

قلت : الطقس جميل هنا في بحمدون ، والنسائم العطرة اغرتنا في البقاء • سنحضر غدا صباحا •

قالت الوالدة : على الاقل تهربان من حر بيروت . لا بأس سنكون بانتظاركما غدا صباحا •

وألقيت بالسماعة من يدي وتنفست الصعداء •

وقلت لآمال : لقد فاتنا «قطوع» •

قالت : لماذا ؟ وما هو هذا «القطوع» ؟

قلت : كان اهلك على وشك الاتصال هاتفيا بنا في بحمدون ، وقد خيل اليهم اننا ما زلنا هناك • تصوري ماذا كان سيحدث لو انهم اتصلوا بأهلي في بحمدون

وقالوا لهم اننا جئنا الى بيروت منذ الصباح •

قالت : الحمد لله على السلامة •

قلت : لقد نفذت الخطة التي رسمتها انت ، فماذا سنفعل الان ؟

قالت : اتكلي علي • انا سأكمل تنفيذ الخطة ، وسترين ان صديقتك آمال تملك من الذكاء ما يؤهلها لرسم وتنفيذ الخطط الكبرى •

قلت : ولكن ماذا سنقول للاستاذ نسيب الان ؟ انه آت لينقلني الى بحمدون • هل تريدين ان تقولي له: «نريد ان نقضي الليلة عندك في الشاليه» هكذا بكل جرأة وقحة ؟

قالت : ألم يدعنا هو نفسه لقضاء الليلة عنده ؟

قلت : دعانا ورفضنا •

قالت : «اوه • قديه غشيمه» • قلت لك اتركي الامر الي •

ورن جرس الباب •

وتمتمت : انه هو ، لقد اقبل •

وأسرعت لأفتح الباب • فاذا بي امام الاستاذ نسيب •

وقبل ان يحييني ضمني الى صدره وطبع قبلة ملتهبة حمراء على عنقي •

وهمس : مشتاق اليك •

قلت : هكذا تشتاق بسرعة يا استاذ ؟

قال : لو تعلمين كم احبك لما سألت مثل هـــذا السؤال !

قلت بتهكم : (عارفه ، عارفه) .

قال : ألا تزال آمال هنا ؟

قلت : اجل ، تفضل !

ودخل ، ووثب الى آمال يعانقها .

ثم التفت الي ليقول : لقد تأخرت عليكما .

قلت : كنت مشغولا بالتكلم هاتفيا الى حبيبـــة قلبك ، قل لي من هي ؟

قال : مجنونة . وهل هناك حبيبة الى قلبي غــير سميرة ؟

فضحكت وقلت : وآمال ؟

قال : وآمال ايضا .

قلت : والسكرتيرة ؟

فقهقه وتمتم : السكرتيرة من «حواضر البيت» .

قلت : وهذه التي كنت تتحــدث اليها هاتفيا الان زهاء ساعة ؟

فجلس واشعل سيكارا نفث دخانه في الفضاء .

وقال : مظلوم وحياة عينك هالمرة مظلوم . انا لم اكن اتحدث مع فتاة كما تتوهمين .

قلت ، وكأنني محقق يستجوب متهما : مع من كنت

تتكلم اذن ؟

قال : مع سامي بك الصلح •

قلت : تكلمت معه زهاء ساعة ؟

قال : اجل • كان سامي بك يستشيرني في دخول الوزارة الجديدة ، هو يرشحني لوزارة العدل ، وقد قال لي : ما هو رأيك في الاشتراك معنا بالوزارة الجديدة ؟

قلت : طبعا وافقت •

قال : لا • لم اوافق «عالعمياني» • بل سألته : «من هم الرفاق الذين سيشتركون معنا ؟» قال : «لم اخترهم كلهم • وانني ما زلت ابحث الامر مع رئيس الجمهورية الاستاذ الفرد نقاش» • قلت له : «ولكن المهمة صعبة يا ساميبك والبلاد تتخبط في ازمات خانقة• والحرب مندلعة • والحال الاقتصادية لا تسر عدوا ولا صديقا ، والمجاعة تهدد البلاد • والفرنسيون يحكسون بأمرهم ، وأخشى ان تحترق اذا اصررت على تشكيل الوزارة وتحرقنا معك» • قال سامي بك : «ولا يهمك ، نحن هنا لأنقاذ البلاد من جميع هذه الازمات • انت خائف ؟ وعلى شو خايف ؟ خليك قبضاي متل سامي بك» • ومضينا في الحديث ، ومضى الوقت ونحن نتباحث في امر تشكيل الوزارة، وحضرة جنابك تنتظرين على الهاتف وتلعب الغيرة في رأسك •

قلت : وعلى ماذا تم الاتفاق اخيرا بينك وبين سامي بك ؟

قال : لقد تم الاتفاق على ان يعود للاتصال بي ثانية .

قلت : اذن ستصبح وزيرا وسنخسرك .

قال : بالعكس ، انت ستصبحين حبيبة قلب الوزير. وضحكنا .

ونهض نسيب ليقول : تفضلا ، سنوصل آمال الى دارها . ثم نوصلك الى بحمدون . سأشتغل الليلة سائق تاكسي .

وزمت آمال شفتيها ، وقطبت حاجبيها ، وأشارت الي لاقترب منها ، فاقتربت .

وهمست في اذني : قولي له ان آمال لا تريد ان تعود الى دارها الليلة لانها خائفة من اهلها . واتركي الباقي علي .

ودون ان افهم ماذا تريد وما هي هذه الخطة الجديدة التي رسمتها في رأسها ، ابتعدت عنها على حيرة ووجوم .

وقال نسيب : ما بكما تتوشوشان ؟

قلت : آمال واقعة في معضلة ، فهي لا تريد انتعود الليلة الى دارها لانها تخاف اهلها .

واقترب من آمال ليقول : لماذا تخافين يا حبيبتي ؟

قالت : ماذا سأقول لأهلي اذا سألوني اين قضيت نهارك ؟ كان من المقرر ان اعود في الصباح ، ولن استطيع ان اعود الى دارنا في المساء .

قال : بسيطه ، تعودين معنا الى بحمدون .

قالت : مستحيل . لقد ودعت والد ووالدة سميرة في الصباح . فماذا سيقولان وهما يشاهدانني اعود اليهما في المساء ؟

وابتسم الاستاذ نسيب وكأنه اهتدى الى حل . وتمتم : عندي فكرة .

قلت : ما هي ؟

قال : لن نعود الى بحمدون ، ولن تعود آمال الى دارها .

قلت : واين سنقضي هذه الليلة ؟

قال : عندي في الشاليه .

ووجمت . ان آمال فتاة داهية خارقة الذكاء . يا لها من خبيثة ماكرة . لقد استدرجته لقول ما تريد أن تقوله هي .

ومضى نسيب في حديثه قال : ان الله معي . دعوتكما لقضاء الليلة معا فرفضتما ، الا ان الله دبر الامر وأرغمكما على قبول دعوتي .

قلت : ان الشيطان هو الذي دبر هذا الامر وليس الله .

قال : «بلا طق حنك» • انا لا انعامل مع الشياطين ولم اعرف شيطانا ولا شيطانة الا انت وآمال •

وتمتمت آمال ، وهي تتظاهر بالخجل : لا ، لا • لن نذهب معك الى الشاليه مرة ثانية يا استاذ نسيب ، يكفي ما حدث اليوم •

فأمسك بيدها يشدها ويقول : «بلا غنج بتستنني» تعالي •

والتفت الي ليقول : تعالي يا سميرة ، تعالي •

وسرنا معه •

ودلفنا الى سيارته الفخمة الانيقة •

وجلس الاستاذ نسيب قرب السائق ، وجلست انا وآمال في المقعد الخلفي •

وطارت بنا السيارة الى الشاليه •

•• وانحنيت على اذن آمال ، والسيارة تجتاز بنا شوارع بيروت ، وهمست : يا لك من شيطانة ، لقد استطعت ان تنفذي الخطة التي رسمتها بكل دقة ومهارة واتقان •

وقرصت آمال يدي وهمست : صديقتك تعجبك••

والتفت نسيب الينا ليقول : بماذا تتهامسان ؟

قلت مازحة : ما يخصك •

وضحك وقال : عندك حق •

ووصلت بنا السيارة الى امام الشاليه ، فأسرع

السائق يفتح الباب •

وفيما انا وآمال ندخل الباب سمعت الاستاذ نسيب يقول للسائق : قل لأبي عبد الله ان يرسل لنا عشاء فاخرا واذهب انت • لن اكون بحاجة اليك قبل صباح غد • كن هنا عندي في الساعة الثامنة من الصباح •

وذهب السائق •

ودخل نسيب في اثرنا •

وجلست مع آمال في الصالون ، في حين دخل نسيب الى قاعة الطعام •

وهمست في اذن آمال : هذه المغامرة تخيفني وترعبني • لم يكن لنا ان نحضر ليلا الى هنا •

فتمتمت آمال : لقد حضرنا الان ، وانتهى الامر •

ودخل علينا نسيب حاملا زجاجة ويسكي وثلاث كؤوس وبعض الاثمار والحلوى •

وقال : سنشرب قليلا من الخمر قبل ان نتناول العشاء •

ووقفت آمال لتقول : فلنجلس على الشرفة •

قال : انت مذواقة يا آمال • الجلوس على الشرفة افضل من الاختناق هنا في الصالون •

وخرجنا الى الشرفة •

وجلسنا نرشف الخمر ونتحدث •

وكانت الجلسة رائعة ، البحر ممتد امامنا وأمواجه

تنساب برفق وحنان لتغسل اقـدام الشاطئ الحالـــم الساجي .

والقمر يتبختر على مسرح الفضاء الواسع الرحيب، وحوله النجوم تتمايل كأنها عيون لامعة ترمقنا من السماء وتحسدنا على تلك الجلسة الشاعرية الحالمة .

وكان نور القمر ينعكس على صفحة البحر الهادئة، فتتراقص الامواج تحت نوره الفضي ، كأنها موكب من جحافل الانوار .

والامواج توشوش اذن الليل ، فيسكر ، ونسكر معه على تلك الوشوشات الموسيقية الشجية السمحاء .

ورفع نسيب كأسه وقال : بصحتكما .

وشربنا ...

وراح نسيب يمازحنا .

وامتدت يده تداعب خصـــلات شعري ، فارتحت لمداعبته .

وهمس : اتمنى لو اقضي العمر بكامله معكما هنا. البحر أمامنا والجبال الشامخة المشعـــة الشماء وراءنا ، والقمر يغمرنا بنوره الفضي الجميـــــل ، والحب يرفرف بأجنحته الواهية الحمراء فوقنا .

وتمتمت آمال : انت شاعر يا استـــــاذ نسيب ، نصيحتي اليك ان تطلق السياسة وتمتهن الشعر .

قال : انت ملهمتي . من يراك يصبح شاعرا .

وجذبها اليه فارتمت على صدره •
واذا بجرس الباب يقرع •
فارتعشت ، وخشيت ان يكون ثمة زائر او زائرة يعرفني او تعرفني فيفضح امري •
ولاحظ نسيب ارتعاشي ، فتمتم : لا تخافي يا سميرة • انه خادم المطعم يحمل الينا العشاء •
ونهض ليفتح الباب •
ودخل خادم المطعم يحمل صينية كبيرة عليها انواع الطعام الشهي •
وراح نسيب يساعد خادم المطعم في بسط أطباق الطعام فوق المائدة ، في حين مضيت مع آمال في جلستنا على الشرفة ندخن ونشرب ونتحدث •
وكنت خائفة ••
انها المرة الاولى التي اقدم فيها على مثل هذه المغامرة الماجنة المجنونة •
وأبديت مخاوفي الى آمال •
فضحكت مني وهمست : عندما ندخل غرفة النوم ستتبدد مخاوفك يا سميرة • لن تندمي على هذه المغامرة، وستتذكرين هذه الليلة الرائعة الفاتنة مدى العمر •
وقد صدقت آمال في ما قالت •
فأنا ما زلت حتى الان اذكر تلك الليلة الماجنة الحمراء •

وأقبل نسيب يدعونا للدخول الى قاعة الطعام .

ونهضنا ودخلنا الى القاعة وجلسنا نتناول الطعام وتتحدث احاديث شتى .

وعندما انتهينا من تناول الطعام ، قال لنا نسيب : من منكما تهيىء لنا القهوة ؟

فانبريت لاقول : انا .

قلت هذا ودخلت الى المطبخ ، في حين خرج نسيب وآمال الى الشرفة ليعودا الى الجلسة الهادئة الفاتنة الساجية .

وهيأت القهوة وحملتها لهما .

وفوجئت بآمال تجلس على ركبتي الاستاذ نسيب وتطوق عنقه بذراعيها .

وتقدمت منهما ، لاقدم لهما القهوة وأتمتم : ماذا تفعلان ؟ هل نسيتما انكما على الشرفة ، ولستما داخل غرفة النوم ؟

وتمتم نسيب : لم ننسَ ، ولكن يبدو انك انتالتي نسيت اننا على شاطىء البحر ، والظلام يحيط بنا ويخفي كل ما نقوم به عن كل عين .

قال نسيب هذا ، ليمسك بيدي ويتمتم : تعالي ، تعالي اجلسي هنا . هنا قرب آمال على ركبتي .

وأبيت ان انزل عند طلبه .

وقدمت لهما القهوة ، وابتعدت لأجلس بعيدة عنهما

على مقعد رجراج وثير .
واخذت اراقبهما .
وكانت آمال مندفعة في مجاراته . لا تكاد تنسلخ عن صدره حتى تعود الى الارتماء على ذلك الصدر .
وكان نور القمر يلفهما ويغمرهما بوشاحه الساطع الفضي .
وطالت جلستنا على تلك الشرفة حتى منتصف الليل .
وبدأ النعاس يراود عيني ، فوقفت لاقول : انا مثقلة الاجفان . اريد ان انام .
وقهقه الاستاذ نسيب : هل جئت الى هنا لتنامي ؟
قلت : لقد انهكني السهر . اريد ان ارتاح . تستطيعان ان تسهرا على قدر ما تشاءان .
قلت هذا ، ودخلت الى غرفة النوم ، لأستلقي على «الصوفا» بثيابي ، محاولة الرقاد .
الا ان نسيباً وآمال دخلا .
وجلست آمال قربي على الصوفا وراحت تمازحني وتداعبني وتهزأ بي قائلة: هل يخيل اليك اننا سندعك تنامين الان؟ انهضي، لن نسمح لك بالنوم الا بعد ان ننام نحن.
واقترب نسيب مني يمسك بيدي ويشدها متمتما: ستنامين غدا طيلة النهار . انهضي ، تعالي .
وأبيت ان انهض .

فما كان من آمال الا ان اخذت تحثني على الاستفادة من هذه الفرصة ..

ولم ننم طيلة ذلك الليل .

ولم يغمض لنا جفن حتى بدأت انوار الصباح تغمر الغرفة ، متسربة عبر زجاج النافذة المطلة على الشاطىء الرحيب .

واستغرقت في النوم .

ولم استفق الا على صوت آمال تناديني : سميرة ، سميرة ، انهضي لنتناول القهوة .

وفتحت عيني لأجدني في السرير قرب آمال .

واذا بالاستاذ نسيب يطل علينا حاملا لنا القهوة .

واقترب منا ليقول : سأكون خادمكما طيلة هذا النهار .

فاستويت في السرير لاقول : هل يخيل اليك اننا سنظل هنا طيلة النهار ؟

قال : هل يخيل اليك انت انني سأتخلى عنكما قبل ان يحين المساء ؟

قلت : لا يا نسيب . يجب ان نذهب الان .

وللمرة الاولى تقف آمال بجانبي ، فتقول : أجل . يجب ان نذهب الان . ان اهلي وأهلها بانتظارنا ، وأخشى ان يفضح امرنا .

قال : اذن سنتناول طعام الصباح ، ونذهب كلنا .

وتناولنا القهوة .
وفي الساعة الثامنة اقبل السائق ، فطلب نسيب اليه ان يشخص الى مطعم ابي عبد ويحضر لنا طعاما .
ونفذ السائق اوامر سيده ، فتناولنا الطعام .
وفي الساعة العاشرة خرجنا من الشاليه ، فأوصلنا الاستاذ نسيب في سيارته الى دار والد آمال .
وقبل ان تترجل قال لي : هل توافينني الى مكتبي عند الظهر ؟
قلت : لماذا ؟
قال : لاوصلك الى بحمدون . سأتناول طعام الغداء عندكم اليوم .
قلت : كما تريد .
قال : سأكون في انتظارك الساعة الواحدة بعد الظهر في المكتب .
قلت : وسأكون عندك في الموعد المضروب .
وترجلنا من السيارة ودخلنا الى الدار .
واستقبلتنا ام آمال بالترحيب الشديد .
ودخلت مع آمال الى غرفتها فقالت لي : ستحاول أمي استدراجك لمعرفة اسراري يا سميرة . امي امرأة ذكية . يجب ان تكوني منها على حذر .
قلت : وهل تشك بطهارتك ، وبنقاوة جبينك ؟
قالت : لا .. ليس هناك ام في العالم تشك بطهارة

ابنتها • كل ام يخيل اليها ان ابنتها مثال الطهارة والنبل والعفاف • الا انها ستحاول معرفة مدى علاقتي بشفيق ايوب • عليك ان توهميها انني بدأت انساه •

قلت : ولكن سيعمد الاستاذ نسيب الى تذليل الصعاب القائمة في طريق حبكما ، فهو سيخاطب والدك في الامر ، وسيتوصل حتما الى اقناعه بالموافقة على زواجكما ، فكيف تريدين مني ان اقنع والدتك بأنك بدأت تنسينه ؟

قالت : اجلسي يا سميرة لنتحدث •

وجلست • جلست قربها على السرير •

وأشعلنا لفافتين رحنا ننفث دخانهما في الفضاء •

وتمتمت آمال : اسمعي يا سميرة • انا لم اعد «مستعجلة» على الزواج من شفيق ايوب •

فدهشت لهذا التغيير المفاجىء في عاطفتها •

بالامس القريب كانت تحاول الهرب مع شفيق • وكانت ترجو الاستاذ نسيب ان يتوسط لها مع والدها ليرضى عن زواجها بحبيب القلب والروح •

واليوم تعلن انها لم تعد مستعجلة على الزواج منه•

ولمست آمال الدهشة تطل من عيني ، فأمسكت بيدي تشدها لتقول : هذا لا يعني انني لا احب شفيقا ، وانني لا اريد الزواج منه ، والاقامة معه مدى الحياة •

قلت : وماذا يعني اذن ؟

قالت : يعني انني اريد ان اؤجل موعد الزواج مدة من الزمن .

قلت : لماذا ؟ هل استطيع ان اعلم لماذا يا آمال .

قالت : الاستاذ نسيب هو السبب .

فازددت وجوما ، وهمست : هل تحبين الاستاذ نسيباً ؟

فابتسمت وقالت : انا لا احبه كما احب شفيقا ، الا انني معجبة به شديد الاعجاب . لقد عزمت على ان اقضي مدة من الزمن مع الاستاذ نسيب قبل ان اتزوج من شفيق .

قلت : انا لم افهم ماذا تعنين يا آمال . كيف تريدين ان تقضي مدة من الزمن مع الاستاذ نسيب وانت عالقة ومتدلهة في حب شفيق ايوب .

قالت ، وهي تنفث دخان اللفافة في الفضاء: ستفهمين كل شيء يا سميرة في المستقبل القريب .

قلت : ولماذا لا توضحين لي كل شيء الان ؟

قالت : ليلة امس اتضح لي ان الاستاذ نسيب يستطيع ان يؤمن لي الحب العاصف الدافىء المحموم . انا سأزور نسيباً في الشاليه من حين الى اخر ، سيكون الاستاذ نسيب عشيقي ويكون شفيق ايوب حبيبي .

فطفت على شفتي ابتسامة واهية صفراء ، وهمست: هذه مغامرة قد لا تخرجين منها سالمة .

قالت : اطمئني • انا لست بالفتاة الغبية • سأعرف كيف اتدبر امري •

واذا بوالدة آمال تطل علينا حاملة لنا القهوة •

وتمتمت، وهي تقدم لي فنجان القهوة: هل تتناولين القهوة هنا مع آمال ، ام تتناولينها معي في الصالون ؟

وقبل ان اجيب ، تدخلت آمال بيننا ، لتقول لأمها: لا • هي ستتناول القهوة معك في الصالون ، ريثما ابدل ثيابي •

قالت آمال هذا ، ورمقتني بنظـرة سريعة ، فهمت منها انها تدعوني للذهاب مع امها الى قاعة الاستقبال ، شرط ان اكون على حذر منها ، وان اقنعها بان ابنتها بدأت تنسى حبيبها شفيقا ايوب •

ونهضت ، وسرت حاملة فنجـان القهوة ، وراء ام آمال الى الصالون •

وجلست ام آمال على مقعد رجراج وثير ، ودعتني الى الجلوس قربها •

وجلست ، فرشفت قهوتها والتفتت الي لتقول : يا ابنتي يا سميرة ، انت عندي في مقام آمال ، وأريدك ان تكوني صريحة معي ، وان تجيبيني على اسئلتي بكـــل صدق وأمانة واخلاص •

فأدركت ان ما قالته آمال عن امها صحيح • امهـا ذكية خبيثة ، وهي تريد ان تقف مني على اسرار ابنتهـا

الخفية .

وهمست : سلي ما تريدين يا «تانت» .

قالت : ألم تتصل آمال بشفيق ايوب خلال هذين اليومين .

فرشفت قهوتي ، وهمست : الحقيقة يا تانت هي انها لم تتمكن من الاتصال به .

قالت : حاولت ذلك . ولم تستطع ؟

وأردت ان اكون ابعد خبثا منها ، فقلت : لم تسنح لها الفرصة كي تحاول .

قالت : ألم تحدثك عنه ؟

قلت : اجل . حدثتني عنه .

فتمتمت : من اين ارسل لنا الله هذا الشاب ليعكر علينا صفو حياتنا . قولي لي يا سميرة بما تحدثت اليك عنه ؟

قلت : قالت لي انها كانت تحفظ له في قلبها الود والهيام، ولكن بعد ان لمست في والدها الغضب والقسوة والمعارضة في زواجها منه ، رأت ان تعمد الى نسيانه .

فلمعت الفرحة في عيني الأم .

وتمتمت : فليهدها الله طريق النسيان . انا لا اعلم كيف استطاع هذا الشاب ان يلعب بعقلها وان يورطها في حبه ، تصوري يا ابنتي يا سميرة ماذا سيحدث ، وماذا سيحل بنا ، ان هي تزوجت من هذا الشاب الذي هو

دوننا مقاما وأسرة وغنى •

قلت ، محاولة ايهامها بان آمال قد ابتعدت عن شفيق : ان آمال فتاة عاقلة ذكية ، لن تورطكم ، ولن تورط نفسها ، في الزواج من هذا الشاب •

قالت : ارجوك ان تساعدينا عليها يا سميرة ، ان آمال صديقتك ، وهي بمثابة شقيقتك ، انت تستطيعين ان تقنعيها بالابتعاد عن شفيق •

قلت : اطمئني يا «تانت» آمال لن تخرج عن طاعتكم ورضاكم •

واذا بآمال تطل علينا وتجلس قربنا •

فرحنا نتحدث احاديث شتى •

وبعد قليل نهضت امها لتدخل الى غرفتها •

وخرجت مع آمال الى الشرفة حيث جلسنا على مقعد وثير ، وسألتني آمال : ماذا قالت لك امي ؟

قلت : لقد صدق ظنك • حاولت الوقوف على اسرارك •

قالت : ألم اقل لك ذلك • انا اعرف من هي امي ، وبماذا تفكر •

قلت : اطمئني • لقد اوهمتها انك بدأت تنسين شفيقا ، وانك ستكونين الابنة المطيعة المخلصة الوفية •

وضحكت آمال • وقالت : ترى ماذا تفعل لو انها علمت اين قضينا ليلة امس ؟

وشاركتها الضحك .

وتمتمت : مساكين اهلنا ، يخيل اليهم انهم يحرسوننا ، وأنهم يسيروننا ، وانهم يسيطرون علينا ، وهم في الحقيقة اغبياء ، لا يعرفون من اسرارنا الا القشور .

ومضى الوقت سريعا .

وبدأت الساعة تشير الى الواحدة بعد الظهر .

فهممت بالانصراف .

كان علي ان اشخص الى مكتب الاستاذ نسيب في تمام الساعة الواحدة ، لاذهب واياه الى بحمدون .

ودعتني ام آمال الى تناول الغداء معهم ، الا انني اعتذرت .

وودعتها ، وودعت آمال ، وهممت بالانصراف ، الا انآمال تأبطت ذراعي وقالت لي: سأرافقك الى الحديقة.

وسرنا ..

وتمتمت آمال وهي تسير قربي : ارجو ان تقضي وقتا ممتعا مع الاستاذ نسيب .

قلت : اي وقت هو هذا الذي سأقضيه معه في متعة ؟ سنجتاز الطريق في سيارته، من هنا الى بحمدون.

فشدت يدها يدي ، وهمست : وفي بحمدون ؟

قلت : سيكون هناك ابي وأمي .

قالت : لن تعدمي وسيله الى خلوة قصيرة ، او الى ضمة ، او الى قبلة .

فابتسمت ، وتمتمت : ستظل نيتك سيئة طيلـــة عمرك •

قالت : متى ستعودين الى بيروت ؟

قلت : لا اعلم يا آمال • عندما احضر الى بيروت سأتصل بك •

وودعتها في الحديقة •

وخرجت الى الشارع العام لاستقل سيارة تاكســي وأطير بها الى شارع اللنبي ، الى مكتب الاستاذ نسيب •

وكالعادة، استقبلتني السكرتيرة بالتجهم والعبوس•

وسألتها : الاستاذ موجود ؟

فتمتمت بشفتين مزمومتين : أجل ••

قلت : انا على موعد معه •

قالت ، دون ان تكلف نفسهــا عناء الوقوف ، او النظر الي : تفضلي •

ودخلت على الاستاذ فاذا به يتكلم هاتفيا مـــع شخصية سياسية لم اعلم من هي •

ومد لي يده اليسرى يصافحني بها ، في حين كانت يده اليمنى قابضة على سماعة الهاتف •

وأشار الي بعينه ان اجلس •

وابتسم لي •

وسمعته يقول للشخصية التي يتكلم معها : هــذه وزارة مرتجلة • يخيل الي ان سامي الصلح اوقع نفسهفي

مأزق لن يستطيع الخروج منه سالم الرأس ، انني غير نادم على عدم الاشتراك بهذه الوزارة ، مع السلامة يا بك •

وألقى بسماعة الهاتف من يده والتفت الي يقول: اهلا بالقمر •

قلت : هل تألفت الوزارة ؟

قال : أجل ، ألفها سامي الصلح •

قلت : وانت ؟ ألم يسعدك الحظ في الوصول الى المقعد الوزاري ؟

فضحك وقال : الحظ اسعدني ، ولكنني لم اساعده انا •

قلت : كيف ذلك ؟

قال : يا «ستي» طيلة ليل امس وسامي بك يحاول الاتصال بي هاتفيا في مكتبي ، في منزلي ، في منزل شقيقتي ، في منازل الاصدقاء ، فلم يستطع العثور علي، وسامي بك رجل «ديناميكي» لا يستطيع الانتظار ، فخيل اليه انني اتهرب من الاشتراك معه في الوزارة ، وشكل وزارته ، وصدرت المراسيم صباح اليوم •

قلت : الحق علي اذن • لقد كنت معنا في الشاليه، في حين كان سامي الصلح يبحث عنك •

قال : انا لست نادما يا حبيبتي • هذه الليلة التي قضيتها معكما تساوي عندي اكثر من مقعد وزاري •

فضحكت وقلت : لقد بعت الوزارة اذن بليلة غرام•

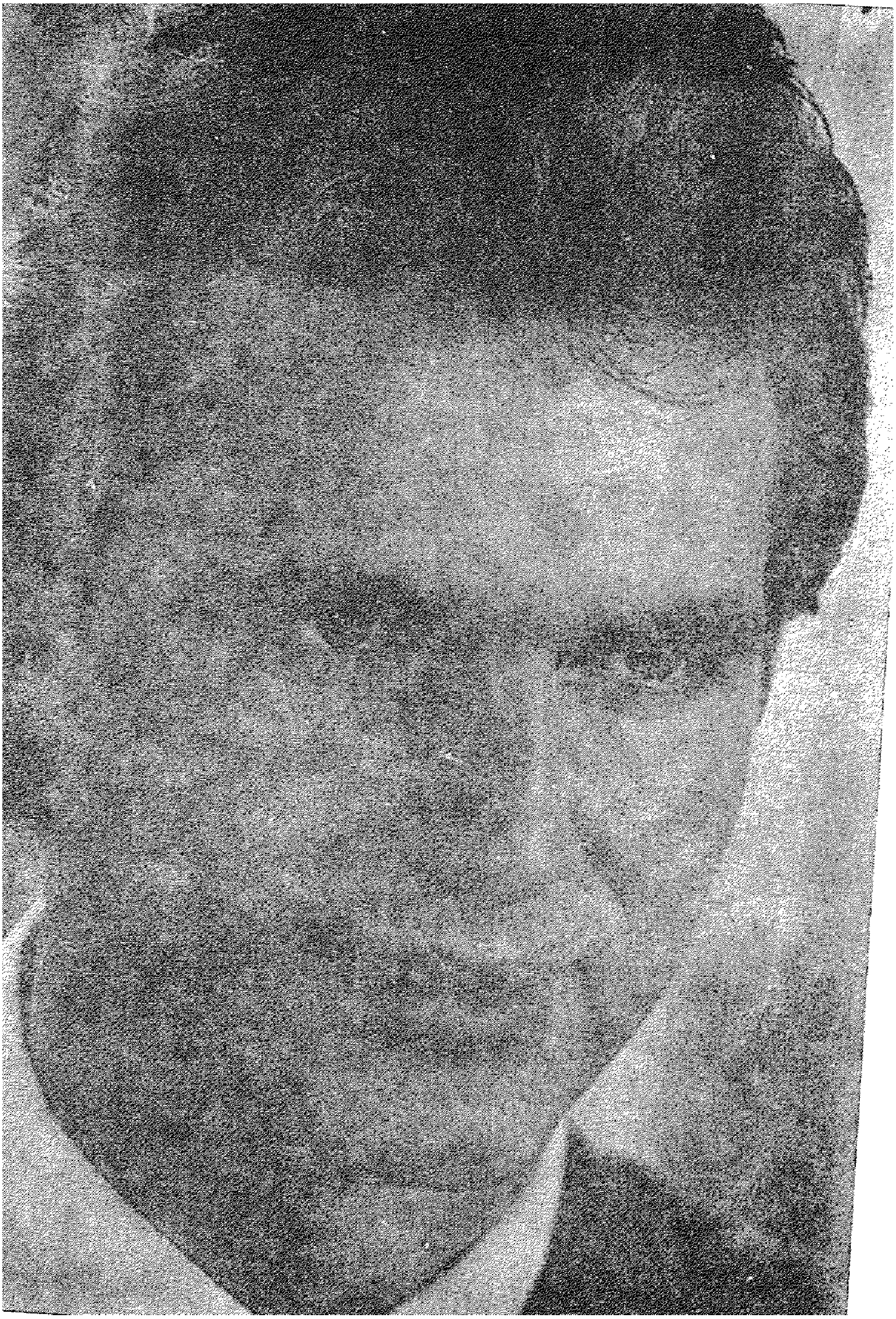

فقهقه وقال : هل يخيل اليك ان المقعد الوزاري يوازي ليلة غرام مثل هذه الليلة ؟

وعلمت من نسيب ان الوزارة تألفت على الشكل التالي : سامي الصلح ، رئيسا للوزارة ووزيرا للاقتصاد والتموين . موسى نمور ، وزيرا للداخلية . حكمت جنبلاط ، وزيرا للصحة . احمد الحسيني . وزيرا المعدل وللزراعة . فيليب بولس ، وزيرا للخارجية والاشغال العامة . جورج كفوري ، وزيرا للتربية الوطنية ..

وكان ذلك في اليوم السابع والعشرين من شهر تموز عام ١٩٤٢ .

وكانت هذه الوزارة اولى وزارات سامي بك الصلح .

ووقف نسيب يضمني الى صدره ، ويطبع على وجنتي قبلة ملتهبة حمراء .

وهمست ، وانا بين ذراعيه : يكفي يا نسيب ، فلنخرج .

وأبى ان ينزل عند طلبي ، أبى ان نخرج من المكتب قبل ان يشبعني تقبيلا وضما وعناقا .

واختلجت ، وانا القي برأسي على صدره .

واذا بالباب يفتح فجأة وتدخل منه السكرتيرة .

ووجمت ، وانسلخت عنه .

وخيل الي ان نسيباً سيغضب وسيثور وسيؤنب السكرتيرة الحسناء لانها تجرأت على اقتحام مكتبه بدون

استئذان . الا انني كنت علــى خطأ . لأن نسيباً ابتسم لسكرتيرته الفاتنة وتمتم : امر ؟
ورمقتني السكرتيرة بنظرة حقد وغضب مخيفــة . وكأنها تريد أن تصرعني .
والتفتت الى نسيب لتقول له بكل قحة : «بهنيك» .
وابتسم نسيب ، وقال لها : شكرا .
قالت : هناك شاب يريد ان يقابلك .
قال : من هو ؟
قالت : لا اعلم .
قال : لا اريد ان اقــابل احدا الان ، انني خارج . قولي له ان يعود غدا .
وخرجت السكرتيرة وصفقت الباب وراءها .
ورحت اسرح شعري ، واصلح «مكياجي» دون ان انبس بحرف . ووقف نسيب ليقول : ما بك يا حبيبتي ؟
قلت بغضب : لا شيء .
قال : ولكنني أراك غضبى .
قلت : وهل هناك ما يغضب ؟
فتقدم مني يضع يده على كتفي هامسا : «بسيطة» .
فرفعت يده عن كتفي وقلت : اجل «بسيطة» .فــي نظرك امر بسيط . تكتشف سكرتيرتك علاقتي بــك ، وتدهمني واياك بالجرم المشهود ، وتقول «بسيطة» .
قال : سكرتيرتي فتاة كتوم . لا ينطق لسانها بما

تشاهد عيناها .

قلت : انا لست مجبرة على ان اكـون تحت رحمة موظفة في مكتبك

وكنت قد انتهيت من اصـلاح مكياجي . فحملت محفظتـي ، وهممت بالخروج ، الا انـه آمسك بيدي يشدها ويقول : الى أين ؟

قلت : اريد ان اذهب .

قال : سنذهب معا .

قلت : لا .. سأذهب وحـدي . ابق انت مـع سكرتيرتك ، او بالاحرى مع عشيقتك .

فضمني الى صدره وهمس : «مجنونة» : هل يخيل اليك ان السكرتيرة عشيقتي ؟ هل يمكن ان اتخذ مـن السكرتيرة عشيقة لي ؟

قلت : انا أراهن انها عشيقتك .

فضحك وقـال : تعـالي . تعالي .. سنذهب الى بحمدون ، وسنتناول طعام الغداء معا .

وخرجنـا ، فاذا بالسكرتيرة جالسة تدخن وهـي واجمة ساهمة .

وقال لها نسيب : لن اعـود بعد الظهر اليـوم ، سأكون هنا صباح غد .

ولم تجب ، بل اكتفت بنفث دخان لفافتها بالفضاء .

ودلفنا الى الشارع العام .

واستقللنا السيارة ، فجلست في المقعد الخلفي وجلس نسيب قربي .

وقال للسائق : الى بحمدون .

وطارت بنا السيارة الى بحمدون .

وحاول نسيب ان يسايرني ويسامرني ويتودد الي ، طيلة الطريق ، الا انني لم التفت اليه ، بل رحت أدخن وأمتع نظري بمناظر الجبال والوديان الرائعة الخلابة ، فيما تجتاز السيارة بنا الطريق بين بيروت وبحمدون .

وعندما وصلنا ، أمسك نسيب بيدي يشدها ويهمس : سميرة ! كوني عاقلة .

قلت : انا عاقلة ، ولكنني أريد ان تعقل انت .

فضحك وقال : وحياتك انا عاقل .

قلت : العاقل لا ينشيء علاقات غرامية مع سكرتيرته .

قال : انت فتاة غيور . الغيرة أعمت بصيرتك .

فأطلقت ابتسامة هزء وسخرية .

وقلت : لا ، انا لست فتاة غيورا . ولا اغار عليك ، ولكنني أسفت عندما علمت ان استاذا لامعا ، ومحاميا كبيرا مثلك ، يهبط الى دركات عشق سكرتيرته .

قال : «طيب يا ستي ، بطلنا نحبها ، مبسوطة ؟» .

قلت : افعل ما يحلو لك .

قال : لن افعل الا ما تريدين ، وحياتك .

وكانت السيارة قد وصلت بنا الى امام دارنا ،

فترجلنا منها ودخلنا الى الدار .

وكان والدي ووالدتي جالسين الى مائـدة الطعام يتناولان غداءهما ، فهب والدي يرحب بالاستاذ نسيب : اهلا ، اهلا ، تفضل ، تفضل ، حماتك تحبك .

وجلس نسيب قرب والدي وقال : أنا أتضور جوعا .

وجلست انا قرب والدتي . وبدأنا نتناول طعام الغداء معهما .

الفصل الثالث

الاحتلال في أيامه الاخيرة

انصرف والدي ونسيب الى التحدث حول الوزارة الجديدة .
وسال والدي نسيب : الم يتصل بك سامي الصلح ويدعوك للاشتراك في وزارته ؟
واجاب : اتصل بي ليل امس ، ولكنني رفضت .

قال والدي : لماذا ؟ لماذا ترفض الاشتراك في الوزارة ، وكنت تنصحني بالاشتراك فيها ؟

قال : لقد اتضح لي انك كنت على صواب . هذه وزارة لا يرجى لها العمر الطويل .

ولم يقل نسيب لوالدي ان المقعد الوزاري ضاع منه بسبب «ليلة غرام» قضاها معي ومع آمال ، بل اكتفى

بان يرمقني بنظرة عميقــه ويطلــق ابتسامة مكر وخبث ودهاء .

وقــال والدي : الامر الذي اصــاب بي الى رفض الاشتراك بالوزارة ليس امر «عمرها» ، بل هنــالك امور كثيرة وخطيرة دفعتني الى الرفض . قلت لك ان هـــذه الوزارة ستكــون محرقة . ستكــون شهيــدة . كيف ستعالج أزمــة الرغيف ؟ كيف ستعالج آزمــة الخزينــة الفارغة ؟ كيف ستعالج آزمة البطالة ؟ كيف ستعالج آزمة الحكم ؟ كيف ستستطيع الحكم ، والفرنسيون قابضون على زمامه . والعــالم في حرب ، والسلطات العسكرية هي التي تحكم العــالم ؟ سامي الصلح سيحترق ويحرق معه هؤلاء الوزراء المساكين .

وانتهينا من تناول الطعام .

وخرج والدي ووالدتــي ونسيب الى الصالــون ليتناولوا القهوة .

ودخلت انا الى غرفتي لانزع عني ثيــابي واستلقي على سريري .

كنت اريد ان انام لانني لم انم طيلة ليل امس . الا انني لم استطع .

كنت مضطربة ، قلقة .

وكان طيف السكرتيرة ، سكرتيرة نسيب ، يتمايل أمام عيني .

وشعرت بالغيرة تعصر قلبي • انني اغار منها •
ودهشت •••
كيف اغار من هذه السكرتيرة وانا التي شاهدت نسيباً يعانق آمال بدون ان يلوح اثر للغيرة في قلبي ؟
كيف أغار من السكرتيرة ولا أغار من آمال ؟
وأشعلت لفافة وانا مستلقية في السرير ، رحت أنفث دخانها في الفضاء وأفكر ، هل أحب نسيباً ؟
لا ، انا لا احبه ؟
كيف احبه وهو يكاد يكون في عمر والدي ؟
ولكنني اغار عليه •
كيف اغار عليه وانا لا احبه ؟
وضعت في تفكيري البارد الصامت البعيد . دون ان اهتدي الى حل ، ودون ان استطيع الاجابة على السؤال : هل احب نسيباً ام لا ؟
هذا السؤال اشغل تفكيري مدة طويلة •
والان ، الان فقط ، بعد مضي اكثر من خمس وعشرين سنة ، استطعت ان اجيب على هذا السؤال •• كلا انا لم اكن احب نسيباً ، بل كنت معجبة به كرجل لطيف جميل أنيق ، يستطيع ان يرضي فتاة في مثل عمري يومذاك •
وبعد قليل ، دخلت علي والدتي لتقول : لماذا تأخرت في بيروت يا سميرة ؟ ألم يكن من الافضل ان

تعودي امس ؟ ان الحر شديد في بيروت ، ونحن ما جئنا الى بحمدون الا هربا من لسعات الحر الشديدة .

قلت : لقد أرغمتني آمال على البقاء عندها .

قالت امي : نحن جئنا الى بحمدون لنصطاف كلنا ، انا ووالدك وانت واخوك ، فاذا بك وبأخيك تتركاننا هنا وتعودان الى بيروت .

قلت : أعدك بأنني لن اعيدها مرة ثانية . هذه هي المرة الاخيرة التي أنام فيها خارج الدار يا امي .

قالت : تعالي ، ان الاستاذ نسيباً ضيفنا ولا يجوز لك ان تدخلي الى غرفتك وتتركيه مع والدك في الصالون .

قلت : ما لي وله ، انه صديق والدي ، وهما يريدان ان يتحدثا بالسياسة ، وانا متعبة ، أريد أن أنام .

وخرجت والدتي من الغرفه .

وعدت لأنعمس في التفكير البعيد السحيق القرار .

وبدأ النعاس يتسلل الى عيني فاستسلمت للكرى . واستغرقت في نوم عميق سحيق القرار .

ولم استفق الا على صوت امي يناديني : انهضي يا سميرة ، انهضي يا ابنتي .

واستويت في السرير افرك عيني .

وتمتمت امي : الساعة أشرفت على التاسعة من الليل وانت لا تزالين مستغرقة في النوم ، لقد اقلقت خاطري يا ابنتي . ما بك يا حبيبتي ؟

ودهشت : الساعة أشرفت على التاسعة من الليل ؟
لقد نمت اذن زهاء خمس ساعات •
وتمتمت : انني متعبة يا امي • رأسي يؤلمني •
وذعرت امي •
وهمست : ما بك يا حبيبتي ؟ هل أدعو لك الطبيب ؟
فابتسمت وتمتمت : لا ، ليس هناك ما يدعو لاستدعاء الطبيب • يبدو ان حر بيروت أثر بي •
هذا ما قلت لامي •
الا ان الحقيقة كانت غير ذلك • الحقيقة هي ان النوم تغلب علي لانني لم انم ليلة امس •
لقد قضيت ليلة امس مع نسيب وآمال ، وقد سهرنا حتى مطلع الفجر ، ولم انم سوى ساعات قليلة •
وقالت امي : هناك بعض الزوار في الصالون يسهرون عندنا ، وهم يسألون عنك •
قلت : من هم ؟
قالت : انهضي ، انهضي •
ونهضت ، وغسلت وجهي ، وارتديت ثيابي ، وخرجت الى الصالون •
وكان هناك بعض رجال لبنان البارزين وبعض السيدات • منهم الامير مجيد ارسلان ، وألكسي سرسق، ولويس زيادة وعقيلته •

وكان لويس زيادة قد عاد من حلب حيث قضى سنوات طويلة هناك ، وكان نقيبا للمحامين في حلب .

لقد عاد الى لبنان ليعمل في الحقل السياسي .

وكان هناك في الصالون ايضا المرحوم بترو طراد وبعض السيدات من صديقاتي .

ورحبت بهم وجلست بينهم .

وكان الحديث يدور حول الوزارة الجديدة التي شكلها سامي الصلح بصورة ارتجالية سريعة .

وقد اجمع الجميع على ان سامي الصلح يغامر بسمعته وبمستقبله ، وان وزارته هذه لن تعيش طويلا ، وانها لن تستطيع ان تصمد في وجه العواصف والرياح التي تهب عليها من كل حدب وصوب .

الا ان الجميع كانوا على خطأ ، لان وزارة سامي الصلح صمدت في وجه العواصف ، واستطاعت ان تنقذ لبنان من كوارث عديدة .

فهي قد أمنت الخبز للبنانيين ، فأطلق اللبنانيون عليها اسم «وزارة الرغيف» .

وكان الدقيق قد اختفى من الاسواق عندما احتدمت نار الحرب العالمية ، وعمد التجار الى احتكار القمح والدقيق والارز والسكر وسائر المواد الغذائية ، والى اخفائها من الاسواق — مثلهم في كل ازمة سياسية او عسكرية عالمية — فكان اول عمل أقدم عليه سامي الصلح

هو اعتقال بعض كبار التجار المحتكرين وزجهم في السجن .

وصادر كل ما يخزنون في مستودعاتهم ووزعه على الشعب .

ثم عمدت وزارة سامي الصلح الى الاتفاق مع السلطات الفرنسية على انشاء مكتب «الميرة» .

وهو مكتب حكومي تولى شراء القمح من المزارعين اللبنانيين ، ومن سوريا ، ومن بعض البلدان الزراعية الاخرى وتوزيعه على الشعب .

ولم تكتفِ وزارة سامي الصلح بتأمين الرغيف للشعب ، بل هي عمدت الى تأمين اللحم ايضا .

فقد كانت ازمة اللحم مستحكمة بالبلاد بعد ان استولت السلطات العسكرية على اللحوم في سوريا والعراق لتموين جيوشها .

فما كان من سامي الصلح الا انه اتصل بالقادة وطلب اليهم تسهيل وصول الاغنام الى لبنان من تركيا ومن بعض الدول الاخرى .

وما هي اسابيع قليلة حتى كان اللبنانيون يعودون الى اكل «البفتاك والشورما» .

ومضت وزارة سامي بك في الاهتمام بتأمين حاجة الشعب فأنشأت «كوبراتيف» الموظفين .

وبدأت تبيع الموظفين الثياب والصابون والرز

والسكر والمعلبات باسعار بخسة ، مما اهاب بالمحتكرين الى اخراج بضاعتهم من المستودعات وعرضها في الواجهات •

وهكذا استطاعت وزارة الرغيف ان تخيّب آمال المتشائمين ، وان تفرض هيبتها ، وان تنقذ لبنان من المجاعة ، ومن عصبة التجار المحتكرين •

واستطاع اللبنانيون ان يعيشوا سنوات الحرب الاخيرة في رخاء وسعادة واسراف •

وكانت الجيوش الفرنسية «الديغوليست» والجيوش البريطانية تحتل لبنان وتقيم فيها قواعدها العسكرية •

وكان الجنود الاستراليون والبريطانيون والفرنسيون ينفقون بسخاء ، مما ساعد على ازدهار الاقتصاد اللبناني•

فعاش اللبنانيون في رخاء لم يعرفوه ايام السلم •

في ذلك الحين كانت المنافسة على اشدها بين الفرنسيين والبريطانيين في لبنان •

وبالرغم من ان السلطة الكاملة كانت بيد الفرنسيين فقد استطاع البريطانيون ان يمدوا نفوذهم في لبنان وان يصادقوا كبار الشخصيات اللبنانية •

وبدأت السلطات الفرنسية تخشى نفوذ البريطانيين وترهب جانبهم •

وكان الجنرال سبيرس يدير السياسة البريطانية ليس في لبنان فحسب ، بل في الشرق العربي بكامله

اما الجنرال كاترو ، فكان يعمــل بصمت وحكمة وذكاء، وكان يراقب اعمال الجنرال سبيرس بخشية وحذر.

واتنقل التنافس على النفوذ من الرجال الى النساء.

فراحت عقيلة الجنرال سبيرس تعمــل ناشطة علــى انشاء مستشفيات متنقلة في بعض القرى اللبنانية .

واندلعت الغيرة في قلب عقيلــة الجنرال كاترو . فأنشأت مستشفيات عدة في بعض المدن والقرى اللبنانية، واخذت ترعاها باهتمام ، وتنفق عليها بسخاء .

وكانت السيدتان الجميلتان ، السيدة كاترو والسيدة سبيرس ، تتظاهران بالصداقة ، وكثيرا ما كانتا تجتمعان وتتبادلان الآراء ، حتى اذا انتهى الاجتماع ، اخذت كل منهما تعمل على تقويض نفوذ الثانية .

وكنت اسمع الكثير ، من والدي ومن والدتي ومــن اصدقائهما عما يدور في جو السياسة في لبنان يومذاك ، الا انني لم اكن لآبه لتلك الاخبــار ، ولم افكر يوما في العمل السياسي ، ولا في العمل الاجتماعي ، حتى كانت ليلة من ليالي صيف عام ١٩٤٢ .

في تلك الليلة جاء الاستاذ نسيب شهوان الى دارنا في بحمدون يدعونا الى حفلة راقصة خيرية تقيمها عقيلة الجنرال كاترو في فندق صوفر الكبير بمساعدة عقيلــة الجنرال سبيرس .

وأبدى والدي رغبته في حضــور تلك الحفلة لأن

معظم الرجال السياسيين والعسكريين سيكونون هناك .

ولم تمانع والدتي في تلبية دعوة الاستاذ نسيب .

اما انا فقد حاولت الاعتذار .

الا ان الاستاذ نسيباً رفض قبول اعتذاري وأمسك بيدي يشدها ، ويهمس في اذني :

سنرقص معاً وقد يخلو لنا الجو لأكثر من الرقص.

وابتسمت ، وهمست : لا .. لن اذهب .

فهمس : ستذهبين غصباً عنك .. ستكون آمال ووالدها ووالدتها هناك ايضا .

فضحكت ،بدون ان أجيب ..

وتقدمت امي تشجعني على الموافقة ..

ورأيتني أدخل الى غرفتي لأرتدي ثيابي وأستعد لمرافقة والدي ووالدتي والاستاذ نسيب الى فندق صوفر الكبير .

.. ووصلنا الى فندق صوفر الكبير في الساعة التاسعة والنصف ، فتأبطت والدتي ذراع والدي ودخلا أمامنا .

ولحقت بهما مع نسيب .

وكانت حديقة الفندق تعج بالمدعوين .

وكان هناك عشرات الشبان والصبايا من اللبنانيين والفرنسيين والبريطانيين .

وكـان ثمـة عدد كبـير مـن الضباط البريطانيين

والفرنسيين يجلسون وراء الموائد في الحديقة ، والموسيقى تعزف الحانا شجية هادئة .

ووقف بعض الشبان يحيـــون الاستاذ نسيباً ، كما رفعت بعض الصبايا ايديهن في الهـــواء يحيينه ايضا في حين وقف بعض رجال السياسة يصافحون والدي .

ودخلنا الى الفندق واتجهنا الى الصالون .

وهناك ، أمام رتاج الصالـــون الفسيح ، استقبلتنا السيـــدة كاترو والسيدة سبيرس ، صاحبتا الدعـــوة ، وصافحتانا .

وخصت السيدة سبيرس الاستاذ نسيباً بابتسامة ، وشدت يدها يده ، وتبادلت وايـــاه كلمات مجاملة قليلة باللغة الانكليزية .

وكان الاستاذ نسيب يجيد الانكليزية اجادة تامة ، لأنه تلقى علومه العالية في الجامعة الاميركية في بيروت . في حين راحت السيـــدة كاترو تتحدث الى والدي والى والدتي بدماثة ولطف وذوق .

ولم تستطع السيدة سبيرس ان تتحدث طويـــلا الى الاستاذ نسيب ، ولا السيدة كاترو استطاعت ان تتحدث طويلا الى والدي والى والدتي ، لانهما كانتا مضطرتـــين لاستقبال المدعوين ، الذين يفدون الى الفندق ويتدفقون علـــى الصالون ، فتنصرف السيدتان الكبيرتـــان الـــى مصافحتهم والترحيب بهم .

ودخلنا الى الصالون ، فاذا بالشخصيات الكبيرة من رجـــال لبنـــان ورجـــال الانتداب والضباط الفرنسيين والبريطانيين يجلسون هناك ويتبادلون الاحاديث •

ووجدنا هناك كثيرا مـــن الاصدقاء والصديقات . بينهم آمال نصري ووالدها ووالدتها •

وجلسنا قربهم •

جلس والدي قرب والد آمال ، وجلست أمي قرب امها وجلست انا قربها هي ، وجلس الاستاذ نسيب قربنا• ورحنا نتحدث •

وشاهدت امي تستغرق في الحديث مـــع ام آمال . فانحنيت على اذنها ــ علـــى اذن آمال ــ لأهمس : ماذا سيكون مصيرنا ، اذا علمت امي من امك ، وعلمت امك من امي انك لم تكوني عندي ، وأنني لـــم اقض الليل عندك ليلة امس ؟

وهمست آمال : اطمئني يا سميرة ، لن تعلما شيئا . فهما منهمكتان في احاديث الازياء والخدم •

فهمست : انا خائفة يا آمال •

قالت : اتكلي على الله •

واتكلت على الله •

ومرت تلك الليلة بسلام •

وكانت الحفلة تلك رائعة زاهية •

ولم يلبث ان وصل رئيس الجمهورية الاستاذ ألفرد

نقاش والسيدة عقيلته ، ورئيس الـوزراء « الجديد » سامي بك الصلح ، والوزراء ، والسفراء « القلائل » •

وكان السفراء قلة في ذلك العهـد ، لأن التمثيل الدبلوماسي كان على مستوى القناصل ، ولذلك فقد كان ثمة جمهور غفير من قناصل الدول الكبرى والصغرى ، عرفت منهم قناصل اميركـا وتركيـا ومـصر واليونان والعراق •

ولم يلبث ان وصل اميل اده ، فرحبت به السيدة كاترو ترحيبا شديدا ، في حين صافحته السيدة سبيرس مصافحة عابرة •

ثم وصل الشيخ بشاره الخوري فاستقبلته السيدة سبيرس بحرارة لم نلمسها في استقبال السيدة كاترو له•

وكان والـدي والاستاذ نسيب يضحكان ويتبادلان « النكات » كلما دخل سياسي الى القاعة ، فاذا استقبلت السيدة كاترو ذلك السياسي بحرارة ، قال الاستاذ نسيب: هذا فرنسي •

واذا استقبلتـه السيدة سبـيرس بالترحيـب ، قال والدي : هذا انكليزي •

والحقيقة هي انه لم يكن ثمة بين اللبنانيين مـن هو فرنسي ، ولا من هو انكليزي في ذلك العهد ، لأن جميع اللبنانيين ، على اختـلاف ميولهم واحوالهم وطوائفهم ، كانوا استقلاليين •

وكانت فكرة الاستقلال الناجز التام قد بدأت تنمو وتزدهر في نفوس جميع اللبنانيين .

وجلس اميل اده بين بعض الشخصيات .

ورأى والدي ان ينتقل من بيننا الى حيث يجلس اميل اده ، فاستأذن من نسيب ، وانتقل ليجلس قرب الرئيس اده .

وانحنى نسيب على اذني ليهمس : ليت والد آمال ينتقل ايضا من هنا ليخلو الجو لنا .

واكتفيت باطلاق ابتسامة واهية ، دون ان اجيب .

وكان بشاره الخوري يجلس بين بعض الشخصيات أيضا .

وكان منظر اميل اده بين حاشيته ، ومنظر بشاره الخوري بين أصدقائه ، يوحيان بأن الرجلين الكبيرين يتنافسان على رئاسة الجمهورية .

ولم تلبث ان بدأت حفلة الرقص .

وبدأت الموسيقى تعزف الالحان الراقصة .

وبدأ الراقصون والراقصات يحتلون حلبة الرقص .

ووقف نسيب قائلا : هل تسمحين بمراقصتي ؟

ووقفت . وبدأنا نرقص .

وكان هناك جمهور غفير من رجال السياسة والضباط والدبلوماسيين يراقصون السيدات الرائعات الجمال .

وكان المرح يسود تلك الحفلة الرائعة •

وكانت هناك صديقتي الفرنسية أوديت موران ، المرأة الفرنسية الرائعة الجمال ، زوجة المستشار الفرنسي المعروف ، التي كانت تحب مفتشا لبنانيا في الامن العام•

وكان زوجها وفيا لحكومة فيشي ، فرأى ان يغادر لبنان الى باريس ، عندما دخل الديغوليون الى لبنان •

وأبت زوجته أوديت السفر معه ، لأنهما ارادت ان تظل قرب حبيبها المفتش •

وتمكنت من اقناع زوجها بالسفر وحده •

وأقسمت له أنها ستوافيه الى باريس بعد أسبوع •

الا انها أبت ان تبر بقسمها ، وظلت في لبنان تنعم بالقرب من الحبيب اللبناني الشاب الوسيم الجميل •

والجدير بالذكر انه كان في لبنان يومذاك عدد كبير من النساء الجميلات ، اللواتي سافر أزواجهن الى فرنسا، وبقين في لبنان وحدهن ينعمن بالحرية التامة والسعادة الوارفة الظلال •

وكانت الفرنسية الحسناء أوديت موران صديقتي

وكانت تطلعني على جميع أسرارها •

وفي تلك الليلة ، الليلة الزاهية الزاهرة في فندق صوفر ، كانت أوديت ترقص بجنون مع حبيبها مفتش الامن العام اللبناني •

وكانت تتسلل من حين الى آخر ، من بين الراقصين،

لتمسك بيدي تشدها ؛ وتهمس في اذنـي : هل يعجبك فؤاد ؟

وفؤاد هو حبيبها المذكور ، وقد أصبـح الان أحد كبار رجال الامن في لبنان .

وابتسم ، وأهمس في أذنها : انه رائع يا أوديت ، فليسعدكما الله .

وتضحك أوديت .

وتهرع الى فؤاد لترتمي بـين ذراعيـه ، وتستأنف الرقص بنشوة وسعادة وجنون .

وكانت الحفلة صاخبة زاهية .

ونـسي الجميـع ، حتـى الضبـاط الفرنسيون والبريطانيون ، ان الحرب مندلعة وان العالم يحترق .

لقد نسي الجميع كل ذلك ، وانصرفوا الى الرقص والطرب والسكر والمجون .

وفجأة ، شاهدت السيـدة سبيرس تقـترب منا ؛ وتجلس بيننا لتتحدث بكـل لطف وتواضع الـى والدي والى والدتي ، والى الاستاذ نسيب .

واتضح لي ان هناك صداقة بين نسيب شهوان وبين السيدة سبيرس ، فقد كانت تستشهد به عندما تريد ان تؤكد لنا ما تقول .

وكان الاستاذ نسيب يشهد دائما لها .

والتفتت السيدة سبيرس لتقول لـي : ماذا تعملين

الان يا آنستي اللطيفة ؟

قلت : لا شيء .

قالت : شيء مؤسف . فتاة جميلة مثقفة ابنة أسرة كبيرة مثلك لا تعمل شيئا في حين ان هناك أشياء كثيرة تنتظرها ؟

قلت : أفضل البقاء في الدار يا سيدتي .

قالت : اننا بحاجة قصوى اليك يا آنستي اللطيفة .

فدهشت ..

ولمست الدهشة في عيني ، فهمست في أذني : أرجو ان تزوريني غدا . ستساعدينني في تأديـة الرسالة التي أقوم بها .

قلت باستفهام : لم أفهم ماذا تقصد سيدتي ؟

قالت : انا بحاجة قصوى الى فتاة مثلـك تساعدني في تنظيم الوحدة الصحية التـي انشأتها . انك ستقومين بخدمة انسانية كبرى ، وتخدمين بلادك خدمة لا تنسى . سأكون بانتظارك غدا في دارنا في عاليه . أنت تعرفين ولا شك اننا نصطاف في قصر الامير مجيد في عاليه .

قلت : سأجرب ان ألبي دعوتك يا سيدتي .

لقد قلت لها : « سأجـرب » أي انـي لم أعدها بالزيارة .

لم اشأ ان أعدها قبل ان أستشير والدي في الامر .

واستأذنت السيدة سبيرس منا ، ونهضت لتنتقل الى

حيث يجلس الشيخ بشاره الخوري مع بعض اصدقائه •

وإذا بالسيدة كاترو تقبل نحونا والابتسامة تشع على شفتيها •

ولم تجلس بيننا ، بل هي أمسكت بيدي تشدها ، وتهمس في أذني : أريد ان أتحدث معك حديثا خاصا •

قالت هذا ، والتفتت الى والدي لتقول : هل تسمح لي بالآنسة دقائق قليلة ؟

وقال والدي : بكل سرور أيتها السيدة كاترو •

وسارت بي السيدة كاترو الى الحديقة •

وجلست وراء طاولة صغيرة ، فجلست قربها •

وطلبت الى الخادم ان يأتينا بكأسي شامبانيا •

وفيما نحن نرشف الشامبانيا ، أخذت السيدة كاترو تثني علي ، وعلى ثقافتي وجمالي •

ولم أعلم الى ماذا تهدف من خلال هذا الثناء ، حتى قالت لي : أنت تعلمين أيتها الآنسة اللطيفة انني انشأت وحدة صحية • هذه الوحدة تضم مستشفيات عدة متنقلة تطوف على القرى والمدن اللبنانية لتقديم المساعدات الصحية ، من معالجة وأدوية الى اللبنانيين • ان الاطباء متوفرون لدينا ، والادوية متوفرة أيضا ، ولكن نحن بحاجة الى فتيات مثقفات ذكيات ، لمساعدتنا في توجيه هذه الوحدة ، والاشراف على تنظيمها • لقد وقع اختياري عليك ، وأرجوك ان توافقي على العمل معنا •

واشتدت الدهشة بي •

ان السيدة كاترو تطلب مني ما طلبت السيدة سبيرس •

يبدو انها شاهدت السيدة سبيرس تتحدث الي ، فأدركت ما يدور بيننا من حديث ، ورأت ان تقطع علي طريق العمل مع البريطانيين ، وتفتح أمامي مجال العمل مع الفرنسيين •

لقد كانت السيدتان كاترو وسبيرس شديدتي الغيرة، تحاربان بعضهما بصمت وبدبلوماسية وهدوء •

وأجبت السيدة كاترو بما أجبت به السيدة سبيرس •

قلت : سأجرب ان أنزل عند طلبك يا سيدتي •

قالت : أرجوك ان تلبي نداء الواجب • ان عملك في مستشفياتنا هذه ، رسالة يجب على كل فتاة لبنانية ان تؤديها لوطنها •

كانت السيدة كاترو تتكلم كما يتكلم جميع الفرنسيين ، بسرعة ، وبحزم •

فكأنها واثقة من أن طلبها سيجاب •

اما السيدة سبيرس فكانت تتكلم بلطف وبهدوء وبدبلوماسية •

ووقفت السيدة كاترو تهم بالانصراف ، فوقفت، وصافحتني ، وشدت بيدي.وهمست : سأكون باتنظارك غدا قبل الظهر في دار المفوضية في بيروت •

فوجمت • انها تعين موعد اللقاء دون ان تستشيرني،

وكدت أجيبهـا : لا • لن احـضر •• الا ان ابتسامتهـا الزاهية الوادعة التي كانت تطفو على شفتيها ، أهابت بي الى التمتمة : ان شاء الله ، ان شاء الله •

وشدت يدي ، وهي تصافحني •

فشعرت بحـرارة تسري من بـين أصابعهـا لتحرق أصابعي •

وهمست : كم انت جميلة يا عزيزتي •

وشعرت بالزهو والافتخار والسيدة كاترو تثني على جمالي •

وهمست : شكرا يا سيدتي ، شكرا •

وسارت • وسرت وراءها لأعود الى « الصالون » ، الى حيث يجلس والدي ووالدتي والاستاذ نسيب •

وكان قد انضم اليهم ، والد آمال وآمال ، ووالدتها• فجلست قرب آمال •

وهمست آمال : أين كنت ؟

قلت : كنت أتحدث الى السيدة كاترو •

قلت هذا بكبرياء وخيلاء واعتداد •

فليس من البساطة ، ولا من السهولة في شيء ، ان تتحدث السيدة كاترو الى فتاة مجهولة مثلي •

الا اناعتدادي وكبريائي وخيلائيتلاشت وانا اسمع آمال تقول : هل طلبت اليك ما طلبت الي ؟

قلت : وماذا طلبت اليك ؟

قالت : طلبت الي ان أعمل في مستشفياتها المتنقلة •

قلت : والسيدة سبيرس ؟ ألم تطلب منك ان تعملي في « وحدتها » أيضا ؟

فهمست : اجل •

قلت : يبدو ان السيدتين البريطانية والفرنسية بحاجة قصوى الى الصبايا •

قالت : ما هو رأيك ؟ هل نعمل مع السيدة سبيرس ، أم مع السيدة كاترو ؟

قلت : دعي ذلك الى الغد ، سنفكر بالامر •

واذا بالاستاذ نسيب ينتقل من قرب والدي، ليجلس قربنا ويتمتم : بماذا تتهامسان ايتها العفريتتان ؟

قلت : اننا نتآمر عليك •

فضحك وقال : فليحيا التآمر •

قلت : هل يروق التآمر في عينيك ؟

قال : كل شيء منكما مقبول •

وضحكنا •• وأطبق نسيب على أذني يهمس : هل تراقصينني ؟

قلت : آمال تراقصك •

قال : سأراقصها ، بعد ان أنهي الرقص معك •

ونهضت لأرقص مع نسيب •

وألوى بشفتيه على أذني ، ليهمس وهو يراقصني : ماذا طلبت منك السيدة كاترو ؟

قلت : طلبت الي ما طلبت السيدة سبيرس. الاثنتان طلبتا الي ان أعمل في وحدتيهما الصحية .

فضحك وهمس : يبدو ان«الحديدة حامية»بينهما .

قلت : هذا ما يلوح لي .

قال : وعلى ماذا عزلت ؟ في أية وحدة ستعملين ؟

قلت : بماذا تشير علي ؟

قال : اعملي مع السيدة سبيرس .

قلت : أنا أفضل ان أعمل مع السيدة كاترو .

قال : افعلي ما يحلو لك . ان الامر يعود اليك ، ولكن دعيني أراك غدا .

قلت : لا ، لن أستطيع ان أراك في الغد .

قال : متى اذن أراك ؟

قلت : ماذا تريد مني ؟

قال : أحبك .

قلت : بسلامة السكرتيرة .

فشدني الى صدره وهمس : أنت وحدك حبيبتي .

قلت : كذاب .

فهمس : سميرة ! لا تظلميني . انا لا أفكر بالسكرتيرة ، ولا أهتم بها . انت عندي في مقام الف سكرتيرة مثلها .

قلت : ما لنا ولهذا الحديث الان ، انت حر في ان تحب من تشاء : سكرتيرة ، خادمة ، نورية ، هذا أمر

لا يعنيني •

قال : سأراك غدا ، سأنتظرك في مكتبي الساعة الواحدة بعد الظهر • سنتناول طعام الغداء معا •

قلت مازحة هازئة : أين ؟ في « الشاليه » ، أليس كذلك ؟

قال : أجل في « الشاليه » •

فطفت ابتسامة مكر وهزء على شفتي ، وهمست : لا يا أستاذ « شاليهتكم » محرمة علي ، لن تدوسها قدماي بعد الان •

قال : سأنتظرك •

قلت : لن أحضر •

فشدني الى صدره برفق وحنان وهمس: ستحضرين، وستحضر معك آمال ايضا •

فضحكت وقلت : اطمئن • لن تشاهدنا بعد الان ، لا في مكتبك ولا في دارك العامرة ، لا انا ولا آمال •

قال : يا لك من فتاة عنيدة ، سيرزقك الله من يحطم فيك هذا العناد •

وكانت الموسيقى قد توقفت عن الصدح ، معلنة انتهاء دورة الرقص ، فعدنا الى مقاعدنا لنتبادل الاحاديث مجددا

وجلست انا قرب آمال ، ورحنا نتهامس ، في حين راح والدي ووالد آمال ونسيب يتحدثون أحاديث

السياسة .

وأخـذت والدتـي ووالدتهـا تتحدثـان الاحاديث الاجتماعية .

وقلت لآمال : هل تنامين عندي الليلة ؟

قالت : أتمنى ان أظل معـك ، إلاّ انني أخشى ألاّ يوافق والدي ووالدتي على ذلك .

قلت : سأرجوهما ان يسمحا لك بالبقاء معي .

قالت : جربي .

وكانت الموسيقى قد عادت الى الارتفاع ، معلنة بدء دورة الرقص ، فنهض نسيب ليطلب الى آمال ان تسمح له بمراقصتها .

ورقصا ..

وشاهدتهما يرقصان بانسجام وشوق وحنـين وهما يتهامسان ، فضحكت في سري : يبدو ان نسيباً يطرح شباكه مجددا حول آمال .. من المؤكـد انه يدعوها لموافاته غدا .

ولم يخطيء ظني .

فقد عادت آمال ، بعد الانتهاء من الرقص ، لتجلس قربي وتهمس في أذني : سنتنـاول طعام الغداء غدا مع الاستاذ نسيب .

وهمست : اسكتي الان ، سنتحدث مليا في الدار ، بعد ذهابنا .

وصمتت ..

ورحنا نتبادل أحاديث شتى .

وكانت الموسيقى تنقطع دقائق قليلة ، فينقطع الراقصون عن الرقص ، لتعود الى الارتفاع ويعودون معها الى الرقص الحالم النشوان ..

ورقصنا تلك الليلة .

رقصنا انا وآمال ، حتى انهكنا التعب .

رقصنا مع نسيب ، ومع بعض الضباط ، ومع رجال السياسة اللبنانيين .

ولم تختتم الحفلة الا وخيوط الفجر توشح تلك الربى والوهاد بوشاحها الوردي الجميل .

وقبل ان ننصرف ، طلبت من والد آمال ان يسمح لها بالذهاب معي .

قلت : ستنام آمال عندي . أرجوك ألاّ تبخل علي بهذه الامنية .

وحاول والد آمال الرفض .

فهو يريد ان يعود بزوجته وبابنته الى دارهما في بيروت .

الا ان والدة آمال ساعدتني على اقناعه ، فسمح بأن ترافقني آمال وتنام عندي .

ووصلنا الى دارنا في بحمدون ، وقد أشرف الصباح على البزوغ .

ودخلت مع آمال الى غرفتي لننزع عنا ثيابنا ونندس في السرير •

وهمست آمال في أذني ، وهي تطوقني بذراعيها : سننام • ان التعب ينهكني والنعاس يثقل أجفاني •

قلت : وأنا مثلك • يبدو اننا أسرفنا في الرقص ، وفي الشرب •

قالت : كانت الحفلة رائعة •

ومضينا في الحديث •

ونسينا التعب والنعاس ، فرحنا نستعرض كل ما مر في تلك الحفلة الزاهرة الزاهية •

وقالت لي آمال : ما رأيك في ما طلبت منا السيدتان كاترو وسبيرس ؟

قلت : سأرفض الطلب • انا لست مستعدة ان أضيع وقتي في العدو وراء المرضى وأصحاب العاهات • لن اكون ممرضة في وحدة السيدة سبيرس ، ولا موظفة في مستشفيات السيدة كاترو ، ما لنا ولهما •• وأنت ؟

قالت : ما تفعلينه أفعله •

قلت : لقد ضربتا لي موعدا • السيدة سبيرس دعتني الى زيارتها في قصرها في عاليه ، والسيدة كاترو دعتني لمقابلتها في دار المفوضية • الا انني لن اذهب اليهما • وانت ؟ هل ضربتا لك موعدا ؟

قالت : اجل •• لقد طلبت الي السيدة سبيرس ان

آوافيها الى دارها في عاليه ، كما طلبت الي السيدة كارو ان أتصل بها هاتفيا .

قلت : ما لنا ولهما . تكفينا مشاكلنا .

وتمتمت آمال : لقد وعدت الاستاذ نسيباً بأن نوافيه الى مكتبه في الساعة الواحدة من بعد الظهر . ظهر اليوم . يجب ان ننام الان ساعات قليلة كي نستطيع ان نستيقظ ، ونشخص الى بيروت قبل الساعة الواحدة .

واستويت في السرير .

وأشعلت لفافة لأقول : اسمعي يا آمال . الاستاذ نسيب يريد ان يلعب بنا . يريد ان يلهو معنا . ان يجعل منا ألعوبة بيديه . هذا رجل مغامر . انه زير نساء . لديه عشرات العشيقات . ما لنا وله ؛ فلنبتعد عنه .

فهمست آمال ، وقد استوت ايضا في السرير : هاتي سيكارة .

وقدمت لها لفافة ، راحت تنفث دخانها في الفضاء على مهل ..

وساد الصمت برهة بيننا ، قبل ان أعود الى الكلام، لأقول : يجب ان نقطع كل علاقة لنا به .

قالت : لماذا ؟

قلت : لقد أوضحت لك السبب . انه رجل خطر ، قد لا تسلم العلاقة بيننا وبينه . وما كل مرة تسلم الجرة.

قالت : ولكنه جذاب رائع ، يستطيع ان يسعدنا ،

وان يبعد عنا الحرمان الذي نعانيه .

قلت : هو سيخرب بيتك . تصـوري ماذا سيفعل حبيبك شفيق ايوب اذا وقف على علاقتك بالاستاذ نسيب.

قالت : ومن أين له ان يعرف . لا الاستاذ نسيب سيفضح السر ، ولا انا ، ولا انت .

قلت : لا تسألي كيف ومتى تفضح الاسرار .

قالت : يخيل الي انك على خطأ يـا سميرة . ماذا يضيرنا اذا قضينا مدة من الزمن مع الاستاذ نسيب ؟

فتمتمت : قلت لك هذا زير نساء ، لديه عشيقات كثيرات ، وهو يريد أن نكون بين عشيقاته .

فنفثت دخان اللفافة في الفضاء ، وهمسـت : ماذا يهمنا منه ومن عشيقاته ؟ هل سنتزوج منه ؟ فليفعـل ما يطيب له . سنقضي معه اياما حلوة هانئة ، قبل ان ندخل الى ملكوت الزواج .

قلت : انها مغامرة خطرة .

قالت : لا تكوني جبانة . لقد وعدت نسيباً بـأن نوافيه الى مكتبه ، ثم نشخص واياه الى الشاليه ، حيث نتناول الغداء معه ويجب ان أفي بوعدي .

قلت : لا . لن تذهبي اليه .

قالت : بل سنذهب معا .

قلت : كوني عاقلة يا آمال . لا تتورطي ، ولا تتوغلي في وهدة عميقة الغور ، لا تستطيعـين النهوض منها .

اسمعي من أختك سميرة وابتعدي عن نسيب •

قالت : سأعمل بنصيحتك • ولكن ليس الان • دعينا نوافه هذه المرة فقط • انني أتوق الى قضاء ساعة بين ذراعيه • ساعة واحدة فقط ، وينتهي كل شيء بيننا •

قلت بحزم وعزم واصرار : لا •• لن نذهب اليه اليوم • نامي ، نامي • الساعة أشرفت على السابعة من الصباح ، وعيوننا يثقلها النعاس •

واستلقيت في السرير • فاستلقت قربي •

وضمتني الى صدرها برفق وحنان •

وأغمضت عينيها وهمست : تصوري . لو كنت انا الان الاستاذ نسيب . ينام قربك ويطوقك هكذا بذراعيه •

وتصورت •

فراقت لي الصورة •

وتخيلت ، فطاب لي الخيال الاخضر الرائع المخضل الجناح •••

ومضينا في الهمس . وفي استعادة الذكريات •

ولم نستطع ان نستغرق في النوم الا والشمس تسكب ذوبها الذهبي على سريرنا عبر النافذة المشرعة الدفتين ، وقد أنهكنا التعب والسهر والرقص •

ولم أستفق الا على صوت آمال يهمس في أذني : سميرة ! انهضي يا حبيبتي • لقد أشرفت الساعة على الثانية عشرة •

واستويت في السرير أفرك عيني ، والنعاس لا يزال يغالبني •

وهمست : دعيني أعد الى النوم يا آمـال • انني متعبة •

وأمسكت آمال بيدي تشدها وتقـول : انهضي ، انهضي يا سميرة ، ان الاستاذ نسيباً في انتظارنا • يجب ان نشخص الان الى بيروت ، كي نكون عنده في الموعد المضروب •

قلت : لا يا آمال ، لا ، نحن لن نشخص الى بيروت الان ، ولن نوافي الاستاذ نسيباً الى مكتبه • سنظل هنا في بحمدون •

قالت : ولكنني وعدته ، ويجب ان أفي بوعدي •

فهمست : يجب ان نقطـع كل صلة لنـا بالاستاذ نسيب • ما لنا وله ، هذا رجل مغامر سيجرفه التيار ، ونحن لا نريد ان نكون ضحية التيار •

وحاولت آمال عبثا ان تقنعني بالذهاب الى بيروت •

فقد أصررت على الانتقام من الاستاذ نسيب •

سأنتقم منه •

لن ادعه يلعب بعقلي ، كما يلعب بعقل سكرتيرته ، وعشرات الفتيات والنساء •

وخرجنا من الغرفة الى الشرفة •

وجاءتنا الخادمة بالقهوة •

فجلسنا نرشفها على الشرفة الرحبة المطلة على الوديان والجبال والتلال الخضراء ، ونتحدث بعض الاحاديث التي تهم فتاتين في مثل عمرنا .

ولم تلبث ان أقبلت والدتي تدعونا الى مائدة الطعام.

كانت الساعة قد أشرفت على الواحدة بعد الظهر .

وكان والدي قد سبقنا الى قاعة الطعام . فجلسنا نتناول الغداء ، ونتحدث في ما كان ليلة امس .

واخبرت والدي ، فيما نحن نتناول طعام الغداء ، بكل ما قالته لي السيدة كاترو والسيدة سبيرس .

وقالت له آمال : وما طلبتا من سميرة طلبتاه مني ايضا . ما هو رأيك يا «اونكل» ، هل نعمل معهما ، او مع احداهما ؟

وضحك والدي وقال : يبدو ، في الظاهر . انهما يقومان بعمل انساني ، والله وحده يعلم ما في النوايا والافئدة . على كل ، ليس ثمة ما يحول دون مساعدتهما. اذا شئتما ان تتسليا وأن تساهما في عمل انساني من هذا النوع ، فلكما الخيار .

وكان والدي يحب المساهمة في الاعمال الخيرية .

وكانت والدتي ايضا تفضل العمل في الجمعيات والمؤسسات الخيرية على زيارة الصديقات وقضاء الوقت في لعب الورق وتدخين النارجيلة .

وكانت ايضا من المساهمات والعاملات في كثير من

تلك الجمعيات •

وشجعني والدي •

وشجعتني والدتي على العمل مع السيدتين كاترو وسبيرس •

وقالت لي والدتي : هاتان السيدتان الاجنبيتان تقدمان خدمة انسانية للفقراء من ابناء القرى ، وعلينا نحن اللبنانيات ان نساعدهما ونعاونهما ، ونقدم لهما كل ما نستطيع ان نقدمه من خدمات •

واستشارت آمال والدها ووالدتها في الامر ، فلم يمانعا •

بل بالعكس ، فهما قد شجعاها على العمل الانساني. وقد خيل اليهما ان العمل في وحدة السيدة سبيرس الصحية ، او في وحدة السيدة كاترو ، يصرفها عن التفكير بصديقها الحميم شفيق ايوب •

وعقدت اجتماعا مع آمال للبحث في الموضوع •

كان علينا ان نختار الوحدة الصحية التي يجب ان نعمل فيها • هل نعمل مع السيدة كاترو ؟ ام ترانا نعمل مع السيدة سبيرس ؟

وقالت آمال : انا افضل العمل مع السيدة سبيرس• ان العمل مع سيدة بريطانية ، افضل من العمل مع الفرنسية ، لان البريطانيين اشتهروا بالدقة وبالنظام وبتقدير قيمة العمل • اما الفرنسيون فقد عرف عنهم انهم

فوضويون يعملون جميع اعمالهم بسرعة وباندفاع دون ان ينظروا الى البعيد •

قلت : اما انا فانني افضل العمل مع السيدة كاترو• اريد ان ابتعد عن المشاكل •

قالت : وأين هي المشاكل؟ هل يلوح لك ان السيدة سبيرس صاحبة مشاكل ؟

قلت : لا • ليس هذا ما اقصد •

قالت : وماذا تقصدين اذن ؟

قلت : اقصد ان المرأة البريطانية دقيقة في اعمالها• ومن الطبيعي ان تقيدنا السيدة سبيرس ، وأن ترغمنا على التقيد بالمواعيد وبالانظمة ، اما السيدة كاترو ، فلن تكون دقيقة معنا ، ولن نضطر الى ان نتقيد بالمواعيد في العمل معها •

قالت : ولكننا متطوعان • لن تستطيع السيدة سبيرس ان تعاملنا كما تعامل سائر الموظفين والموظفات الذين يتقاضون اجرتهم في وحدتها •

قلت : ما دمنا قد ارتضينا مساعدتها والعمل معها ، فعلينا ان ننفذ جميع طلباتها ، وان نقوم بجميع الاعمال التي تطلب الينا القيام بها •

قالت : انني اميل الى التعاون مع السيدة سبيرس•

قلت : اسمعي يا آمال • اعملي انت في وحدة السيدة سبيرس الصحية ، وسأعمل انا في وحدة السيدة

كاترو ، الان بصورة مؤقتة • ستختبر كل منا العمل في وحدتها ، وبعد الاختبار تقرر العمل في احدى الوحدتين بصورة نهائية •

ورافقت الفكرة لآمال •

قالت : ارى انك على حق الان • سأعمل انا في الوحدة الصحية البريطانية لمدة شهر ، وتعملين انت في الوحدة الفرنسية لمدة شهر ايضا ، وبعد انقضاء الشهر ، سنقرر مصيرنا ، ونختار احدى الوحدتين •

واتصلت آمال هاتفيا بالسيدة سبيرس ، لتعلن لها موافقتها على العمل معها في الوحدة الصحية التي تشرف عليها •

فرحبت السيدة سبيرس بها ودعتها لمقابلتها فورا •

واتصلت انا بالسيدة كاترو •

لقد ذهبت اليها بنفسي • فرحبت بي السيدة كاترو شديد الترحيب •

وجلسنا في الصالون الشرقي الفخم في المفوضية الفرنسية نتحدث •

وكانت السيدة كاترو جذابة ـ مثل جميع الفرنسيات ـ لطيفة ، مهذبة متواضعة ، ولمست من حديثها انها حاقدة على السيدة سبيرس •

لقد لمست هذا الحقد فيها منذ المقابلة الاولى • فقد قالت لي : ان السيدة سبيرس تريد ان تبسط نفوذها في

لبنان . تريد ان تقوم بدعاية لزوجها ولنفسها . انـا لا اعلم الى ماذا ترمي من وراء انشاء وحدة صحية في لبنان، حيث للفرنسيين المقام الاول المرموق ؟

لماذا لا تذهب الى مصر او الى فلسطين ، او الى اي بلد عربي اخر ؟

ماذا تفعل هنا ؟ من قال لها ان اللبنانيين بحاجة الى مساعدتها ؟ من طلب مساعدتها ؟

قلت ، وأنا احاول ان اخفف من حدة غضبها : يبدو انها ارادت مساعدتك ايتها السيدة كاترو .

فضحكت السيدة كاترو ، وأمسكت بيدي لتقول : انت ما زلت صغيرة يا ابنتي ، لا تستطيعين ان تدركـي الحقائق التي تختفي وراء الاوهام ، ولا ان تكتشفـي خفايا القلوب . ان السيدة سبيرس لم تفكر بمساعدتي، بل هي ارادت ان تنال من قدري . ارادت ان تقـول للبنانيين : ماذا فعلت لكم عقيلة الجنرال كاترو ؟ مـاذا فعل لكم الفرنسيون ؟ لم يفعلوا شيئا . اما انا فقـد انشأت لكم وحدة صحية فور وصولي الى لبنان . انني اهتم بكم . والبريطانيون يحبونكـم ، ويريدون ان يقدموا لكم المساعدات والخدمات .

وأنشأت وحدتها الصحية فاعتبرت ذلك تحديا لي ، واضطررت الى انشاء وحدة صحية مماثلة . وها انا الان اقوم بنشاط كبير ، وأنصرف الى الاهتمام بأبناء القرى

اللبنانية اهتماما كبيرا . ولكنني الاقي صعابا في القيام بهذه المهمة . ان معظم الذين يعاونونني هم من الفرنسيين. هناك بعض الشبان الفرنسيين من الجنود والضباط والاطباء يقدمون لي مساعدات كبيرة ، وهناك ايضا بعض الفتيات والنساء الفرنسيات يتفانين في خدمة الوحدة الصحية التي اديرها ، ولكنني بحاجة قصوى الى مساعدة اللبنانيات . ان فتاة لبنانية واحدة مثلك يا صغيرتي ، يمكنها ان تقدم للوحدة الصحية خدمة لا تستطيع عشر نساء فرنسيات ان يقمن بها ، ولذلك فقد طلبت منك معاونتي ، لاسيما وأنت فتاة مثقفة ذكية ، وابنة رجل سياسي لبناني كبير ، له نفوذه الشعبي ومقامه المرموق .

وأدركت ان لا السيدة كاترو ، ولا السيدة سبيرس كانتا ترميان الى خدمة اللبنانيين من وراء انشاء وحدتيهما. وان وراء انشاء الوحدتين امورا سياسية وقضايا شخصية ..

هناك تسابق على النفوذ في لبنان بين عقيلة الجنرال كاترو وعقيلة الجنرال سبيرس .

الا ان هذا التسابق كان في مصلحة ابناء القرى اللبنانية الذين كانوا ، يومذاك ، بحاجة قصوى الى الطبيب والى الدواء .

وكانت السيدتان كاترو وسبيرس تتسابقان لتقديم

كل مساعدة صحية لابناء هذه القرى .

* * *

بدأنا العمل ...

انا مع السيدة كاترو في مستشفاهـــــا المتنقل ، وصديقتي آمال نصري مع السيدة سبيرس في وحدتهـــا الصحية .

وكانت وحدة السيدة سبيرس تضم خمسة مراكـــز صحية في لبنان ، في حين كانت وحـــــدة السيدة كاترو تنحصر في تجهيز عدد من السيارات الصحيـــة المتنقلة ، تزور القرى النائية البعيدة .

وكانت تلك السيارات مزودة بالاطباء وبالممرضـــات وبالادوية .

ولم تلبث ان وسعت مدام كاترو نشاطها في الحقل الصحي ، حتى وصل هذا النشاط الى سوريا .

فكانت سياراتها المزودة بالادوية والاطباء تصل الى دمشق ، والى حمص ، وحلب ، وحماه ، وكان علي ان اشرف على انتقال هذه السيارات في القرى اللبنانية وأن احدد ، بالاشتراك مع السيدة كاترو نفسها ، القرى التي يجب ان تزورها سياراتنا ، وان اضع تقريرا مفصلا عن اعمال ونشاط جميع الموظفين في الوحدة ، وأن اقـــوم

بالدعاية اللازمة لوحدتنا .

اما عمل صديقتي آمال نصري في وحدة السيدة سبيرس فقد كان منحصرا في التوجيه ، وفي تقديم التقارير للسيدة سبيرس .

وكانت التقارير المطلوبة منها تنقسم الى قسمين : قسم يتعلق بنشاط السيدة كاترو وموظفيها وأطبائها وممرضاتها ، كي تظل السيدة سبيرس على علم واسع بنشاط منافستها على النفوذ ، وقسم يتعلق بالقوى اللبنانية المحرومة التي تحتاج الى الطبيب والدواء .

انها الطريقة البريطانية التي لم تتغير منذ مئات السنين .

انها الطريقة التي تنحصر في وضع التقارير، وتنظيم الخطط ، ودرس المشاريع قبل الاقدام على تنفيذها .

في حين ان الطريقة الفرنسية كانت ولا تزال تعتمد على السرعة والارتجال .

وصرفني العمل الاجتماعي في مستشفيات السيدة كاترو عن القيام بأي نشاط عاطفي ، او شخصي .

وبدأت اشعر بلذة في القيام بخدمة المرضى البائسين .

ان لذة القيام بالاعمال الخيرية لا تضاهيها لذة في الحياة ، لانها لذة روحية ، لذة نفسية ، لذة الارتياح للقيام بالواجب المفروض في هذه الحياة .

وكنت سعيدة في عملي •

كنت اشعر بسعادة بعيدة عميقة الغور كلما قدمت دواء الى مريض ، وكلما سعيت في نقل جريح الـــى المستشفى •

وكنا ـ نحن موظفو مستشفيات السيـدة كاترو ـ نجتمع مع زملائنا موظفي وحدة السيدة سبيرس ، مـن حين الى اخر ، في اجتماعات الصليب الاحمـر ، فنتبادل الآراء والتوجيهات •

وكانت السيدتان كاترو وسبيرس تحرصان على عقد مثل هذه الاجتماعات ، لتوثيق الصداقة بين الوحدتـين الفرنسية والبريطانية •

وكنت اجتمع ، من حين الى اخر ، بصديقتي المخلصة الوفية آمال نصري ، حينا في دارنا ، وأحيانا في دارهم •

وكلما اجتمعنا انصرفنا الى المزاح ، والى التعليق على اعمال الوحدتين ـ الوحدة البريطانية التي تعمل فيهـا آمال ، والوحدة الفرنسية التي اعمل فيها انا ـ وكانت آمال تخبرني بكل اسرار السيدة سبيرس ، كما كنت انا اخبرها ايضا بكل اسرار السيدة كاترو •

وعلمت من آمال ان السيدة سبيرس كانت تتبـرم من مضايقة السيدة كاترو ، ومن مزاحمتها على النفوذ في المناطق اللبنانية •

تماما كما كانت السيدة كاترو تتبرم ايضا من نشاط

ونفوذ السيدة سبيرس • وكان التنافس الصامت شديدا بين السيدتين الكبيرتين •

الا ان الموظفين في الوحدتين لم يكونـوا ليهتموا بهذا التنافس ، بل كانوا يقومون بواجباتهم على اكمـل وجه •

وكانوا على وفاق تام •

وقد نشأت صداقات عديدة بين موظفي وموظفـات الوحدتين •

وانا ما زلت اذكر تلك العلاقة العاطفية العنيفة التي نشأت بين فتاة بريطانية تعمل في وحدة السيدة سبيرس، وبين طبيب فرنسي شاب يعمل في وحدة السيدة كاترو•

وكان الطبيب الفرنسي يطلعني على علاقته بصديقته البريطانية الحسناء •

كما كانت المرضة البريطانية تطلع صديقتي آمـان نصري على كل ما يجري بينها وبين الطبيب الفرنسـي الوسيم •

وكان الحبيبان ، الفرنسي والبريطانية ، قد اتفقـا على الزواج • الا ان امرهما فضح ، فعلمت السيـدة سبيرس بهذه العلاقة ، وطلبت الى الممرضة البريطانية قطع علاقتها بالطبيب الفرنسي •

كما علمت ايضا السيدة كاترو بهذه العلاقة فطلبت الى الطبيب ان يبتعد عن الفتاة البريطانية ، لان علاقتـه

بها تسيىء الى سمعة الوحدة من جهة ، وتصرفه عن القيام بواجبه كاملا من جهة ثانية •

وكان على الحبيبين ان ينفذا ما طلب اليهما لئـــلا يتعرضا الى العقوبة ، والعقوبة معروفة ، هي ابعادهما ، او ابعاد احدهما الى مكان قصي بعيد ، وربما الــــى الجبهة •

وقررنا ــ انا وآمال ــ ان نساعد الطبيب والممرضة ، لاسيما بعد ان رأيناهما يتعذبان ويعانيان مرارة الحرمان والشقاء •

فأخذنا نهيىء لهما الاجتماعات السرية ، تارة فــي داري ، وطورا في دار آمال •

وحاولت مع آمال ان نمهد لهما سبيل الهــــرب والزواج ، الا انهما رفضا ، لا الطبيب الفرنسي وافق على الهرب ، ولا الممرضة البريطانية ، لانهما اعتبرا الهرب في مثل ذلك الوقت الذي تشتعل فيه نار الحرب تهربا من المسؤولية ، وخيانة لبلديهما ••

ان الروح الوطنية لدى الفرنسيين والبريطانيين هي فوق كل عاطفة وفوق كل مصلحة شخصية •

فمتى يصبح لدينا مثل هذه الروح السامية الشريفة النبيلة ؟

لقد ابى الطبيب الفرنسي ان يهرب مع حبيبته •

كما رفضت ايضا الفتاة البريطانية ان تهرب مــــع

حبيبها ، مفضلين العذاب والشقاء على الخيانة الوطنية .

واكتفى الحبيبان باللقاء في داري وفي دار آمال من حين الى اخر .

وقد خيل اليهما ان سرهما لن يكشف وان الايام ستصفو لهما عندما تضع الحرب أوزارها ويخفق علم السلام .

الا انهما كانا على خطأ .

فقد اتصلت بي آمال ذات صباح لتقول لي : اريد ان اراك الليلة يا سميره . اين ؟

قلت لها : سأكون في الدار الساعة الثامنة . هل تحضرين الي ؟

قالت : أجل . سأكون عندك في تمام الساعة الثامنة .

وجاءت آمال ، والخوف يطل من عينيها ، لتقول : يبدو ان امرنا قد فضح يا سميرة .

قلت : ما هو هذا الامر الذي فضح ؟ انا لم افهم ماذا تعنين .

قالت : اسمعي يا صديقتي . لقد دعتني السيدة سبيرس اليها اليوم ، وقالت لي : لقد علمت ان ممرضتنا تجتمع خلسة ، وعلى انفراد ، في دارك بالطبيب الفرنسي. وانت تعلمين يا آمال ان المجال الان ، ليس مجال حب وغرام . نحن في حالة حرب ، والاعمال والاشغال كثيرة

لدينا . ان واجبنا الانساني والوطني يهيب بنا الى الانصراف بكل عواطفنا الى التضحية ، ارجوك يا صغيرتي ان تساعديني على اخماد الجذوة التي تتقد في قلبيهما ، لاننا بحاجة الى عملهما المثمر الان .

قلت : وماذا قلت لها ؟

قالت : لقد وعدتها بالمساعدة .

قلت : هل تتخلى عنهما ؟

قالت : لست ادري .. ما هو رأيك انت ؟

قلت : اسمعي يا آمال . ما دمت قد وعدت السيدة سبيرس ، فعليك ان تقومي بما وعدت . اما انا فما زلت حرة من كل وعد . يبدو ان السيدة كاترو لم تقف على السر ، وهذا ما يهيب بي الى مساعدتهما وحدي . لن يجتمعا في دارك بعد الان . بل هما سيكتفيان بالاجتماع عندي هنا .

وأسرعت الى الطبيب الفرنسي الشاب اطلعه على الامر .

وشاهدت الالم العميق يطل من عينيه .

وهمس: يلوح لي ان الله لا يريد لنا اللقاء .

قلت : اطمئن ، ستجتمع بها كل اسبوع عندي .

قال : ان الامر لن يكون من السهولة بالقدر الذي يلوح لك . ان مدام سبيرس ومدام كاترو لن تتورعا عن القيام بأي عمل يكفل لهما انفصالنا .

قلت : يبدو ان الظروف الان لا تسمح بنمو العواطف وازدهارها • ان رائحة البارود تقضي على عبير الزهور وأريج الورود والرياحين •

فطفت على شفتيه ابتسامة واهية صفراء . وهمس : ان الحب لا يعرف الظروف ، ولا يقر بالزمن • القضية ليست قضية «ظرف» يا آنستي اللطيفة • انها قضية أبعد من ذلك •

قلت : ماذا تعني ؟

قال : اعني ان الحقد والانانية والقضايا الشخصية تلعب بمصير قلبينا • ثقي لو انني احببت فتاة فرنسية ، لكان مصير حبنا السعادة والهناء ، ولو ان حبيبتي البريطانية احبت فتى بريطانيا لكان مصيرهما ايضا السعادة الكاملة • ولكن لا مدام كاترو تريد ان يتزوج شابا فرنسيا من فتاة بريطانية ، ولا مدام سبيرس تريد ان تتزوج ممرضة بريطانية من طبيب فرنسي • الامر كله ينحصر في انانية المرأة • وثقي لو ان امرنا كان بيد رجل، لما وقعت هذه المعضلة •

قلت : ولماذا لا تلجأ الى الرجل ؟ لماذا لا تطلع الجنرال كاترو والجنرال سبيرس على الامر ؟

فضحك وقال : هل يخيل اليك ان الجنرال كاترو والجنرال سبيرس لديهما الوقت لحل مثل هذه المعضلات الان ؟

قلت : وماذا ستفعلان ؟

قال : وماذا نستطيع ان نفعل ؟ سنترك مصير قلبينا للاقدار .

قلت : ومن الان حتى تحل الاقدار معضلتكما ستجتمعان في داري .

قال : وهو كذلك .

وراحا يجتمعان في داري .

وقد خيل اليهما انهما في مأمن من كل خطر ، الا انهما كانا على خطأ ، لان السيدة كاترو دعتني اليها ذات صباح لتقول لي :«انا زعلانة منك يا سميرة .»

قلت : لماذا اينها السيدة كاترو ؟

قالت: لانك تمهدين اللقاء في دارك للطبيب الفرنسي وللممرضة البريطانية .

ودهشت : كيف وصل الخبر الى السيدة كاترو ؟..

وحاولت دفع التهمة عني ، فقلت لها : انا ؟ انا اهيىء لهما الاجتماع في منزلي ؟

فأمسكت السيدة كاترو بيدي تشدها ، وهمست: لا تحاولي الانكار . لقد علمت كل شيء .

قلت لها : من نقل لك هذه الوشاية كاذب . انا لم اهيىء لهما الاجتماعات ، كما تتوهمين يا سيدتي ، قد يكونان اجتمعا صدفة في داري مرة او مرتين . لان الممرضة ليز صديقتي ، والضابط الدكتور روجيه صديقي

ايضا .

فابتسمت السيدة كاترو ابتسامة هادئة رصينة وهمست : ومن اجل ذلك ، من اجل الصداقة التي تربطك بهما اردتِ مساعدتهما .

ولم استطع اخفاء ابتسامة واهية طغت على شفتي. وانا اسمع «غمزة» السيدة كاترو .

وهمست : هل استطيع ان اعلم من هو هذا الواشي الذي نقل اليك هذا الخبر يا سيدتي .

قالت : السيدة سبيرس .

وارتسمت الدهشة على وجهي .

ولمست السيدة كاترو دهشتي ، فقالت : يبدو ان الاستخبارات البريطانيةاشد نشاطا ودهاء من الاستخبارات الفرنسية يا سميرة . لقد اكتشفت السيدة سبيرس علاقة الممرضة البريطانية بالطبيب الفرنسي قبلي ، ثم اكتشفت جميع التفاصيل التي تحيط بهذه العلاقة .

وتابعت : «قالت لي السيدة سبيرس : لقد منعت الموظفة في وحدتي آمال نصري من مساعدة ليز وروجيه ، بقي عليك ان تمنعي انت الموظفة في وحدتك سميرة نجار من مساعدتهما .»

فازددت دهشة .

وأيقنت ان البريطانيين دهاة ، وانهم أسياد الاستخبارات وأربابها .

ورأيت ان اتوسط للحبيبين المتيمين لدى السيدة كاترو ، فقلت لها : انا لا اعلم لماذا تحاولين ، ولا لماذا تحاول السيدة سبيرس التفرقة بين قلبين هائمين ؟ ماذا يضيركما يا سيدتي اذا تزوج الدكتور روجيه من الممرضة ليز ؟

فارتسمت غمامة حزن دكناء في عيني السيدة كاترو وهمست : الحقيقة هي انني آسفة يا ابنتي لما حدث ، ولما سيحدث . فأنا لست متحجرة القلب ، ولا انا قاسية او ظالمة ، كما تتوهمين ، الا ان الظروف في الوقت الحاضر لا تسمح بان يتزوج روجيه من ليز . نحن الان في حال حرب ، وعلينا كلنا ان نفكر بمصير العالم قبل ان نفكر بمصيرنا .

قلت بكل جرأة وشجاعة : هل كنت تمانعين في ان يتزوج الدكتور روجيه من ليز لو ان ليز فرنسية ؟ وهل كانت السيدة سبيرس تمانع في زواج ليز من روجيه لو ان روجيه بريطاني ؟

ولاح لي من السيدة كاترو انها تضايقت من سؤالي الصريح ، فأشعلت لفافة وتمتمت : قد تكونين على حق في ما تفكرين يا سميرة .

قالت هذا ونهضت لتقول : فلنذهب الى اعمالنا .

وذهبنا ..

* * *

بعد هذا الحديث باسبوع واحد ، اصدرت القيادة امرا بنقل الضابط روجيه الى القاهرة .

ووجمنا جميعا ، انا وصديقتي آمال والممرضة ليز، لاننا كنا نعلم اي خطر ينتظره هناك .

وكان كل من يعمل مع البريطانيين والفرنسيين يعلم ان معركة العلمين باتت قريبة الوقوع ، وان الخطر بدأ يتجه الى القاهرة .

وأدركنا السبب في نقل الدكتور روجيه من بيروت الى القاهرة .

وهمست الممرضة ليز ، وهي تلقي برأسها الواهي الجميل على صدري وتجهش بالبكاء : انا السبب .. انا السبب .

ورحت اهدىء من روعها .

واخذت آمال تطيب خاطرها .

وأحطناها بكل عطف ومحبة وحنان ، فلم نعد نفترق عنها .

وكنا نجتمع دائما بها في اوقات فراغنا ، اما في داري واما في دار آمال .

وكثيرا ما كنا نصطحبها الى المتنزهات ، والى الحفلات ، والى النوادي ، والى السهرات .

غير ان ليز لم تكن الا لتزداد حزنا وألما ودموعا .

ولم تعرف شفتا الممرضة البريطانية الحسناء

سامي بك الصلح

الابتسامة الا عندما تسلمت الرسالة الاولى من حبيبها الفرنسي .

وكان الدكتور روجيه يبثها اشواقه وحنينه وهواه في تلك الرسالة . فأخذت تتلوها على مسامعنا ، والدموع في عينيها ، والابتسامة تطفو على شفتيها .

وكان روجيه يعدها بان يكتب لها رسالة كل اسبوع . ويطلب منها ان تكتب اليه باستمرار .

وكتبت اليه ...

واقامت تنتظر الجواب على نار وحمم .

الا ان الرد لم يردها .

واذا بالانباء تعلن نشوب معركة العلمين .

وطارت السيدة سبيرس الى القاهرة لتشرف بنفسها على وحدتها الصحية هناك ، وتستقبل جرحى المعركة الدامية الرهيبة .

ولم تلبث ان لحقت بها السيدة كاترو ايضا .

وكان علينا نحن الموظفات المسؤولات في الوحدتين البريطانية والفرنسية ان نبذل المزيد من النشاط ، وتحمل المسؤوليات في غياب السيدتين كاترو وسبيرس .

وقمنا بالواجب المفروض خير قيام .

وكانت ليز تتفانى في القيام بواجبها ، وترهق نفسها ارهاقا كبيرا ، فتعمل الليل والنهار دون ان تأخذ لنفسها قسطا ضئيلا من الراحة .

وكانت قلقة مضطربة حيرى •

كلما خلت بنفسها انصرفت الى ذرف الدموع السخينة •

كانت تخشى ان تفقد حبيبها روجيه الى الابد •

وكانت تحتفظ بصورته في غرفتها ، وقد احاطتها باطار من خشب ثمين ، ووضعتها قرب سريرها •

وذات صباح اسرعت ليز الى آمال لتقول لها ، والدموع في عينيها : لقد حلمت حلما مرعبا مخيفا يا آمال • قلبي يحدثني بانقضاض كارثة هائلة علي •

فابتسمت لها آمال وهمست : ما هو هذا الحلم يا ليز ؟

قالت : شاهدت روجيه بين ألسنة اللهيب ، والغربان تحوم فوقه •

وأرعب الحلم المخيف آمال ، الا انها تظاهرت باللامبالاة ، وهمست : انها أضغاث احلام • تعالي معي لنذهب الى سميرة •

وجاءتا الي •

وشاهدت الرعب يطل من عيني الممرضة البريطانية الحسناء فقلت لها : ما بك يا ليز ؟ لماذا انت واجفة مضطربة صفراء الجبين ؟

ولم تجب ••

الا ان آمال بادرتني بقولها : مجنونة • لقد اخافها

حلم شاهدته ليل امس • يبدو انها تؤمن بالاحلام • قولي لها يا سميرة ، كم من الاحلام شاهدناها ، وكنا نتمنى ان تتحقق ، الا اننا لم نوفق الى تحقيق حلم واحد منها •

واقتربت من ليز امسك بيدها ، فاذا بها باردة ترتجف ••

وابتسمت لها ، وهمست : اخبريني ما هو هذا الحلم يا اختي الحبيبة ؟

وروت لي الحلم ، قالت : شاهدتني اقف على قمة عالية وحدي ، وقد هبت علي عاصفة عاتية هوجاء كادت تقذف بي الى قعر واد سحيق مظلم عميق • فذعرت ، ونظرت الى الوادي المظلم لاشاهد بصيص نور واه ضئيل ، ولم ألبث ان رأيت النور يتحول الى شعلة ملتهبة اخذت تتسع وتتقد وتلتهم الحرج الظليل في سفح الجبل • وفجأة شاهدت روجيه وسط ألسنة النار ، يحاول النجاة ، يحاول الهرب ، يحاول الخروج من نطاق اللهيب دون ان يستطيع الى ذلك سبيلا • فرحت اصرخ وأناديه ، الا انه لم يسمعني• وبدأت النار تلتهمه، فكدت اجن • واذا بنطاق النار يضيق حوله والدخان يحجبه عني • وألقيت بنفسي من اعلى القمة العالية الى الوادي لانقاذه ، الا انني لم اصل الى الوادي ، بل بقيت معلقة في الهواء •• وعادت العاصفة تهب لتلعب بي ، فترفعني الى الاعالي حينا ، وتهبط بي احيانا • وبدأت

الرياح تبعثر الدخان في السفح لأشاهد حبيبي روجيه يحترق ، كان كتلة من نار • وظهرت فوقه الغربان ، ألوف الغربان كانت تحوم فوقه وهو يحترق ، فرحت اناديه وأبكي : «روجيه ! روجيه ! روجيه» • واستفقت من الحلم لأجد وسادتي مبللة بالدموع ، وانا اتمتم : «روجيه •• روجيه» •

وكان الحلم مخيفا حقا •

الا انني لم اشأ ان ازيد مخاوفها فقلت لها : حلمك يدل على ان حبيبك يحترق بنار غرامك ، وانك انت تطيرين في فضاء هواه ، ليس في هذا الحلم ما يخيف يا ليز •

قالت : ان قلبي منقبض • ونفسي حزينة ، وقلبي ينذرني بوقوع كارثة • يخيل الي ان روجيه في خطر • ليتني استطيع ان اسافر الى القاهرة لأراه •

قالت آمال : مهلا ، ستنتهي قريبا هذه المعركة . وسيعود روجيه اليك •

ورحنا نمازحها ونسامرها ، ونحن نحاول تبديد مخاوفها • الا اننا لم نستطع الى ذلك سبيلا •

فقد ظلت ليز ساهمة ، واجفة مضطربة ، دامعة العين •

وتحققت مخاوفها •

فقد عادت السيدة كاترو بعد ايام قليلة من القاهرة

حاملة معها نبأ مؤلما •

واطلعتني السيدة كاترو على النبأ والغصة في قلبها ، قالت : مسكين الدكتور روجيه • لقد اصابته شظايا قنبلة فحطمت يديه ورجليه ، وأطفأت نور عينيه • لقد تركته في المستشفى مبتور الرجل واليد ، والخطر يحوم فوق سريره • لا تخبري ليز يا سميرة ، لانها لن تقوى على احتمال الكارثة •

ولم اخبر ليز ، بل اكتفيت بان اخبرت صديقتي آمال •

وهمست آمال : مسكينة صديقتنا ليز • يبدو ان حلمها تحقق •

بعد ايام عادت السيدة سبيرس ، والالم يحز في نفسها لهول ما شاهدت من ويلات وكوارث وضحايا معركة العلمين التي كتب النصر فيها للحلفاء •

ودعت اليها الممرضة ليز لتقول لها : ليز ، انا لا اعلم كيف سأطلعك على النبأ •

ولم تنتظر ليز من السيدة سبيرس ان تطلعها على النبأ فقاطعتها بقولها : لقد مات روجيه •

وأدمعت عينا السيدة سبيرس ، وهمست : مات وهو يتمتم اسمك • وقبل ان يموت سلمني هذا الصليب الذي كان معلقا في عنقه ، وقال لي : ارجوك ان تسلميه الى ليز ، وان تقولي لها انني سأحبها حتى بعد الموت •

وانهارت ليز ..

انهارت كما تنهار بناية شامخة عالية ثابتة الاركان .

لقد قصفتها العاصفة ، كما تقصف شجرة فيهوى نصفها الى الارض ويظل نصفها معلقا في مهب الرياح..

وأصيبت بنوبة قلبية ، واستقرت في مقر الوحدة الصحية البريطانية في المستشفى الالماني في بيروت في غرفة بيضاء .

وقرب سريرها ، على منضدة صغيرة ، صورة الدكتور روجيه مجللة بشريط من مخمل اسود ، وقد تدلت فوق صورته سلسلة ذهبية معلق فيها صليب من ذهب يلمع تحت النور فيسطع وكأنه يحاول بث نور الحياة في قلبها الجريح الموبوء .

وحاول الطب جاهدا انقاذ غصن حياتها الغض النضير من الذبول .

وانصرف الاطباء في الوحدتين ، وحدة السيدة سبيرس ، ووحدة السيدة كاترو الى معالجتها .

وأبدت السيدتان كاترو وسبيرس اهتماما شديدا بها .

وكأنهما شعرتا ، ولكن بعد فوات الاوان ، بأنهما مسؤولتان عن تحطيم قلبها ، الا ان لا ادوية معالجة الاطباء ، ولا اهتمام السيدتين كاترو وسبيرس ، ولا محبتنا لها استطاعت ان تنقذ حياة ليز .

لأن ليز نفسها لم تكن تريد الحياة •

وانا ما زلت اذكر كلماتها المؤلمة الداميـــــة قبل ان تموت بليلة واحدة •

فقد زرتها مع آمال ، بعد ان انهينا عملنا تلـــــك الليلة ، فاذا بابتسامة واهية صفراء تطفو على شفتيهـــــا المرتجفتين •

وهمست وهي تشد يدي : هل جئتما تودعان ليـــز قبل ان ترحل ؟

وأخفينا دموعنا •

وتمتمت : ابعد الله الشر عنك يا حبيبتي • انت لن ترحلي • لقد اكد لنا الاطباء اليوم انك تسيرين في طريق الشفاء العاجل الوشيك •

فاتسعت الابتسامة على الشفتين الذابلتين، وهمست: مساكين هؤلاء الاطباء ، يخيل اليهم انهم يعرفون كـــل شيء • والحقيقة هي انهم لا يعرفون شيئا • انا سأرحل• لقد شاهدت روجيه ليل امس في الحلم •

الحلم ؟••

وتبادلت النظرات السريعة مع آمال •

ان احلامها مخيفة دائما ••

وتابعت ليز كلامها قائلة : شاهدته بين الغمام يبتسم لي ويشير الي بيده لاقترب منه •

قلت لها : حلمك يعني ان روحه تحرسك وتحـــــن

اليك ٠

فهمست مازحة : انت لست ماهرة في تفسير الاحلام يا سميرة ٠ انا لا انصحك بأن تمتهني هذه المهنة ٠

وضحكنا للنكتة ٠

وتابعت الممرضة البريطانية كلامها لتقول : لماذا ابقى هنا ؟ ماذا سأفعل على هذه الارض ؟ لم يعد لي اي عمل ٠ لقد انتهت مهمتي ، وأشرفت رحلتي على النهاية. اذكريني يا سميرة ٠ وانت يا آمال لا تنسي رفيقتك الحبيبة ليز ٠ ستتذكرانني ، أليس كذلك ؟

وأخذنا نمازحها ، محاولين التخفيف عنها ٠

وتركناها على امل العودة اليها في الغد ٠

ولكننا لم نعد ٠٠

لان ليز رحلت في الساعة العاشرة من الصباح ٠

فحزن عليها الجميع في الوحدتين حزنا كبيرا ٠

انها احدى شهيدات الحب ٠٠٠ شهيدات الحب ؟

لا ، بل هي احدى شهيدات الحرب المجهولات ٠

ودفنت الممرضة ليز في قبر متواضع صغير بين مقابر رأس النبع في بيروت ٠

وللآن ، انا ما زلت اذكرها وأصلي من اجلها كلما مررت بتلك المقابر الكئيبة الجاثمة تحت شجرات السرو الباسقة الخضراء في محلة رأس النبع ٠

الفصل الرابع

الصراع بين الاستقلال والانتداب

فيما التنافس يزداد احتداما بين الفرنسيين والبريطانيين في لبنان على النفوذ .

وفيما السيدتان كاترو وسبيرس تتسابقان الى خدمة القرى اللبنانية وتقديم المساعدات الصحية للقرويين القائمين في القرى النائية البعيدة .

وبينما الحرب تحتدم وتشتد بين الحلفاء والنازيين ، كانت الوزارة اللبنانية منصرفة الى الاهتمام بالمشاريع العمرانية ، بعد ان استطاعت ان تسيطر على الحكم ، وان تقضي على المجاعة التي كانت تهدد لبنان .

كانت الوزارة اللبنانية غريبة عن الجو الحربي .

فكأنها لا تعلم ماذا يجري في العالم .

كان سامي الصلح مهتما باستثمار المياه اللبنانية وبانشاء المدينة الحكومية ليوفر على الدولة ملايين الليرات التي تذهب بدل ايجار البنايات التي تحتلها دوائر

الدولة .

وبانشاء شبكة طرقات تصل المحافظات الخمس ببعضها .

كان سامي الصلح كتلة نشاط .

كان يلجأ حينا الى الفرنسيين ، وأحيانا الى البريطانيين ، لتنفيذ ما يجول في رأسه من مشاريع .

وكانت اهم المشاريع التي حققها يومذاك ، والتي ما زلنا نجني ثمارها ، مشروع ايكوشار .

فقد دعا الرئيس الصلح السيد ايكوشار من دمشق ، وكلفه تنظيم بيروت وطرابلس وصيدا عمرانيا ، واختصار طرق المواصلات بين المدن الثلاث .

ولجأ الى الجنرال سبيرس ، طالبا اليه المساعدة لتنفيذ المشاريع المائية .

فأجابه الجنرال سبيرس الى طلبه ، ووضع الكولونيل هوارد جوانز الخبير الاقتصادي تحت تصرف الحكومة اللبنانية .

فكلفه الرئيس الصلح درس مشاريع مائية عدة دفعة واحدة ، منها مشروع الليطاني الذي كانت فيضاناته تنزل الكوارث بالمزارعين ، ومشروع بحيرة اليمونة ، ومشروع نبع العسل ، ونهر الجوز ، والقاسمية .

وقال سامي الصلح للكولونيل جوانز : اريد تنفيذ هذه المشاريع خلال ستة اشهر على ابعد تعديل .

وضحك الكولونيل البريطانـــي . وقال للرئيس الصلح : ان مشروعا واحدا من هذه المشاريع يقتضـــي لتنفيذه زهاء ست سنوات ، وأنت يا دولة الرئيس تريد ان يتم تنفيذه في ستة اشهر .

وقال له الصلح : معنى هذا انك تريدنا ان نبقى في الحكم ست سنوات .

وكان الرئيس سامي الصلح ينوي فعلا البقاء فـــي الحكم سنوات طويلة ، كما بدا ، لانه كان يعد مشاريع كبيرة وكثيرة يقتضي لتنفيذها سنوات بعيدة .

الا ان الرياح لم تجر بما تشتهي سفن سامي بك .

كانت الحال قد بدأت بالاستقرار في لبنان ، بعد ان اطمأن اللبنانيون الى ابتعاد شبح المجاعة عنهم .

وبدأ الازدهار ينتشر في الربوع اللبنانية لاسيمـــا وجنود الحلفاء ينفقون عن سعة في لبنان من جهة، وسامي الصلح فتح خزينة الدولة وأخرج الملايين منها الى الهواء الطلق لتنفيذ مشاريعه ، من جهة ثانية .

وعم الرخاء لبنان ، كما انتشر الاطمئنان ، فلم يكن ثمة جرائم تذكر ، اللهم الا بعض الجرائم المضحكة التي كان يرتكبها الجنود الاستراليون .

وهي لا تسمى جرائم بالمعنى الصحيح ، وتقتصر على ملاحقة امرأة في الشارع ، او سرقة بعض الحلويات من محل في بيروت ، او الاحتيال على قروي .

اما جرائم القتل والاحتيال والسرقات الكبرى ، فلم تكن معروفة طيلة سنوات الحرب لاسباب عدة : اولها هيبة السلطات العسكرية الفرنسية التي كانت تحكم البلاد حكما فعليا ، وتشدد الحكومة اللبنانية في تنفيذ القانون على الكبير قبل الصغير •

ولعل ، عدم وجود مجلس نواب يومذاك كان احد اسباب استتباب الامن في البلاد ، لانه من المعلوم ان النواب عادة يساهمون مساهمة فعالة في عدم استتباب الامن ، وفي حماية الخارجين على القانون ، وفي عرقلة تنفيذ القانون بحق زلمهم وانصارهم ومحاسبيهم •

وكانت السيدة كاترو قد وسّعت نشاط وحدتها فعمت جميع المناطق اللبنانية •

كما بدأت توسع نشاط هذه الوحدة في سوريا ايضا •

وبعد ان كان نشاط وحدة السيدة كاترو في سوريا مقتصرا على المدن الكبرى ، مثل دمشق وحلب وحمص وحماه ، اخذ يمتد الى داخل القرى السورية •

وكان السوريون ـ مثل اللبنانيين ـ يتقبلون المساعدات الصحية من ادوية ومعالجة بالشكر والامتنان والتقدير •

اما السيدة سبيرس فقد حدّت من نشاط وحدتها الصحية في لبنان ، واتجهت بنشاطها الى مصر ، حيث كان

مقرها ومقر القيادة البريطانية العليا .

الا ان وحدة السيدة سبيرس الصحية ظلت تقوم بأعمالها في لبنان ، وظل موظفوها وموظفاتها يقومون بنشاطهم بصمت وتفان واخلاص .

وكانت ممرضات الوحدتين ـ البريطانية والفرنسية ـ قد انشأن علاقات طيبة مع بعض الشبان اللبنانيين لاسيما في القرى اللبنانية ، حيث يتجلى الجمال والقوة والرجولة في أجلى معانيها ، فكنا جميعا نرتاح الى قضاء ايام عدة في القرى اللبنانية بين القرويين ، حيث نلقى الترحيب والحفاوة والاكرام .

وكانت الممرضات الفرنسيات والبريطانيات يرتحن كل الارتياح الى العمل في تلك القرى .

وكان لكل منهن صديق بين القرويين .

وانا ما زلت اذكر الممرضة الفرنسية الحسناء جانين، التي احبت الشاب القروي الفلاح طنوس ، وهربت معه وتزوجا .

ولا تزال جانين تعيش حتى اليوم مع زوجها طنوس وأولادهما في القرية اللبنانية الباسمة الخضراء ، الجاثمة براحة واطمئنان في اعالي كسروان .

وأشرف الصيف على الأفول . وأنا غرقى في عملي بعيدة عن المغامرات .

لقد ابعدني عملي عن الجو المحموم الذي كنت

اعيش فيه .
وكذلك كانت حال صديقتي آمال نصري التي كانت ، مثلي ، منصرفة الى العمل بكل نشاط ولذة واندفاع .
وكنا ـ انا وآمال ـ نجتمع من حين الى اخر ، فنستعيد معا ذكرياتنا مع الاستاذ نسيب ونضحك .
وكثيرا ما كنت اصطحب معي آمال لقضاء الليل في دارنا في بحمدون حيث نصطاف .
فنرتاح قليلا من عناء العمل لنعود في الصباح الى بيروت ..
وكانت والدتي ووالدة آمال تتذمران من عملنا المتواصل ، وتحاولان ان تقنعانا بتقديم استقالتنا من هذا العمل المضني الشاق .
الا اننا لم نكن مستعدتين لتقديم الاستقالة ، لاننا كنا مرتاحتين الى عملنا ، نجد فيه اللذة والسعادة ..
ان العمل الانساني جميل رائع ، فيه الكثير من اللذة والسعادة .
وكان الاستاذ نسيب يتصل بي من حين الى اخر ، ويدعوني الى تناول الطعام على مائدته في الشاليه .
الا انني كنت ارفض دعوته متذرعة بكثرة العمل وشدة وطأته .
الا انه وهو الرجل الذكي ، كان يقول لي : ليس

العمل هو الذي يبعدك عني يا سميرة ، بل هو عنـــادك وغيرتك .. انت ما زلت تغارين من السكرتيرة .

وأضحك وأقول له : اولا انا لا اغار .. ثانيا اذا كان لا بد من الغيرة فلن أغار من سكرتيرتك .

ويضحك الاستاذ نسيب ويقول : لا بد من عودتك الى حظيرتي ايتها النعجة الشاردة .

وأقول له بتهكم : فليحرس الله نعاجك الكثيرات. اما انا فلن اعود الى حظيرتك يا استاذ .

واخيرا لجأ الاستاذ نسيب الى آمال محاولا اعادتها الى حظيرته .

ولم يكن حظه مع آمال بأوفر منه معي .

فقد اعتذرت آمال عن تلبية دعوته .

وأخبرتني بما كان من الاستاذ نسيب ، وقالت لي: حبذا لو استطعنا ان نلبي دعوته يا سميرة .. لقد اصبحنا بحاجة الى الراحة . نحن متعبتان لا نكـــاد نستقر ، ولا نجد فترة وجيزة من الوقت نرتاح فيها .

قلت : الحقيقة اننا نعمل بكد ونشاط وتعب ، الا اننا نجد لذة في هذا العمل يا آمال لانه عمل انساني ، وليس ثمة لذة في الحياة تضاهي لذة القيـــام بالاعمال الانسانية .

والحقيقة هي اننا كنا متعبتين .

ولم يكن لدينا متسع من الوقت لتلبية الدعوات .

وكنت اصعد كل ليلة تقريبا ، بعد انتهاء عملي الى بحمدون حيث نصطاف ، فأنام هناك وأعود في الصباح الى بيروت .

وكثيرا ما اكون مرهقة فأنام في دارنا في بيروت مفضلة حر العاصمة اللبنانية اللاهب على نسمات بحمدون المعطرة المبردة الحالمة .

وكانت آمال ترافقني من حين الى اخر الى بحمدون حيث تنام عندنا .

وعندما اختار النوم في بيروت كانت تظل بجانبي.

كنت وآمال صديقتين وفيتين لا نكاد نفترق .

وكانت تخبرني كل ما يجري في وحدة السيدة سبيرس ، فأنقل اخبار تلك الوحدة الى السيدة كاترو التي كانت تهتم اهتماما بالغا بما يجري في وحدة منافستها على «الزعامة» في القرى اللبنانية .

وكنت انا ايضا اخبر آمال بكل ما يجري في وحدة السيدة كاترو ، وكانت آمال تنقل تلك الاخبار الى السيدة سبيرس التي كانت تبدي اهتمامها الشديد ايضا بتلك الاخبار .

وتتفرج نحن على الصراع الصامت الذي يدور بين السيدة البريطانية وبين السيدة الفرنسية ونضحك .

وكان يطيب لنا ان نراهما تتنافسان على خدمة ابناء القرى اللبنانية ، وتحاول كل منهما عرقلة اعمال منافستها.

وبدأ الصيف يلملم أطرافه .

وبدأ ايلول يجر وشاحه الواهي ليكسو الخريف جبال لبنان ووهاده وسفوحه بوشاحه الأصفر الهزيل .

وبدأ المصطافون يتأهبون للعودة الى المدن الساحلية .

وبدأت والدتي تحزم حقائبنا تأهبا للعودة الى بيروت .

وبدت القرى اللبنانية شاحبة واهية صفراء ، انها تودع الصيف لتستقبل الخريف .

وعدنا الى بيروت في أوائل شهر تشرين الاول .

وكنت مرتاحة كل الارتياح لعودتنا الى العاصمة اللبنانية ، لانني ارتحت من الصعود الى بحمدون في المساء ، وأنا متعبة واهية خائرة القوى .

والتأم شمل الاسرة في بيروت . فكنا نجتمع كل ليلة في المساء ، انا ووالدي ووالدتي وأخي ، فنتبادل معا الاحاديث السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وكان والدي شديد الاهتمام بالقضايا السياسية .

فكان يتتبع اخبار السياسة بكل أهتمام .

وكان يرى ان لبنان مقدم على مفاجآت كبيرة ، وان أحداثا خطيرة ستظهر فجأة في البلاد .

ولاح من اخي انه بدأ يهتم ايضا بالامور السياسية.

وكلما جلسنا في المساء ، تبدأ المناقشة ، بين والدي

وأخي ، حول القضايا السياسية ، وحول الانتداب الفرنسي الذي كان يمد سلطانه على لبنان •

وكان اخي يخشى ان يصبح الانتداب انتدابين ، انتدابا فرنسيا وانتدابا بريطانيا •

لان البريطانيين كانوا يتمثلون في البلاد بالجنرال سبيرس ، وهو رجل شديد الذكاء بارع الحيلة ، يعمل بتكتم وصمت شديدين •

الا ان رأي والدي ، وهو الرجل السياسي المحنك، كان يختلف عن رأي اخي •

كان والدي يجزم بان الانتداب الفرنسي على لبنان سينتهي بانتهاء الحرب العالمية ، وان اللبنانيين سيصبحون أسيادا في بلادهم وينالون استقلالهم الناجز التام •

وكثيرا ما يحضر اجتماعاتنا العائلية الاستاذ نسيب شهوان ، ويشترك في المناقشة التي تدور بين والدي وأخي •

وكان الاستاذ نسيب من رأي والدي ، الا انه كان يقول ان اللبنانيين لن ينالوا استقلالهم عفواً وبدون عناء، لان الفرنسيين غير مستعدين ان يتخلوا عن نفوذهم في لبنان بسهولة •

ولكن الاستاذ نسيب كان يقول ان البريطانيين سيساعدون اللبنانيين على اقصاء الفرنسيين عن لبنان ، ليس حبا باللبنانيين ، بل نكاية بالفرنسيين •

لان البريطانيين كانوا يستعدون للرحيل عن بعض البلدان العربية التي كانوا يمدون سلطانهم عليها ، ومنها فلسطين ومصر .

وما داموا سيجلون ويرحلون عن الدول العربية ، فلماذا يبقى الفرنسيون في لبنان ؟

وكنت احيانا اشترك معهم في الحديث .

وذات ليلة احتدمت المناقشة بيننا حول الاحداث السياسية التي ينتظرها لبنان .

ولاح من اخي انه شديد الحماس للاستقلال .

لقد كان معظم الشباب اللبنانيين متحمسين للاستقلال ، ومستعدين للتضحية بدمهم من اجل استقلال بلادهم ــ ولم تكن الميوعة والخنفسة قد عرفتا طريقهما يومذاك الى الشباب اللبناني .

وضحكت ، وأنا اشاهد اخي في حماسه ، وفي مناقشته الحادة ، وقلت له : منذ متى بدأت تهتم بالقضايا الوطنية ايها السيد «روميو» ؟

وضحك الجميع للنكتة .

الا ان الاستاذ نسيباً التفت الي ليقول : ان شقيقك غسان سيكون بين رجال الوطن المجاهدين في المقدمة يا سميرة .

وقهقهت .

وقلت له : الكتاب يقرأ من عنوانه، اذا اصبح غسان

مجاهدا وطنيا فأنا سأقطع يدي !

قال الاستاذ نسيب : سترين ، ولن نطالبك بقطع يدك الجميلة .

وصحت نبوءة الاستاذ نسيب شهوان . فقد اصبح اخي مجاهدا ، وساهم مساهمة كبيرة في معركة الاستقلال .

وكان والدي صديقا حميما لكبار رجال السياسة اللبنانية .

كما انه استطاع ان يكتسب ثقة رجال الانتداب الفرنسي ، وثقة الجنرال سبيرس وضباطه الذين كانوا يحاولون التسلل بنفوذهم الى لبنان عبر نفوذ الفرنسيين.

وكان والدي يقيم الولائم وحفلات الاستقبال في دارنا الفخمة في بيروت ، ويدعو اليها كبار رجال السياسة والوزراء ورجال الانتداب والضباط الفرنسيين والبريطانيين .

وكانت دارنا ملتقى رجال السياسة والصحافة والمال والاقتصاد .

ولم اكن لأهتم لجميع اولئك الرجال والضباط الكبار ، لانني كنت منصرفة الى عملي في الوحدة الصحية الفرنسية .

اما اوقات فراغي ، وهي قليلة ، فكنت اقضيها مع صديقتي الوفية آمال نصري ، في دارنا او في دارها ، او

في احد المتنزهات •

وذات صباح ، اتصلت آمال بي هاتفيا لتقول : انا بحاجة اليك يا اختي يا سميرة •

قلت : ما بك ؟ لقد اقلقت خاطري •

قالت : الامر مهم ، ارجو ان اراك في المساء ، بعد ان ننهي عملنا • هل احضر اليك ، ام تحضرين انت الي؟

قلت : سأكون باتنظارك في دارنا الساعة السابعةمن المساء •

قالت : وسأكون عندك في الموعد المضروب •

وفي الساعة السابعة كانت آمال عندي •

وأمسكت بيدها لاقول لها : ما بك يا آمال ؟ لقد شغلت بالي يا اختي •

فهمست : تعالي الى غرفتك وسأخبرك كل شيء •

ودخلنا الى غرفتي •

وجلسنا على السرير •

فأخرجت آمال منديلها من محفظتها لتمسح دمعة بدأت تتأرجح في مقلتيها متأهبة للانحدار على وجنتيها •

وهمست : ما بك ؟ اخبريني ما بك يا اختي ؟

قالت : لقد بدأت الكارثة تتأهب للانقضاض على رأسي يا سميرة • ليس لي سواك يا اختي • انت وحدك تستطيعين مد يد المساعدة الي •

قلت : اخبريني ماذا حدث ؟

واخبرتني ...

قالت : لقد اتصل بي شفيق ايوب اليوم ، وأخبرني ان والده سيرغمه على الزواج من نسيبته ، وان موعد العرس قد تحدد بعد اسبوع، اسبوع واحد فقط، وأخسر شفيقا الى الابد .

قلت : اذا كان شفيق يحبك فعلا ، فهو لن يرضى بسواك عروسا له .

قالت : قلت لك انهم سيرغمونه على الزواج من نسيبته .

قلت : هل هناك انسان يستطيع ان يرغم شابا على الزواج ؟

قالت : هذا ما حدث .. ماذا افعل ؟ كيف سأتقي الكارثة ، يا سميرة ؟ لست ادري ماذا علي ان افعل ؟ لست ادري كيف انقذ قلبي . لقد عرض علي شفيق الهرب معه . طلب الي ان نهرب معا ، فنتزوج ونغادر لبنان الى اي بلد من بلدان الله الواسعة ، الشاسعة الاطراف .

قلت : كوني عاقلة يا آمال ، ان هربك مع شفيق ايوب سيقصم ظهر والدك ، ويقضي على سمعة اسرتك . لا تتهوري يا آمال ، فكري مليا قبل الاقدام على الهرب.

فضربت آمال كفا بكف وتمتمت : يا ويلي .. يا ويلي .. انا فتاة شقية ، انا تعسة . اني افضل الموت على البعاد عن شفيق .

ورثيت لحالها ، وهمست : اسمعي يا آمال ، أيكون شفيق مستعدا لطلب يدك من والدك ؟

قالت : ان شفيقا على استعداد لتنفيذ كل ما اطلب منه ، الا ان والدي لن يجيبه الى طلبه ، وأخشـــى ان يطرده .

قلت ، بعد تفكير قصير : الاستاذ نسيب سيساعدنا عليه .

فهزت رأسها بأسف وأسى لتقول : الاستاذ نسيب وعدنا بالمساعدة منذ ثلاثة اشهر ، الا انه لم يقم بتنفيــذ وعده . صديقك نسيب شهوان كاذب مخادع يا سميرة.

قلت : اطمئني . انا سألح عليه ، وسينزل عنـــد الحاحي ، سيشخص الى والدك ويتوسط لك ولشفيــق عنده .

قالت : متى ؟ متى ستطلبين اليه مساعدتنا ؟

قلت : الان ، تعالي معي الى مكتب والدي، سنتصل به هاتفيا .

وأمسكت بيدها . وخرجنا من غرفتي لندخل الى مكتب والدي حيث تجثم آلة الهاتف .

ورفعت السماعة ، وطلبت من عاملة الهاتف انتصلني بمكتب الاستاذ نسيب ..

ولم نجده في المكتب .

لم يكن ثمة في مكتبه من يرفع السماعة .

وقالت آمال : من الطبيعي ان يكون مكتبه مقفلا ، والساعة قد اشرفت الان على الثامنة •

قلت : قد نجده في داره •

واتصلت بداره فقيل لي : الاستاذ لم يحضر •

قالت : لعله يكون في الشاليه •

واتصلت بالشاليه ، فلم يكن ثمة احد هناك •

وهمست آمال : انه حظي ، حظي التعس المنكود• لن نستطيع ان نتصل به الليلة •

قلت : لا بأس سنجده غدا في مكتبه •

قالت : ان الزمن يمر بسرعة ، وليس لدينا الوقت يا سميرة •

قلت : اطمئني ، اطمئني ، لن ندع الوقت يدهمنا • امامنا اسبوع ، ومن الان حتى انقضاء الاسبوع ، يخلق الله ما لا تعلمون •

وخرجنا من المكتب الى الصالون ، لنفاجأ بالاستاذ نسيب يجلس قرب والدي ، وهما يتحدثان •

وابتسمت •

وشددت يد آمال وهمست : ان حظنا سعيد الليلة•

وسمع الاستاذ نسيب ما قلت ، فضحك •

وهمس : حظي انا هو السعيد يا سميرة ، تعالي ، تعالي اجلسي قربي •

وجلست قربه •

وجلست آمال قربي •

ورحت اتحين الفرص لاتحدث الى الاستاذ نسيب في امر صديقتي آمال ، آملة ان يخرج والدي •

الا ان الفرص لم تسنح لي •

فقد دخلت امي وجلست قربنا • ثم وصل اخـــي ايضا •

واقتربت من الاستاذ لأهمس في اذنه : نريـــد ان نتحدث اليك في قضية مهمة •

فهمس : ما هي ، هل هناك سر ؟

قلت : أجل •

قال : اخرجا الى الشرفة ، وسألحق بكما •

وهكذا كان الاستاذ نسيب يجد حلا سريعا لكـــل معضلة ، كان شديد الذكاء ، سريع الخاطـــــر ، حاضر الذهن •

وخرجنا الى الشرفة •

وما هي دقائق قليلة ، حتى لحق بنا الاستاذ نسيب •

ووقف قربي ليقول : خير ان شاء الله ؟

قلت : ما هناك سوى الخير ، اسمع يا استاذ • لقد قيل ان وعد الحر دين • وأنت حر ، ولكنك وعدت ولم تـــفِ •

قال : انا ؟ وما هو الوعد الذي قطعته ولم أفه !

قلت : وعدت آمال بان تحدث والدها في امـــر

زواجها من شفيق ايوب ، الا انك لم تف بما وعدت .

فنفث نسيب دخان سيكارته في الفضاء ، وتمتم : الحقيقة هي انني خاطبته في الامر ، الا انه ردّني خائبا . لقد قال لي : «لو كنت انت في موقفي ، هل ترضى بان تزوج ابنتك ، او شقيقتك ، من فتى مغمور مثل شفيق ايوب !؟ »

قال الاستاذ نسيب هذا ، والتفت الى آمال ليقول: نصيحتي اليك يا آمال ان تبتعدي عن شفيق . لا هو لك ولا انت له . الوهدة عميقة الغور، سحيقة القرار بينكما.

وبكت آمال ..

وقلت : استاذ نسيب . اذا كنت تحفظ لي في قلبك ذرة من مودة واحترام ، ارجوك ان تعيد الكرة ، وتخاطب والد آمال للمرة الثانية .

قال : كرمت عيناك يا سميرة . غدا سأزوره وأحاول اقناعه ، لعلي أوفق في اقناعه .

قلت : ومتى تريد ان تتصل بك لنقف على النتيجة؟

قال : غدا . غدا الساعة الخامسة سأكون في انتظاركما في مكتبي . سأخاطبه بعد الظهر ، واحمل اليكما النتيجة في الساعة الخامسة من المساء .

فشكرته ..

وعدنا الى الصالون .

وأقمت مع آمال ننتظر حلول الساعة الخامسة من بعد

ظهر غد على قلق ، وحيرة ، واضطراب •

وفي الموعد المضروب •

في الساعة الخامسة من مساء اليوم التالي ، كنت مع آمال في مكتب المحامي نسيب شهوان •

ولم تكن السكرتيرة هناك ، كان الاستاذ نسيب قد صرفها ، لئلا يتكرر ما حدث بيني وبينها في المرة السابقة من تحد واستفزاز ••

واستقبلنا الاستاذ نسيب بالترحيب الشديد والتفت الي ليقول : لو لم تكونا بحاجة الي ، لما شرفتماني بهذه الزيارة •• أليس كذلك ؟

قلت : اخبرنا ، ماذا كانت النتيجة • هل وفقت في اقناع والد آمال ؟

وصمت الاستاذ نسيب برهة ، راح خلالها ينفث دخان سيكاره في الفضاء •

ورحت اتبادل النظرات الحيرى مع آمال ، التي كانت قلقة الخاطر ، واهية القوى ، مضطربة الفؤاد ، تائهة النظرات •

والتفت الاستاذ نسيب الي ، بعد صمت قصير ، ليقول : الحقيقة هي انني لم أوفق في المهمة التي انتدبت للقيام بها •

ولمع الذعر في عيني آمال •

وهمست : كنت على يقين من ان والدي سيرفض

وساطتك يا استاذ نسيب •

قالت آمال هذا ، وبدأت الدموع تترقرق في مقلتيها •

فقال لها نسيب : آمال ! نصيحتي اليك ان تنسي شفيقا • لقد ذهبت الى والدك لاقنعه بالموافقة على زواجك من شفيق ، فاذا به يقنعني بان شفيقا لا يصلح زوجا لك • لقد اخبرني والدك بان سامي مسعود نجل الوزير خليل مسعود طلب يدك ، وانه اتفق مع والده على ان يكون موعد العرس خلال الربيع القادم • وقال لي والدك : «أتريدني ان اوافق على زواجها من ابن الموظف الصغير ، وأرفض طلب ابن الوزير ؟ ارجوك يا استاذ نسيب ان تساعدني عليها • ابنتي مجنونة ، وكل الصبايا مجنونات • انهن لا ينظرن الى ابعد من أنوفهن • آمال ستتزوج من سامي ، سواء أرضيت ام أبت » •

وكاد يغمى على آمال •

ورحت أطيب خاطرها •

وراح الاستاذ نسيب يمازحها ، محاولا التخفيف من هول الصدمة •

فقال لها : سامي سيصبح وزيرا مثل والده ، وستصبحين انت عقيلة صاحب المعالي •

وانحدرت الدموع غزيرة على وجنتيها •

وهمست : لن اكون زوجة سامي مسعود • لن

اعيش عمري في الشقاء والعذاب . لقد صمّمت على الرفض .

الا ان تصميمها فشل ..

فقد ارغمها والدها ، بعد ثلاثة اشهر من هذه الحادثة ، على الزواج من ابن صاحب المعالي .

اما حبيبها شفيق ايوب ، فقد ابى ان ينزل عند طلب والده في الزواج من نسيبته ، وعاش على ذكريات آمال .

* * *

في اواخر فصل الخريف ــ عام ١٩٤٢ ــ بدأ الهمس بين الفرنسيين في بيروت حول زيارة الجنرال ديغول للبنان .

وخيل للجميع ان ما يهمس به الفرنسيون لا يتعدى الشائعة .

فلم يصدق احد ان الجنرال ديغول سيبتعد عن الميدان ، ويتخلى عن اعماله ومتاعبه الحربية ليزور لبنان .

الا ان الجميع كانوا على خطأ .

فقد وصل الجنرال الفرنسي الكبير الى لبنان في شهر كانون الاول من ذلك العام .

واستقبل الجنرال ديغول في لبنان استقبال الفاتحين .

ورحب اللبنانيون به ترحيبا شديدا .

وآقاموا له الحفلات والمآدب والمهرجانات •

فقد كان اللبنانيون يرون في الجنرال الفرنسي الكبير ، المنقذ الأوحد الذي يحمل لهم بيمناه الاستقلال، لاسيما والجنرال ديغول كان قد وعد اللبنانيين بمنحهم استقلالهم فور دخول الجيوش «الديغوليست» الى لبنان •

وها ان الجيوش «الديغوليست» قد دخلت ؛ واندحرت أمامها جيوش «البيتانيست» (ولعلها المرة الاولى في التاريخ التي يحارب بها الفرنسي فرنسيا) • ولم يعد ثمة أمام الجنرال ديغول الا تنفيذ ما وعد به •

ورأى الجنرال ديغول ان يرد الجميل للبنانيين على حفاوتهم به ، فأقام لهم حفلة استقبال رائعة في قصر الصنوبر ، حضرها رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء وكبار الشخصيات اللبنانية والفرنسية والبريطانية •

وكان من الطبيعي ان يكون والدي بين المدعوين ، بصفته احد كبار رجال السياسة في البلاد ، وان اكون انا بين المدعوات ، بصفتي احدى المساهمات في الاعمال الانسانية الفرنسية •

وللمرة الاولى ، والاخيرة ، شاهدت الجنرال الفرنسي •

وكان يومذاك شابا وسيما انيقا جذابا •

كان في تلك الحفلة يصافح المدعوين ، ويتعرف الى كل منهم ، ويبادلهم الاحاديث •

وكان بين المدعوين الشيخ بشارة الخوري واميل اده ، المرشحان لرئاسة الجمهورية •

وكان ايضا الاستاذ نسيب ، وعبد الحميد كرامي ، وكميل شمعون ، وسليم تقلا ، ورياض الصلح ، وصائب سلام ، وبأترو طراد ، وكبريال طراد ، وعبد الله اليافي ، ولويس زيادة ، وجورج عقل ، والامير مجيد ارسلان ، وعبد الله بيهم ، وغيرهم وغيرهم •

وكان هناك ن السيدات : الدونا ماريا سرسق ، وليند' سرسق ، ونجلا كفوري ، ومدام ميشال زكور ، والدكتورة جمال كرم ، ولور تابت •

وكانت هناك الموظفات في الوحدتين الصحيتين : الوحدة البريطانية ، والوحدة الفرنسية • وغيرهن وغيرهن•

اما الجنرال سبيرس وعقيلته ، فلم يكونا بين المدعوين ، لان الجنرال ديغول خصهما بمقابلة خاصة ؛ امعانا في تكريمهما ، واظهارا لاحترامه الكبير لهما •

وكان قصر الصنوبر يزدحم بالمدعوين وبالمدعوات •

وكانت تلك الحفلة من اروع الحفلات التي حضرتها في حياتي •

وقضى الجنرال ديغول في لبناذ اياما عدة ، حاول خلالها رئيس الجمهورية الاستاذ الفرد نقاش ورئيس

الوزراء سامي بك الصلح التحدث اليه في امر الاستقلال.

لقد حاولا مطالبته بتنفيـذ وعده ، الا ان الجنرال ديغول لم يكن لديه متسع من الوقت للبحث في مثل هذه القضايا الهامة التي تتطلب درسا وافيا .

ولعله كان يفكر في صيغة للاستقلال تضمن النفوذ الفرنسي في لبنان ، وتعطي اللبنانيين شيئا من الاستقلال في وقت واحد .

ولم يلبث ان غادر الجنرال الفرنسي الكبير لبنان ، تاركا للجنرال كاترو تدبير الامور مـع اللبنانيين بصورة مؤقتة ، ريثما تنتهي الحرب العالمية .

الا ان اللبنانيين كانـوا يستعدون للحصول علـى الاستقلال الناجز التام .

وكانوا متأكدين من حصولهم عليه .

وراح سامي الصلح يتصرف ، وكأنه اصبح رئيس وزارة لبنان المستقل .

وكان يرسم ويقرر ، وينفذ احيـانا المشاريع ، دون ان يستشير رجال الانتداب ، او يحصل علـى موافقتهم كما جرت العادة ، مما أثار حنق كبار رجال المفوضية على الرئيس الصلح وعلى وزرائه .

وعاتب الفرنسيون رئيس الجمهورية الاستاذ الفرد نقاش على تصرف رئيس الوزراء ، وطلبوا اليه الايعاز الى رئيس الوزراء باستشارتهم قبـل وضع المشاريع موضع

الجنرال ديغول الذي استقبل عام ١٩٤٢ استقبال الفاتحين

التنفيذ •

الا ان الرئيس نقاش لم يكن مستعدا لاجابة طلبهم ، لان مشاريع سامي الصلح كانت كلها مشاريع عمرانية وانشائية ، وكانت البلاد بحاجة قصوى الى تلك المشاريع•

ومنها المشاريع المائية ، ومشاريع الطرقات ، والكهرباء ، والمدارس •

وبدأ سوء التفاهم يسود العلاقة القائمة بين الحكومة اللبنانية ورجال الانتداب •

الا انه ظل فتورا صامتا ، حتى اطل شهر اذار ••

ففي اواسط شهر اذار عام ١٩٤٣ ، قرر سامي الصلح دعوة المواطنين الى انتخاب مجلس نيابي ، لان البلاد كانت قد اصبحت بحاجة الى مجلس تشريعي ، بعد انقضاء مدة طويلة على حل المجلس •

ومن دون أن يستشير الرئيس الصلح أحدا ، وضع مرسوم دعوة المواطنين الى الاقتراع •

وحمله وشخص الى رئيس الجمهورية طالبا اليه ان يوقعه •

وفوجىء رئيس الجمهورية بالمرسوم •

وطلب الى رئيس الوزراء ان يتريث في نشر هذا المرسوم لاسباب عديدة ، اهمها ضرورة اطلاع الجنرال كاترو عليه ، ولو من باب اللياقة •

ورفض سامي الصلح ان ينزل عند رأي رئيس

الجمهورية في باديء الامر .

وأصر على نشر المرسوم دون استشارة احد .

وبعد مناقشة قصيرة ، استطاع الرئيس الفرد نقاش ان يقنع سامي بك بتأجيل نشر المرسوم الى الغد .

ووعده ان يطلع الجنرال كاترو عليه في المساء ، ثم يوقعه ويذاع في الصباح .

وخرج الرئيس الصلح من مقابلة رئيس الجمهورية وهو مطمئن البال .

واقام ينتظر صباح الغد لاذاعة المرسوم .

الا أن سامي بك فوجيء ، في اليوم التالي ، بالفرنسيين يذيعون هم مرسوم دعوة الناخبين اللبنانيين الى الاقتراع ...

وكان من الطبيعي ان يغضب سامي الصلح ، وان يثور بعد ان اصبح الفضل في دعوة الناخبين عائدا الى الفرنسيين .

وعاتب رئيس الجمهورية على ما حدث .

وخيل اليه ان الرئيس الفرد نقاش كان على علم بكل ما حدث .

وانه لم يطلب اليه التريث في نشر مرسومه ، الا ليفسح المجال امام الفرنسيين لنشر مرسومهم .

الا ان الحقيقة كانت غير ذلك .

فلم يكن الرئيس نقاش على علم بنوايا الفرنسيين .

ولذلك فقد اطلعهم علـى رغبة رئيس وزرائه في تحديد موعد للانتخابات النيابية ، فما كان منهم الا انهم بادروا الى قطع الطريق على سامي بك ونشروا المرسوم .

ووقعت «الواقعة» بـين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء .

وحـاول سامي الصلح ممارسة صلاحيـات رئاسة الوزارة كاملة ، دون استشارة رئيس الجمهورية .

وراح يصدر المراسيم وينفذها فورا ..

وكان من الطبيعي ان يستاء رئيس الجمهورية مـن تصرفات رئيس الوزراء .

وان يعلـن استياءه هـذا الى الاصدقاء . وتطوع الامير جميل شهاب ، وحمل استياء رئيس الجمهورية الى الرئيس الصلح .

وقال له : ان رئيس الجمهورية مستاء من تصرفاتك، ومـن نشر المراسيم والقرارات دون استشارتـه ، وهو مستعد للموافقة علـى مشاريعك ، لانها مفيـدة للبلاد ، ويحسن بك ان تستشيره ، وتأخذ موافقته ، قبل نشر اي مرسوم ، او قرار .

وكان جواب سامي الصلح قاسيا جارحا .

اجاب : ان رئيس الجمهورية يملك ولا يحكم ، وانا هنا رئيس السلطـة التنفيذيـة لا هو . ولست مضطرا للعودة اليه كلما اردت تنفيذ مشروع .

وحمل الامير جميـــل شهاب جواب سامي بك الى الرئيس نقاش ، فغضب •

وقال : يبــدو ان صديقنا سامي الصلــح نسي ان رئيس الجمهوريـــة يعين رئيس الوزراء ، والوزراء ، ويقيلهم ساعة يشاء •

ووصل رد الرئيس نقــاش الــى رئيس الوزراء • فشخص الى رئيس الجمهورية ليقــول لــه : ان رئيس الجمهورية يستطيع فعلا ان يرسلنا الى بيوتنا ساعة يريد، ولكن ، ثق يــا فخامــة الرئيس ، ان رئيس الوزراء لن يذهب وحده الى بيته هذه المرة ، واذا كــان لا بد من الذهاب ، فسيذهب مع رئيس الجمهورية ، «وعلي وعلى اعدائي يا رب» •

قال سامي الصلح هذا ، وشخص الى السراي ليجمع وزراءه ويقول لهم : الانسجام بــات مفقودا بيننا وبــين رئاسة الجمهورية ، ونحن سنستقيل • سنعود الى بيوتنا، وسيلحق بنا رئيس الجمهورية ايضا بعد ايام •

وصح ما توقع سامي الصلح ، فقد استقال في ١٨ اذار «١٩٤٣» • وبعد ايام قليلة ، استقال الرئيس الفرد نقاش ، فعينت سلطــات الانتداب الدكتــور ايوب تابت رئيسا للدولة ، والامير خالد شهاب امينا لسر الدولة •

في حـــين انصرف سامي الصلـح الى الاستعداد للانتخابات النيابية المقبلة • وقد عزم على ان يشكل لائحة يخوض بها المعركة الانتخابية في بيروت •

وجرت اتصالات بين الرئيس نقاش ، وبين الدكتور ايوب تابت نفسه ، وبـين سامي الصلح لتشكيل هـذه اللائحة •

وكانت المعركة الانتخابية شديدة العنف ، لا سيما في محافظة جبل لبنان •

فانقسم الجبل الى قسمين : دستوري ، وكتلوي •

وكان علـى رأس الكتلة الدستورية الشيخ بشارة الخوري • فبدأ مع اركان حزبه يستعدون للمعركة •

وكانت الكتلة الدستورية تضم كبار رجال السياسة في لبنان ، ومنهم : كميل شمعون ، والامير مجيد ارسلان، وصبري حماده ، وسليم تقلا ، وخليل ابو جوده ، واميل لحود ، والشيخ فريد الخازن ، ولويس زياده ، ووالدي•

في حين كان على رأس الكتلة الوطنية اميل اده •

وكان اركان حزبه من رجال السياسة البارزين ايضا
ومنهم : جورج زوين ، وصلاح لبكي ، والبير مخيبر ، وكبريال المر ، وغيرهم .. وغيرهم ..

اما الاستاذ نسيب شهوان ، فكان «يلعب على الحبلين» .

فهو صديق للكتلة الوطنية ، ومؤيد للكتلة الدستورية .

نراه حينا في مكتب بشاره الخوري ، واحيانا نجده في مكتب اميل اده .

وقد حاول ان يجمع الرئيسين الكبيرين بشاره الخوري واميل اده في لائحة واحدة ، وان يجنب البلاد الانقسام ، الا انه لم يوفق .

وهكذا رأى رجال السياسة اللبنانيون ـ ومنهم والدي ، والاستاذ نسيب شهوان ـ انفسهم فجأة في خضم المعركة الانتخابية ..

وبدأت الاتهامات تنهمر من الدستوريين على الكتلويين ، فيتهمونهم بانهم ظل الفرنسيين ، وبانهم يريدون البلاد ان تظل تحت رحمة الانتداب ..

فيرد الكتلويون على الدستوريين بقولهم : «انتم تريدون ان تسلموا البلاد للانتداب الشرقي» .

وتحتدم معركة الاتهامات ـ مثل كل المعارك الانتخابية في لبنان ـ ولم يكن لتلك الاتهامات اي

اساس من الصحة .

وقد اثبتت الايام ان الكتلويين والدستوريين لم يكونوا عملاء .

بل كانوا يعملون لاستقلال لبنان .

ولكن كل واحد منهم كان يعمل على طريقته الخاصة.

وفي حين انصرف المرشحون الى الاهتمام بالانتخابات ، والى شؤونهم وشجونهم ، انصرف رئيس الدولة الدكتور ايوب تابت وامين سرها الامير خالد شهاب الى الاهتمام بتأمين الحرية للمنتخبين ، والى تقسيم المقاعد النيابية بين الطوائف .

وحاول «المسيو» هللو ، وهو ممثل الانتداب في غياب الجنرال كاترو ـ الذي كان يقضي اوقاته متنقلا بين الجزائر ومصر ولبنان ـ حاول هللو ان يفرض على الدكتور ايوب تابت رأيه ، وان يوجه الحكومة التوجيه الذي يريد .

ونشب خلاف شديد بين هللو والدكتور تابت .

وكان الدكتور ايوب تابت ، رحمه الله ، رجلا شهما ، عفيفا ، نظيف الكف ، وعنيدا لا يساوم في مصلحة البلاد ، فلم يستطع هللو ان يفرض ارادته عليه..

واشتد الخلاف بينهما .

فما كان من الدكتور ايوب تابت الا ان قدم استقالته ، بعد شهر واحد فقط .

وانصرف الى الاهتمام بترشيح نفسه في قائمة سامي الصلح .

وأصدر هللو مرسوما بتعيين بترو طراد رئيسا للدولة ، وعبد الله بيهم امينا للسر .

وكان بترو طراد ، رحمه الله ، رجلا ذكيا ، ووطنيا صادقا ، ودبلوماسيا ، يستطيع ان ينفذ ما يريد ، دون ان يصطدم بالفرنسيين .

واستطاع بترو طراد ان يوزع المقاعد النيابية على الطوائف .

فخص الطوائف المسيحية بثلاثين مقعدا ، وخص الطوائف الاسلامية بخمسة وعشرين مقعدا (كان عدد النواب ٥٥ نائبا) .

واشتد التنافس بين المرشحين في جميع المناطق والمحافظات في لبنان : في بيروت ، والجبل ، والجنوب ، والشمال ، والبقاع .

وكان الجميع يعرفون ان تلك المعركة لم تكن معركة انتخابات نيابية فحسب ، بل كانت معركة رئاسة الجمهورية .

وبالتالي ، فهي معركة الاستقلال .

وبدأ التدخل الاجنبي .

كان الفرنسيون يساندون فئة من المرشحين .

في حين اخذ البريطانيون يساندون فئة اخرى .

الا ان ذلك التدخل لم يكن سافرا •
كان تدخلا خفيا •
الا ان اللبنانيين ، وهم الذين اشتهروا بالذكاء ،
وقفوا على حقيقة ذلك التدخل غير المباشر •

الفصل الخامس

معركة رئاسة الجمهورية

في تلك الآونة الحرجة التي كانت تجتازها البلاد ، وضع الله في طريقي شابا ، رأيت فيه الامل المنشود ، والمستقبل الزاهر ، الذي تنظر اليه وتنتظره كل فتاة على هذه الارض .

فقد تعرفت في شهر نيسان من ذلك العام — عام ١٩٤٣ — الى الشاب الوسيم جهاد عبود ..

وكان جهاد نجل احد المرشحين في الكتلة الدستورية ، اي ان والده كان رفيق والدي على طريق المجلس النيابي .

وكان من الطبيعي ان نعمل ، انا وجهاد ، في صف واحد ، في صف الكتلة الدستورية ، محاولين مساعدة

والدينا للوصول الى الندوة النيابية •

وكنت اجتمع بجهاد حينا في دارنا ، واحيانا في دارهم •

وكثيرا ما كنا نطوف معا القرى اللبنانية النائية للقيام بالدعاية للكتلة الدستورية •

وكان من الطبيعي ان نصبح صديقين حميمين ، وان يلفنا الشوق بجناحيه •

وكان اخي غسان ، وشقيقة جهاد سعاد ، يعملان ايضا معنا في الدعاية للكتلة الدستورية •

وكان العمل متعبا شاقا • فاستقلت من عملي في وحدة السيدة كاترو الصحية ، لأنصرف الى العمل في المعركة الانتخابية •

وكنا نلاقي عناء شديدا ، ومصاعب عديدة في اقناع أبناء الجيل بتأييدنا •

فقد كانت الكتلة الوطنية سيدة الموقف في الجبل•

وكان اميل اده ، وهو الذي قضى سنوات عديدة رئيسا للجمهورية ، قد استطاع ، بما قدم لابناء القرى من خدمات ، ان يكتسب صداقة زعماء الجبل •

وكان من الصعب علينا ان نقنع القروي اللبناني بالتخلي عن الكتلة الوطنية التي يتزعمها اميل اده •

وكثيرا ما كنا ننتقل من قرية الى قرية اياما عديدة ، دون ان نعود الى بيروت •

وكان اصدقاؤنا في القرى اللبنانية ، وهم قلائل ، يرحبون بنا شديد الترحيب ويحاولون مساعدتنا ، الا ان يدهم كانت قصيرة والعين بصيرة ..

وذات يوم من شهر تموز ، ولم يعد يفصلنا عن الانتخابات سوى شهر واحد او اقل ، فيما كان جهاد يقود سيارته الخاصة وانا قربه في طريقنا الى «ميروبا» ، توقفت بنا السيارة فجأة ، وقد طرأ عطل على محركها .

وكانت الشمس قد بدأت تميل الى الغروب .

والمكان قفر ، والهدوء والسكون يسكبان على الوديان والجبال والتلال والسفوح الرهبة والروعة والخشوع .

فترجلت من السيارة ، ورحت امتع النظر بتلك المناظر الفاتنة الخلابة ، في حين انصرف جهاد الى محاولة اصلاح السيارة .

وأخفق في المحاولة ، لا سيما والليل قد بدأ يرخي سدوله على لبنان .

والظلام بدأ يلف تلك الربوع الحالمة بوشاحه الاسود الشفاف .

والتفت جهاد الي ليقول : يبدو اننا سنقضي الليل هنا .

فوجمت : هنا ؟ واين ؟

قال : في السيارة ، الا اذا ارسل الله الينا سيارة

تقلنا ، اما الى بيروت ، واما الى ميروبا •

وكان مـن الصعب ان تمر سيارة في مثـل تلـك الساعة ، وفي مثل ذلك المكان ، تلك الايام •

فالعهد عهد الحرب الضروس •

وعجلات مطاط السيارات مفقودة من الاسواق •

واسعار المحروقات مرتفعة •

فالجيوش اولى بالمحروقات وبالمطاط وبالسيارات •

ولم يكن ثمة سيارات تقل الركاب مـن القرى الى العاصمة ، ومن العاصمة الى القـرى بصورة متواصلـة مثلها اليوم •

واللبناني الذي كـان يومذاك يملك سيارة خاصة كان يعد من كبار الاثرياء المحظوظين •

ولم تكن ، بالتالي ، ازمة السير مستحكمة بالعاصمة اللبنانية •

ولا ازمة مواقف السيارات •

ولا ازمة المرور •

بل كانت الازمة محصورة بالمطاط وبالمحروقات •

وصعدنا الى السيارة •

وجلسنا ننتظر الفرج من الله

وأقمنا في السيارة ننتظر ان تمر بنا سيارة تعيـدنا الى بيروت ، او تقلنـا الى ميروبا ، الا ان انتظارنا طال دون جدوى •

وكان الجو صافيا ، والنجـوم تتبختر على مسرح الفضاء الواسع الرحيب ، كأنها لآلىء وجواهر تزين صدر الفضاء الرحيب .

والقمر يتهادى في القبة الزرقاء ، ساكبا علـى تلك الوديان والجبال ذوبه الفضي الجميل .

ونسائم الليـل الباردة المعطرة ، تعبث باغصـان الاشجار وباوراقها ، فتتمايل بين ايديها مرسلة حفيفا يزيد هدوء الليل روعة وفتنة وخشوعا .

ولفّنا الصمت . فراح كل منا ينظر من خلال نافذة السيارة الـى النجوم ، والى القمر ، والى التـلال ، والسفوح ، والجبال ، والوديان ، وقد سكر بتلك المناظر الفاتنة الخلابة .

كنا في حلم ، في حلم رائع فاتن بعيد .

وهناك ، في السيارة ، وفي ذلك الموقف الشاعري الحالم ، باح لي جهاد بحبه ، وتعاهدنا على الحب والوفاء والزواج .

وأقمنا في السيارة حتى مطلع الصباح .

ففي الصباح الباكر مرت بنا شاحنة تحمل صناديق الخضار في طريقها الى العاصمة .

وأوقفها جهاد وطلب الى سائقها ان ينقلنا معه الى بيروت .

وصعدنا الى الشاحنة .

وجلسنا قرب السائق ، ولم نصل الى بيروت الا بعد جهد وعناء كبيرين •

* * *

وحل موعد الانتخابات النيابية ، ٢٩ آب ١٩٤٣ •

وكانت المعركة حامية ، شديدة العنف •

وقيل يومذاك ان السلطات الفرنسية لـم تتدخل ، وان الانتخابات كانت حرة مئة بالمئة •

الا ان الحقيقة كانت غير ما قيل وأشيع •

فقـد جرى تدخـل شديد مـن الفرنسيين ، ومن البريطانيين ايضا •

الا ان هذا التدخل لم يكن سافرا ، بل كان تدخلا «مستورا» •

وأعلنت النتائج ، فكانت صدمة عنيفة لنا •

ولم يفز من قائمة الدستوريين في جبل لبنان سوى كميل شمعون وحده •

ووقع بالوتاج بين لويس زيادة مـن قائمتنا ، وبين مرشح آخر من قائمة الكتلة الوطنية •

وجرت اتصالات مـع لويس زيادة لينسحب مـن معركة البالوتاج ، ويفسح المجال امام بشارة الخوري •

وأبى لويس زيادة الانسحاب في باديء الامر ، لأنه

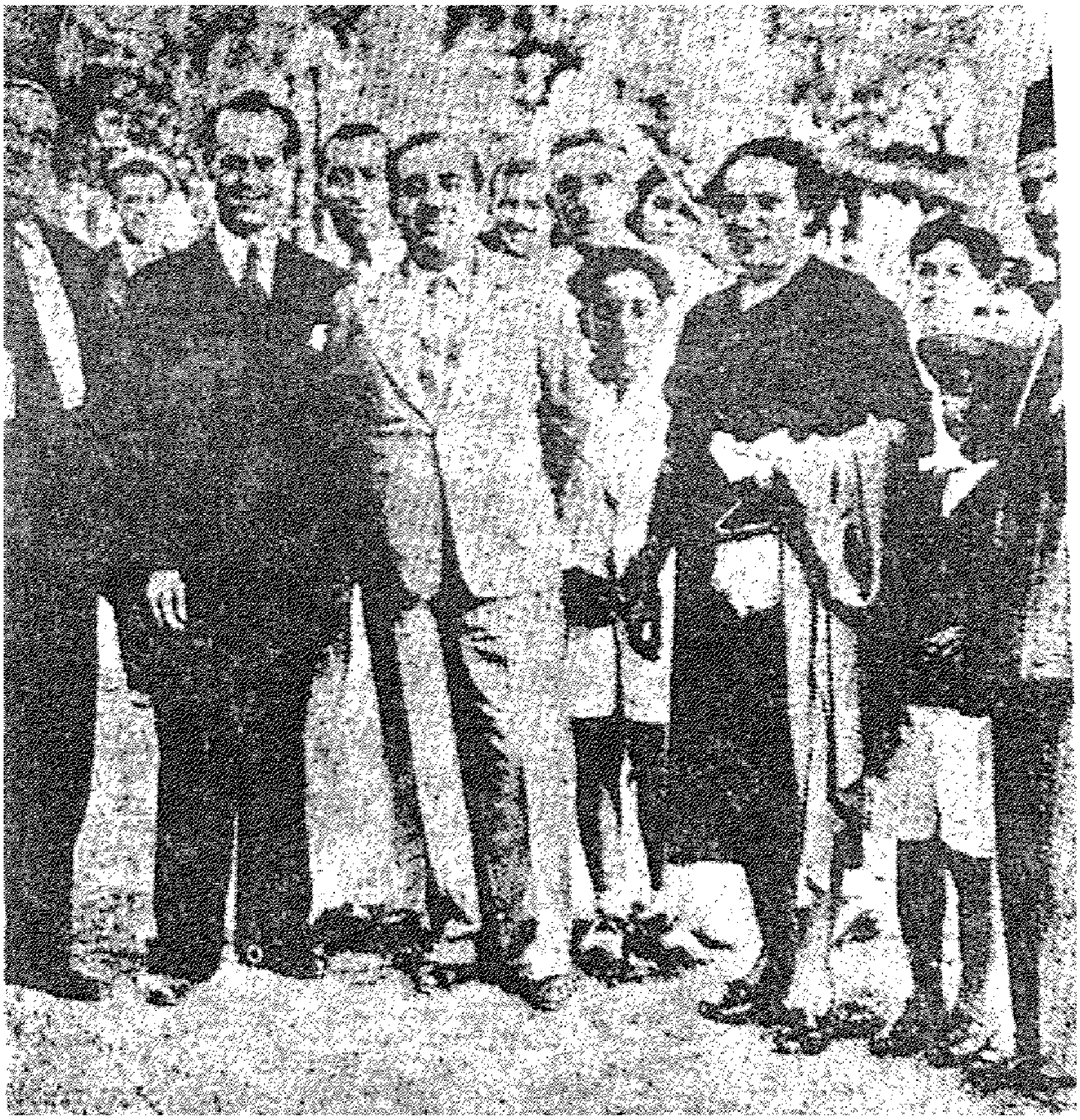

اميل اده في احدى جولاته الانتخابية

كان يحلم بالوصول الى رئاسة الجمهورية .

الا ان الضغط اشتد عليه ، وتمكنوا من اقناعه بالانسحاب .

وجرى الانتخاب ، ففاز بشارة الخوري .

اما في بيروت ، فقد اقتسمت اللائحتان المتنافستان المقاعد النيابية ، وكان يرأس احداهما سامي الصلح ، والثانية صائب سلام . وكانت لائحة صائب سلام تضم : جورج تابت ، حبيب ابو شهلا ، موسى فريج ، عبد الله اليافي ، ابراهيم الاحدب ، ومحسن سليم . في حين كانت قائمة سامي الصلح تضم : الفرد نقاش ، محمد بيضون ، ايوب تابت ، كمال جبر ، موسيس دركالوسيان ، وهراتش شامليان وحبيب ابو شهلا ايضا .

وأعلن فوز النواب الخمسة والخمسين وهم : في محافظة جبل لبنان : بشارة الخوري ، اميل اده ، وديع الاشقر ، اسعد البستاني ، كميل شمعون ، جورج زوين ، امين السعد ، جورج عقل ، اميل لحود ، وديع نعيم ، الامير مجيد ارسلان ، جميل تلحوق ، كمال جنبلاط ، كبريال المر ، سليم تقلا ، احمد الحسيني ، عبد الغني الخطيب .

محافظة الشمال : محمد العبود ، سليمان العلي ، عبد الحميد كرامي ، محمد المصطفى ، سعدي المنلا ، يوسف اسطفان ، حميد فرنجية ، وهيب جعجع ، بطرس

الخوري ، يوسف ضو ، يعقوب الصراف ، نقولا غصن •

محافظة بيروت : سامي الصلح ، عبد الله اليافي ، صائب سلام ، الفرد نقاش ، حبيب ابو شهلا ، محمد بيضون ، ايوب تابت ، موسيس دركالوسيان وهراتش شامليان •

محافظة الجنوب : احمد الاسعد ، رياض الصلح ، رشيد بيضون ، كاظم الخليل ، محمد الفضل ، علي العبد الله ، عادل عسيران ، مارون كنعان ، نسيب غبريل، يوسف سالم •

محافظة البقاع : صبري حماده ، ابراهيم حيدر ، يوسف الهراوي ، نسيب الداود ، اديب الفرزلي ، هنري فرعون ، رفعت قزعون •

هؤلاء هم النواب الخمسة والخمسين الذين وضعوا دعائم الاستقلال ، والذين انتخبوا الشيخ بشارة الخوري رئيسا للجمهورية ، والذين عدلوا الدستور •

ولم يفز والدي ، ولا فاز والد جهاد في الانتخابات النيابية يومذاك • ولكن الاستاذ نسيب فاز في المقعد النيابي ، واصبح نائبا مرموقا في المجلس (ونسيب شهوان هو الاسم المستعار لاحد النواب الذين تسلموا مهام وزارات عديدة) •

كما فاز ايضا في الانتخابات «عم آمال نصري» اي والد زوجها •

فاتصلت بآمال هاتفيا أهنئها .

ثم اتصلت بالاستاذ نسيب لاقول له : تهاني الحارة يا استاذ .

وهمس نسيب : شكرا يا سميرة على عاطفتك النبيلة . ولكن التهنئة لا تكون «من بعيد لبعيد» ، يجب ان اراكِ .

قلت : سأراك حتما ، ولكن ليس الان .

قال : ولماذا لا تحضرين لنحتفل بفوزي في الانتخابات معا .

قلت مازحة : انا مشغولة الان في الاحتفال بسقوط والدي .

فقهقه وهمس : كم كنت اتمنى ان يكون والدك معنا ، لان البلاد بحاجة قصوى الى وطنيته ، وجرأته ، وحكمته الان .

والحقيقة ان والدي ـ وقد اصبح نائبا ووزيرا اكثر من مرة في عهدي بشارة الخوري وكميل شمعون ـ الحقيقة ان والدي كان جريئا في وطنيته ، لا يساوم ، ولا يتاجر ، ولا يهادن ، وقد برهن عن ذلك في مواقف عديدة .

وانصرف النواب الى الاهتمام بأنتخاب رئيسهم .

كان عليهم ان ينتخبوا رئيس مجلسهم في اسرع وقت ممكن .

وكثر المرشحون للرئاسة •

الا ان النواب ، بأكثريتهم الساحقة ، اتفقــوا على انتخاب صبري حماده •

وانتخب صبري حماده ، للمرة الاولى في حياته ، رئيسا لمجلس النواب في ٨تشرين الاول من عام ١٩٤٣ •

وكان ذلك الانتخاب فاتحة خير على صبري بك ، لان انتخابه أعيد زهاء عشرين مرة ، طيلة خمس وعشرين سنة •

وبدأت معركة رئاسة الجمهورية •

بدأت تلك المعركة عنيفة شديدة •

ولم يكن ثمة سوى مرشحين كبيرين هما : اميل اده وبشارة الخوري •

وانقسم النواب الى فئتين • فئة تناصر اميل اده ، وفئة تؤيد بشاره الخوري •

وكانت الكفة تتأرجح بين بشارهالخوري واميل اده•

والقوى متوازية متوازنة تقريبا •

ولم يقف الفرنسيون مكتوفي الايدي حيال انتخاب رئيس الجمهورية •

ولا البريطانيون وقفوا موقف الحياد •

فبدأ الفرنسيون يعملون على تأييــد اميل اده في حين راح البريطانيون يعضدون بشاره الخوري •

وكاد النــواب الخمسة والخمسون يضيعون بــين

البريطانيين والفرنسيين ، وبين بشاره الخوري واميل اده.

ووجدت البلاد نفسها على عتبة آزمة انتخابية شديدة عاصفة هوجاء .

وبدت في الجو غمائم سوداء ، وقد خشي اللبنانيون انقسام البلاد الى فئتين .

وقد سمعت حديثا دار بين والدي وبين الاستاذ نسيب شهوان ، الذي كان قد اصبح نائبا ، حول ازمة انتخاب رئيس الجمهورية ، أنقل ما علق منه في الذاكرة.

قال والدي : ان هذا الانقسام لن يكون في مصلحة البلاد . وكم كنت أتمنى ان يجمع النواب على انتخاب احد المرشحين ، اما بشاره الخوري او اميل اده ، فينتخبونه بالاجماع ، وبذلك يبرهنون للفرنسيين ان اللبنانيين يد واحدة ، وقلب واحد ، وكلمة واحدة في الازمات .

وقال الاستاذ نسيب : من الصعوبة التوفيق بين الدستوريين والكتلويين ، لا سيما والحزبان يسعيان للوصول الى رئاسة الجمهورية .

قال والدي : يخيل الي ان الفرنسيين هم الذين يغذون روح الفتنة ، ويبذرون بذور الانشقاق والخلاف بين النواب . وكل ما أخشاه هو ان يعمد الفرنسيون الى الغاء انتخاب رئيس الجمهورية ، ويعينون رئيسا من انصارهم ، ويقولون للنواب : «لم تستطيعوا الاتفاق على

مرشح للرئاسة ، فعينا لكم مرشحنا» •

وأجاب الاستاذ نسيب : قد تكون على حق يا ابا غسان ، الا ان الفرنسيين سيتريثون قبل الاقدام على هذه المغامرة ، لا سيما وقضية الاستقلال اصبحت مربوطة الان باتنخاب رئيس الجمهورية • فكيف يريد الفرنسيون ان نصدقهم بأنهم يرغبون في منح البلاد استقلالها ، ونحن نشاهدهم يعينون رئيسا للجمهورية ؟

قال والدي : على كل انا ارى ان يتفق النواب على مرشح واحد للرئاسة يفوز بالتزكية ، واذا لم يستطيعوا ان يتفقوا على بشاره الخوري ، او على اميل اده ، فليختاروا مرشحا حياديا ليس من الدستوريين ولا هو بين الكتلويين •

وسأل الاستاذ نسيب والدي : مثل من ؟

قال والدي : النواب المخلصون كثيرون • هناك كميل شمعون مثلا •

قال نسيب : كميل شمعون دستوري •

قال والدي : جورج عقل •

قال نسيب : جورج عقل كتلوي •

ورد والدي : ولو ! أليس هناك نائب حيادي ؟ حميد فرنجية •• الفرد نقاش • هناك كثيرون يا نسيب •

وتمتم نسيب : الحقيقة ان فكرتك جديرة بالاهتمام، ولكن هات لنا من يقنع بشاره الخوري واميل اده

بالانسحاب •

قال والدي : هل تساعدني عليهما ؟

وأجاب نسيب : انا حاضر •

وعلمت من والدي انه قام بمساع كبيرة ، بمساعدة الاستاذ نسيب ، لاقناع بشاره الخوري واميل اده بالانسحاب ، وافساح المجال امام مرشح يفوز بالتزكية ، الا ان الاثنين رفضا الانسحاب •

وكان كل منهما مقتنعا بان اكثرية النواب معه وبانه سيكون رئيسا للجمهورية •

وتوقف والدي عن مفاوضتهما ، وقد تأكد من انه سيعجز عن اقناع احدهما بالانسحاب ••

وبدأ النواب مناوراتهم •

وكل منهم يحاول القيام بدعاية قوية لمرشحه •

كان نواب الكتلة الوطنية وانصارهم يعملون بكل قواهم لفوز اميل اده ، يعاونهم في ذلك الفرنسيون ، من وراء الستار •

وكان نواب الكتلة الدستورية يعملون جاهدين لفوز بشاره الخوري يساعدهم في تلك الجهود ، بصورة خفية ، رجال بعثة سبيرس في لبنان •

وبدأت الكفة تميل الى جانب بشاره الخوري فجأة •

بعد ان كانت في البدء مائلة الى جانب اميل اده •

فكأن ثمة وحيا هبط عليهم من السماء •

وشاهد اميل اده بعض انصاره المقربين اليه ينتقلون من الوقوف بجانبه الى الوقوف في جانب بشـــــاره الخوري •

فكاد يجن •

وراح يبحث ، بما عرف فيه ، رحمه الله ، مـــن الحكمة والدهاء والذكاء، عن السبب، فعلم انللبريطانيين يدا في ذلك التحول المفاجىء السريع •

ولم يقف الفرنسيون مكتوفي الآيدي حيال انقلاب الموقف ، فحاولوا اعادة النواب «الضالين» الى حظـيرة اميل اده ، الا انهم عجزوا •

فالذي ضرب ، كان قد ضرب ، والذي هرب هرب•

ولم يعد يفصلنا عن الثاني والعشرين من تشريـن الاول ، موعد انتخاب رئيس الجمهورية،سوى ايام قليلة جدا •

وتأكد للجميع ان بشاره الخوري سيفوز برئاســة الجمهورية •

فراح الفرنسيون يعملون جاهدين على اقصاء بشاره الخوري عن الوصول الى الرئاسة الاولى في البلاد •

وكادت تنبؤات والدي تتحقق •

فراح الفرنسيون يدرسون قضية إلغاء الانتخـــاب وتعيين رئيس للجمهورية ، الا انهم خشوا سوء العاقبة•

وارتأوا ان يلجأوا الى الدهاء ، فراحوا يروجون الاشاعات بان الكفة مائلة في جانب اميل اده •

وقبل موعد الانتخاب بثمان وأربعين ساعة ، وقعت مفاجأة مدهشة •

فقد تبين ان الذي سيكون رئيسا للجمهورية في لبنان ليس بشاره الخوري ، ولا اميل اده ، بل هو كميل شمعون •

وعلمنا كلنا ان كميل شمعون سينتخب رئيسا للجمهورية بالاجماع •

وصفق والدي للنبأ •

وارتاح كل الارتياح لهذه النتيجة ، وقد تأكد لديه ان البلاد تجنبت انقساما كبيرا ، وتخلصت من كابوس مزعج ، هو كابوس التفرقة ، والحزبية ، والحزازات •

وراح والدي يبحث عن اسباب هذا الانقلاب المفاجىء في الموقف السياسي ، فعلم كل شيء •

واتضح ان الفرنسيين ، بعد ان تأكدوا من ان اكثرية النواب ستنتخب بشاره الخوري ، اتصلوا بالبريطانيين ـ كان على رأس الفرنسيين السيد هللو ، وعلى رأس البريطانيين الجنرال سبيرس ـ •

وقال الفرنسيون للبريطانيين : فلنتفق على مرشح للرئاسة الاولى •

وأجاب البريطانيون : من هو ؟

ورد الفرنسيون : لا فرق لدينا شرط ان لا يكون بشاره الخوري •

قال البريطانيون : هل تتخلون عن اميل اده ؟

واجابوا : اذا تخليتم عن بشاره الخوري •

«لقد التقوا اخيرا عند رأي والدي ، لا بشاره الخوري ، ولا اميل اده» •

والبريطانيون كانوا يخشون ان يخذلهم النواب عند «الحشرة» ، فلا ينتخبون بشاره الخوري كما وعدوا ، لاسيما والفرنسيون كانوا قد ملأوا لبنان دعاية تقول : «الفوز مضمون لأميل اده» •

فرأوا ان يتخلوا عن بشاره الخوري ، لقاء تخلي الفرنسيين عن اميل اده ، ويأتوا الى الرئاسة الاولى بمرشح اخر ، بالاتفاق مع الفرنسيين •

وبحث البريطانيون عن شخصية نيابية سياسية قوية ، يمكنها ان تحل محل بشاره الخوري ، فوجدوا كميل شمعون •

وكميل شمعون يومذاك سياسي ناشىء قوي ، يتمتع بشعبية كبيرة في جبل لبنان ، اثبتتها الانتخابات النيابية التي فاز في المرحلة الاولى منها كميل شمعون وحده من قائمة الكتلة الدستورية •

ولكن البريطانيين خشوا ان لا يوافق الفرنسيون على اسم كميل شمعون لاسيما وهو من اركان الكتلة

الدستورية البارزين ، والصديق المخلص الوفـي لبشاره الخوري •

وأي فرق بين بشاره الخوري وكميل شمعون ؟

ان انتخاب كميل شمعون لرئاسة الجمهورية يعنـي انتخاب بشاره الخوري •

فالمبادىء واحدة ، والسياسة واحدة ، والحـزب واحد •

ورأى البريطانيون ان يعرضوا اسم كميل شمعون على الفرنسيين ، فاذا وافقوا ــ وهم لن يوافقوا ــ تكون لمعضلة قد حلت •

واذا لم يوافقوا ، فليس ثمة سوى اكمال الطريـق ومنازلة اميل اده ببشاره الخوري •

وقال البريطانيون للفرنسيين : بشاره الخـوري سينسحب من المعركة • وينسحب ايضا اميـل اده •• ويكون كميل شمعون المرشح الوحيد •

وأجاب الفرنسيون فورا : موافقون •

كان همّ الفرنسيين ان يتخلصوا من بشاره الخوري، ويجنبوا انفسهم الدخول في مغامرة ، قد لا يكونون فيها من الفائزين •

ودهش البريطانيون ، وهم يسمعون رد الفرنسيين•

وقالوا : اتفقنا • لا بشاره الخوري ، ولا اميـل اده ، بل كميل شمعون •

وأعطيت كلمة السر للنواب : «ستنتخبون كميل شمعون رئيسا للجمهورية ، وتجنبوا البلاد ازمة سياسية كبرى ..»

وأبلغ كميل شمعون مضمون الاتفاق ، فتأكد من ان الحظ خدمه .

وانه اصبح رئيسا للجمهورية .

ولم يعد ثمة سوى اربع وعشرين ساعة لموعد الانتخاب ..

ونام كميل شمعون تلك الليلة رئيسا للجمهورية .

فالفرنسيون وافقوا على انتخابه ، والبريطانيون يؤيدونه ، والنواب سينتخبونه غداً رئيسا للبلاد .

ولكن حساب الحقل لم يطابق حساب البيدر . فقد حدثت تلك الليلة التاريخية مفاجأة كبرى لم تكن في حساب احد .

فقد وصل نبأ الاتفاق على كميل شمعون الى بشاره الخوري ليلا .

وكان من الطبيعي ان يبذل الشيخ بشاره نشاطا كبيرا .

فجمع اركان حزبه وبعض انصاره من وجهاء وزعماء وأثرياء البلاد ، وعقدوا اجتماعا سريا بحثوا خلاله الامر من جميع نواحيه .

وأبى بشاره الخوري ان تفلت رئاسة الجمهورية من

يده في اللحظة الاخيرة ، وان يختطف كميل شمعون ، ابن الكتلة الدستورية البار ، اللقمة الشهية من يده ، قبل ان تصل الى فمه .

وقرر المجتمعون بذل الجهود لأعادة الامل الى بشاره الخوري .

وانطلق الدستوريون الى الاتصال بالنواب في محاولة للحصول على الاصوات اللازمة لفوز بشاره الخوري .

واتصلوا بكميل شمعون يطلبون اليه الابتعاد عن طريق رئيس الكتلة الدستورية .

وكميل شمعون ، وهو من اركان الكتلة الدستورية البارزين لم يكن مستعدا ان يخسر صداقة رئيس كتلته بشاره الخوري ، ولا صداقة زملائه في الكتلة .

ولكنه لم يكن ايضا مستعدا ان يخسر رئاسة الجمهورية ..

وشخص كميل شمعون الى قصر بشاره الخوري عند الفجر ، وجرت المفاوضات معه .

وتم الاتفاق على ان ينسحب كميل شمعون من المعركة لمصلحة بشاره الخوري فيكون الشيخ بشاره رئيسا للجمهورية ، لمدة ست سنوات ، وعند انتهاء مدة الولاية ، بعد ست سنوات ، ينتخب كميل شمعون خلفا له (والفرنسيون انفسهم لم يكونوا متحمسين لكميل

شمعون ، فلم يحركوا ساكنا ..)
وواقق كميل شمعون . فهو ما زال شابا ، والمستقبل أمامه ، ويستطيع ان ينتظر ست سنوات .
«الا ان بشاره الخوري لم ينفذ الاتفاق .
فما ان انقضت السنوات الست ، حتى بادر الى تجديد ولايته لمدة ست سنوات اخرى .
ومن هنا نشأ الخلاف الشديد .
او بالاحرى نشأت العداوة العنيفة بين كميل شمعون وبشاره الخوري .
وتألفت الجبهة الاشتراكية ، وعلى رأسها كميل

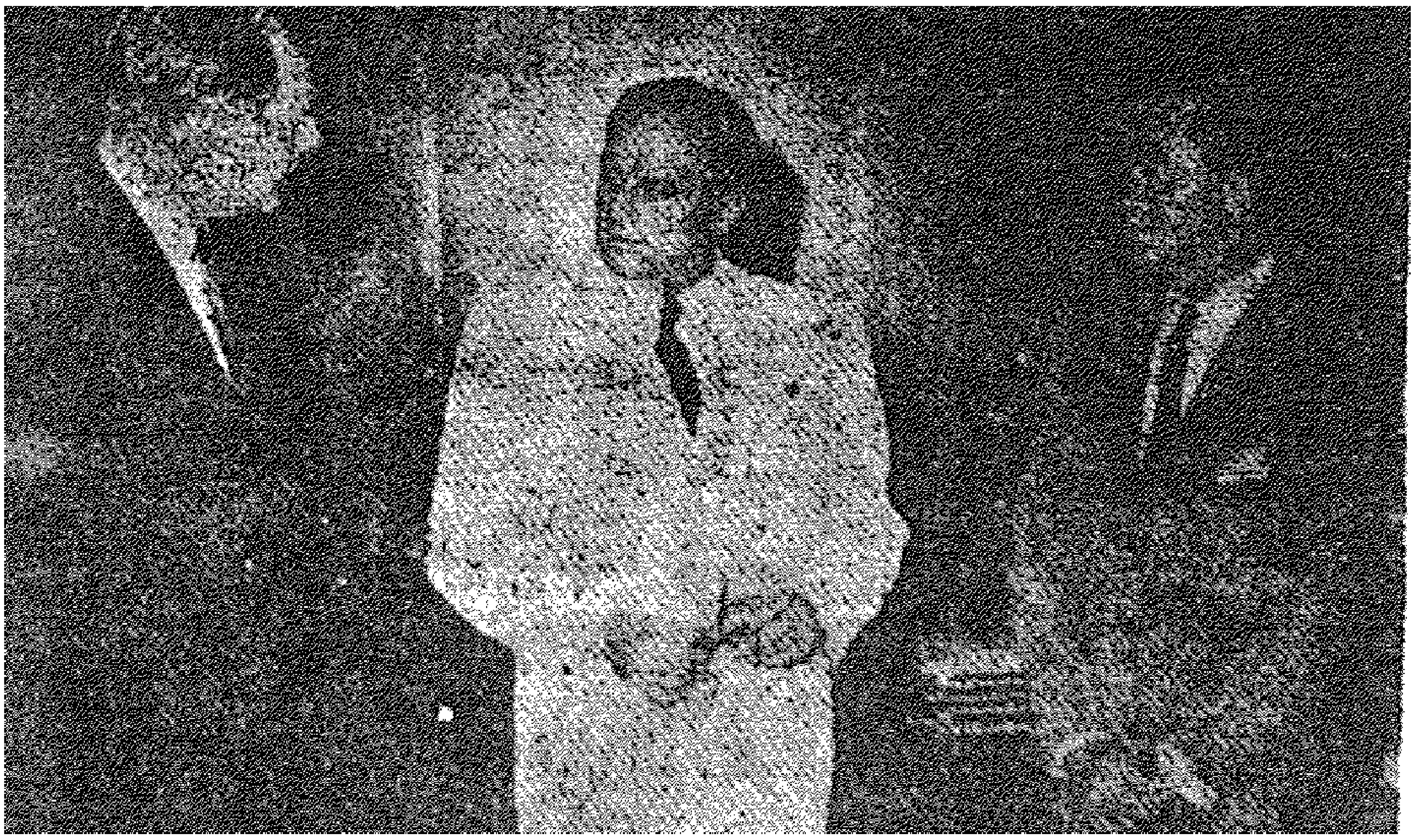

كاد كميل شمعون يصل لرئاسة الجمهورية عام ١٩٤٣

شمعون ، وناصبت بشاره الخوري العداء بصورة سافرة •
واسقطته بعد ثلاث سنوات من تجديـد ولايته •
وجاء كميل شمعون رئيسا للجمهورية ــ بعد تسع سنوات من هذه الاحداث ••»
وتمَّ لبشاره الخوري ما اراد ••
واستطاع ان يجمع حوله اكثرية النواب ••
وفي الصباح •• ــ صباح الثاني والعشرين مـــن شهر تشرين الاول عام ١٩٤٣ ــ انتخب مجلس النـــواب بشاره الخوري رئيسا للجمهورية بالاكثرية •
ومنذ اللحظة الاولى لأنتخاب بشاره الخوري ، ظهر العداء بينه وبين الفرنسيين •
فقد اعتبره الفرنسيون مرشح البريطانيين •
واعتبروا انتخابه تحدياً لهم •
الا ان بشاره الخوري لم يأبه لذلك ، وحاول انشاء علاقات طيبة مع الفرنسيين ، ولكنه لم يفلح •
وكان على رئيس الجمهورية ان يواجـــه صعابا ، وأزمات ، ومشاكل عديدة •
كان عليه اولا ان يشكل الوزارة •
وان يعيد النظر في الدستور •
وان يمهد للاستقلال الناجز التام •
وان يوفق بين انصاره وأنصار اميل اده •
وان يبرهن انه اهل للمنصب الرفيع الذي وصـــل

اليه .

وبدأ بشاره الخوري ، منذ اللحظة الاولى لأنتخابه، يدرس جميع هذه الامور بتمعن وروية وحكمة .

وجمع حوله بعض كبار الشخصيات اللبنانية أمثال: يوسف السودا ، وميشال شيحا ، وهنري فرعون .

وبعض كبار النواب أمثال : رياض الصلح ، وحميد فرنجيه ، وكميل شمعون ، وسليم تقلا ، وعبد الحميد كرامي ، واحمد الاسعد ، وصبري حماده ، والامير مجيد ارسلان وغيرهم ..

وبدأ استشاراته لتشكيل الوزارة ..

والحقيقة هي ان رئيس الوزارة المقبلة كان معروفا .. لقد كان ثمة اتفاق سابق بين بشاره الخوري ورياض الصلح .

وتشكلت الوزارة برئاسة رياض الصلح .

وبدأ التحدي بين رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة من جهة ، وبين السيد هللو (الذي كان قد خلف الجنرال كاترو في المفوضية الفرنسية بعد ان دعي الجنرال كاترو الى الجزائر) من جهة ثانية .

وكان رئيس الجمهورية البادىء في حملة التحدي.

فقد اعتذر عن حضور حفلة كانت قد اقيمت برعاية السيد هللو .

وأبلغ القائمين على الحفلة ان رئيس الجمهورية لن

يحضر اية حفلة لا تكون برعايته هو .

ووصل الخبر الى الجنرال هللو ، فرد التحية بمثلها، وراح يصدر مراسيم وقوانـــين دون استشارة رئيس الجمهورية ، او حكومته .

وبلغ التحدي ذروته بين اللبنانيين والفرنسيين فـي الثامن من تشرين الثاني ١٩٤٣ ، اي بعد عشرة ايام مـن انتخاب رئيس الجمهورية .

في ذلك اليوم دعي مجلس النواب للاجتماع .

كان صبري حماده اول من وقعت انظار بشاره الخوري عليه كصديق .

واثناء الجلسة فاجأ رئيس الوزراء رياض الصلح المجلس بأكبر حدث في تاريخ لبنان •

لقد طرح على المجلس مشروع قانون بتعديل الدستور ، وحذف المواد التي تطلق يد الانتداب الفرنسي في التحكم بمصير البلاد (لاسيما تعيين رئيس الجمهورية)•

وبالرغم من أن هذا المشروع كان خطراً بالنسبة للوضع في البلاد وللحال المحرجة التي تجتازها الحكومة، فقد وافق المجلس النيابي على تعديل الدستور اللبناني •

وكان اصدقاء الفرنسيين ، ومنهم اميل اده ، في طليعة النواب الذين رفعوا ايديهم موافقين على التعديل•

وكانت صدمة عنيفة للسيد هللو وللضباط الفرنسيين •

وفي صباح اليوم التالي ، في التاسع من تشرين صدرت الصحف اللبنانية وهي تروي تفاصيل الجلسة التاريخية •

وقد نشرت الخطب التي ألقاها الوزراء والنواب ، في المجلس •

وأثنت الصحف على موقف رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء والنواب •

فما كان من المفوضية الفرنسية الا ان امرت بمصادرة جميع الصحف اللبنانية •

وبدأت الازمة •

ولاح انها ازمة عنيفة بين الفرنسيين والحكومة اللبنانية .

وظهرت هذه الازمة بوضوح ، عندمـــا سحبت المفوضية الفرنسية دعوتها لرئيس الجمهوريـــة ورئيس الوزراء والوزراء لحضور حفلة العرض العسكري ، التي كان من المقرر ان تقام في ١١ تشرين الثاني .

وكنا كلنا نعلم ان هناك ازمة شديدة بدأت تظهـر بين السلطات الفرنسية والسلطات اللبنانية ، ولكننا لـم نكن نعلم ان هذه الازمة ستصل الى الحد العنيف الذي وصلت اليه .

وكان يخيل الينا ان هذه الازمة ستنتهي ، كما انتهت من قبلها جميع الازمات .

الا ان والدي كان يردد دائما على مسامعنا : « لن تمضي هذه الازمة على سلامة . ان لبنان ينتظر أحداثـا جسيمة » .

الفصل السادس

معركة الاستقلال

كان يوم العاشر من شهر تشرين الثاني عام ١٩٤٣ .
في ذلك اليوم عمّد الاستقلال بالدم .

وها انا اروي في ((صرخة الاستقلال)) هذه ، تفاصيل ما جرى تلك الليلة كما سمعتها ورأيتها.وعلمتها من والدي، ومن الاستاذ نسيب شهوان (النائب والوزير) ، ومن صديقي الحميم جهاد عبود ، ومن اخي غسان ، ومن صديقتي آمال نصري عقيلة نجل النائب خليل مسعود (وهو اسم مستعار لنائب اصبح فيما بعد وزيرا) .

في ذلك اليوم ــ العاشر من تشرين الثاني ــ دعي والدي لحضور مأدبة عشاء اقامها الجنرال سبيرس على شرف الملك بطرس اليوغوسلافي الشاب الذي كان يزور لبنان .

وكان بين المدعوين السيد هللو (المفوض السامي)

وبعض الضباط الفرنسيين .

وكان ايضا الاستاذ نسيب شهوان ، ووزير الخارجية اللبنانية سليم تقلا ، وبعض النواب ، ووجهاء البلاد ..

وعاد والدي الى الدار بعد منتصف الليل ، وهو مشرق الوجه هادىء الاعصاب ، تطفو على شفتيه ابتسامة زاهية سمحاء .

وكنا لا نزال ساهرين .

وكان يسهر معنا صديقي جهاد وشقيقته سعاد صديقة اخي غسان .

وكانت والدتي قد بدأت تتثاءب ..

فسألت والدي : هل كنت مرتاحا في مأدبة الجنرال سبيرس ؟

واتسعت الابتسامة على شفتي والدي ، وهمس : الحقيقة انني ارتحت كل الارتياح ، بعد ان تأكد لي ان الفرنسيين لا يضمرون للحكومة اللبنانية اي شر .

وسألته : كيف علمت ذلك ؟

قال والدي : كان السيد هللو والوزير تقلا في الحفلة . وكان الجفاء والعداء والفتور والبرودة تظهر على كل منهما . فكان من ينظر اليهما يتأكد له انه حيال عدوين لدودين . وبعد العشاء دخل الجنرال سبيرس والسيد هللو الى غرفة خاصة ، واستمرت خلوتهما زهاء

ساعة ، وقبل ان انصرف سألت الجنرال سبيرس عن مآرب السيد هللو وعن اهدافه ، وعما اذا كان الفرنسيون يضمرون الشر للحكومة اللبنانية ، فابتسم وقال لي : سل معالي الوزير •

وسألت الوزير تقلا ، فقال لي : ان هللو اقسم بشرفه للجنرال سبيرس انه لن يتخذ اي قرار يسيء الى الحكومة اللبنانية ، شرط ان تكف الحكومة عن تحدي الفرنسيين •

وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل انصرف جهاد وشقيقته سعاد •

وآوينا الى أسرّتنا •

واستلقيت انا على السرير افكر •

كان تفكيري منصرفا الى جهاد ، جهاد عريس المستقبل •

كان الاتفاق قد تم بيني وبينه على كل شيء •

وكان من المنتظر ان يتقدم والده ووالدته لطلب يدي في مطلع العام الجديد ، اي بعد شهرين •

وكنت ارسم امامي المستقبل الزاهر الزاهي الذي ينتظرني مع جهاد ••

ولم استطع ان انام ، الا وقد اشرف الليل على الأفول ••

ونمت ••

واستغرقت في النوم ..
واستفقت فجأة على رنين جرس الباب يقرع بشدة..
ونظرت الى ساعتي ، فاذا بها تشير الى السادسة من الصباح ..
وحاولت العودة الى النوم .
ستفتح الخادمة الباب .
قد يكون بائع الحليب ، او احد أنصار والدي ..
ولم انهض من السرير .
ولكنني سمعت بعد قليل همسا وكلاما وضجة في الصالون ، فأدركت ان ثمة امرا خطيرا .
فوثبت من السرير ، وارتديت «الروب دي شامبر» فوق قميص النوم .
وخرجت من الغرفة على قلق وحيرة واضطراب .
ودهشت، وأنا اشاهد صديقنا النائب والمحامي الكبير نسيب شهوان في الصالون ، مع والدي وأمي وأخي وبعض اصدقاء النائب ، والقلق يطل من عيونهم .
وسألت : ما بكم ؟ ماذا جرى ؟
ورد علي الأستاذ نسيب قائلا : الفرنسيون اعتقلوا رئيس الجمهورية ، ورئيس الوزراء ، والوزراء .
ووقفت على دهشة ووجوم .
وسمعت والدي يسأل الاستاذ نسيباً : ولكن الى اي سجن نقلوهم ؟

ورد الاستاذ نسيب : لست ادري ، وكل ما نخشاه الان هو ان تسيطر الحماقة على الفرنسيين ويعدموهم •

وقال والدي : مستحيل ، لن تصل بهم الحماقة الى هذا الحد ، ولكن ماذا علينا ان نفعل ؟ كيف سنساعدهم؟

وطفت ابتسامة واهية على شفتـــي الاستاذ نسيب وتمتم : نحن نفتش الان عمن يساعدنا ، لان الفرنسيـــين يبحثون عنا ، وهم مصممون على اعتقالنا • لذلك فقـــد تركت منزلي ولجأت الى هنا •

قال والدي : وستظل هنا •

وقال نسيب : مستحيل ، انت ايضا ممن يريــــد الفرنسيون اعتقالهم • يجب ان نهرب معا •

ووجمت والدتي وقالت : هل يخيل اليك يا استاذ نسيب ان حياتكما في خطر ؟

فنفث نسيب شهوان دخان سيكاره فـــي الفضاء ، وهمس : لست ادري ، لست ادري • كل ما اعرفه هـــو انه يتحتم علينا الهرب ، قبل ان يظفر بنـــا الفرنسيون ، ويضمّونا الى قافلة المعتقلين •

وساد الصمت أرجاء القاعة •

وعاد الاستاذ نسيب الى الكلام ، بعد فترة صمت قصيرة ، ليقول : يجب ان تتصل بالامير مجيد ارسلان •

فقال والدي : والامير مجيد ايضا سيكون فـــي خطر •

فأصر الاستاذ نسيب على الاتصال بالامير مجيد وقال : اذا لم يكن قد اعتقل فهو يستطيع مساعدتنا • ولكن كيف سنتصل به ؟

قلت : اتصلوا به هاتفيا •

فضحك نسيب • كانت الابتسامة لا تفارق شفتيه حتى في احرج المواقف والاوقات •

وهمس : أيكون لك عندنا ثأر كي تسلمينا الى الفرنسيين يدا بيد ؟

قلت : لماذا ؟

قال : جميع خطوط الهاتف مراقبة •

(والهاتف يومذاك غير اوتوماتيكي كما هو الان • فكان يتحتم على الطالب ان يتصل بفتاة «السنترال» والفتاة تصله بمن يريد التحدث اليه) •

قال والدي : فلنشخص الان الى دار الامير •

قال الاستاذ نسيب : لا •• يجب ان نستقصي اخباره اولا ، لنعلم اذا كان لا يزال طليقا •

وعاد الصمت يلفنا •

كان كل منا يفكر برسول نوفده الى الامير مجيد•• وكان اخي غسان جالسا يدخن بصمت ويفكر ، دون ان يشترك معنا بالحديث ••

وفجأة ، رمى باللفافة من يده ، ووقف ليقول : انا شاخص الى دار الامير مجيد •

وحاولت امي منعه ، الا انه لم يلتفت اليها .

ودخل الى غرفته ليرتدي ثيابه على عجل ويسرع الى السيارة يستقلها ويطير بها ..

وطارت قلوبنا معه ..

وأقمنا ننتظر عودته بفارغ صبر .

الا ان غيابه طال .

ودقت الساعة التاسعة.. ثم دقت الساعة العاشرة.. وأشرفت على الحادية عشرة وأخي غسان لم يعد .

فبدأ القلق يستبد بنا ..

وكانت امي أبعدنا وأشدنا قلقاً .

لم تكن تتكلم .

بل كانت ترسل زفرة حسيرى من حين الى اخر ، وتضرب كفا بكف ..

وبدأت الظنون والوساوس تلعب بنا ..

وأيقنت ان الفرنسيين اعتقلوا اخي ..

واقتربت من الاستاذ نسيب اهمس في اذنه : يبدو انهم اعتقلوه .

وهمس : لا .. ولكنني اخشى ان يكونوا قد تبعوا خطواته، ولحقوا به الى دار الامير مجيد، واعتقلوا الامير .

وعاد الصمت يخيم علينا .

وقبل ان تدق الساعة الثانية عشرة ، رن جرس

الباب .

ووقفنا كلنا .

وأسرعت انا الى الباب افتحه قبل ان تصل الخادمة اليه .

واذا بي امام صديقي الحميم جهاد عبود نجل السياسي الكبير الذي لم يحالفه الحظ في الفوز بالنيابة.

وهمست : جهاد ! هل علمت ماذا جرى ؟

فأمسك بيدي وهمس : لقد اعتقلوا والدي ايضا..

ودخل جهاد ، وأطلعنا على كيفية اعتقال والده ، وكيف اقتاده رجال الامن في سيارتهم الى حيث لا يعلم احد . وقد أطلق والد جهاد بعد أيام قليلة ...

وقال نسيب : من المؤكد انهم يبحثون عنا الان ..

قال والدي : لقد تأخر غسان في العودة .

وقال جهاد : غسان لن يعود الان . لقد اوفدني اليكم .

فهدر نسيب : اوفدك الينا ولا تقول لنا ؟ اخبرنا اين هو ؟ اين شاهدته ؟ تكلم !..

قال جهاد : لقد مر غسان على دارنا ، وهو في طريقه الى الامير مجيد ، ليطمئن على سلامتنا . ثم اقتادني معه الى دار الامير ، ولم نجده في الدار ، وقال لنا شقيقه نهاد انه ذهب الى الجبال ، الى بشامون ليقود الثورة من هناك ، فما كان من غسان الا انه استقل

سيارته الى بشامون ، وأوفدني اليكم . لقد قال لـــي غسان انه سيكون هنا بعد الظهر .

وراح نسيب يتمشى بقلق وحيرة واضطراب .

وفجأة التفت الى والدي ليقول : انا شاخص الى بشامون .

وحاول والدي ردعه عن عزمه ، الا ان نسيباً أصر .

ولما حاول والدي مرافقته ، رفض وقال له : مـــن الافضل لنا ولك ان تظل هنا . قد نحتاج اليك . ولكن لا تقم في هذه الدار ، بل انتقل الى دار احد اصدقائك .

وقال جهاد : انا سأرافقك الى بشامون .

قال : تعال .

وخرج الاثنان ، وخرج قلبي مع جهاد .

وقد خشيت ان يعتقله الفرنسيون ، كما اعتقلـــوا والده .

ونهض والدي يرتدي ثيابه ، ثم يقول لنا : سأنتقل الى دار صديقنا النائب خليل مسعود «اي والد سامـــي مسعود زوج صديقتي آمال نصري» .

قالت امي : ولكن في انتقالك مـــــن هنا الى دار نائب ، تكون كمن ينتقل من تحت «الدلـــف الى تحت المزراب» . من المؤكد ان دار خليل مراقبة .

وهمس والدي : لا ، ان خليـــــل مسعود ليس دستوريـــا ، ويبدو ان الفرنسيـــين لا يطاردون الا

الدستوريين • سأكون عنده في مأمن • وسأتصل بكم •

قلت : سأرافقك •

قال : لا ، انت عليك ان تذهبي الى دار صديقتك سعاد عبود شقيقة جهاد ، فهي بحاجة اليك ، بعد ان اعتقل والدها • اذهبي اليها ، وحاولي ان تحضريها مع والدتها الى هنا •

وخرج والدي من الدار •

ولحقت به •

وشخصت الى دار صديقتي سعاد عبود •

ومررت بشوارع بيروت •

كانت بيروت ذاك اليوم على ثورة وحمم ، فالمحال مقفلة ، احتجاجا على اعتقال رئيس الجمهورية واعضاء حكومته •

والتظاهرات تملأ الشوارع •

والجنود السنغاليون يجوبون الشوارع ببنادقهم وحرابهم وخوذهم •

وفي ساحة الشهداء اشعل المتظاهرون النار في بعض السيارات الفرنسية •

كانت بيروت كئيبة ، دامعة ، ثائرة ذلك اليوم •

وكان أركان حزب الكتائب اللبنانية ، وحزب النجادة ، قد اجتمعوا في الصباح الباكر في بيت الكتائب، وانتخبوا الشيخ بيار الجميل رئيسا للحزبين معا •

واتخذوا مقررات هامة ، وأعلنوا اقفال بيروت •
والحقيقة ان الوحدة الوطنية تجلت ذلك اليـــوم الرهيب بأجلى مظاهرها •
فتوحدت كلمة اللبنانيين علـــى اختلاف ميولهم ، وأحزابهم ، وأهدافهم ، وطوائفهم • واشتعلت بيروت •
وزحف القرويون من الجبال في تظاهرات صاخبـة عنيفة •
لقد زحف الجبل بكامله الى بيروت •
وقامت المنظمات النسائية بواجبها خير قيام •
فاذا بسيدات لبنان يتظاهرن ويسرن في شـــوارع بيروت المضربة •
وكانت بينهـــن لور تابت ، ونجلا كفـــوري ، والدكتورة جمال كرم ، وروز زكور ، وتيلــدا زيادة ، وابتهاج قدورة ، والكتائبيات بأجمعهن ، والنجاديات ، والجامعيات ، وغيرهن ممن لا تسعفني الذاكرة في ذكر اسمائهن ••
وحاول الجنود السنغاليون صدهـــن بالحراب ، ومنعهن من القيام بالتظاهرة •
الا ان سيدات لبنان عرضن صدورهن للحراب •
وصرخن بالسنغاليين : اطلقوا الرصاص ••
وفي هذه الاثناء كان شبان الكتائب والنجـــادة يوقفون السيارات الفرنسية في الشـــوارع ويقلبونها ،

ويضرمون فيها النار •

وكان صوت المطران مبارك ، الخطيب المفوه ، رحمه الله ، يدوي على منبر كاتدرائية مار جرجس ، داعيا اللبنانيين الى الثورة ، ومعنفاً الفرنسيين ، ومعلنا ثورة بيروت والجبل •

وكان خطباء الجوامع يهتفون بحياة الاستقلال •

كان لبنان كله في ثورة جامحة ، عاتية ، لاهبة ، هوجاء •

ولم يكتف بيار الجميل ، وقد اصبح رئيسا لحزبي الكتائب والنجادة باقفال بيروت ، وباعلان الثورة ، بل شخص بنفسه على رأس وفد من اعضاء مكتبي السياسة في النجادة والكتائب الى دار المفوضية ، معلنين احتجاجهم على اعتقال رئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء، والوزراء •

ووقعت مشادة بين بعض الضباط الفرنسيين وأعضاء الوفد •

فما كان من بيار الجميل ، وهو المعروف بحماسه وبعصبيته ، ما كان منه الا انه هجم على احد الضباط الفرنسيين ـ وهو برتبة كولونيل ـ وصفعه ، لأنه سمعه يشتم لبنان ••

واعتقل بيار الجميل فورا •

ووصلت الى دار صديقتي سعاد عبود ، فاذا بالدار

تغص بالاصدقاء ..

لقد جاؤوا يستفسرون عن كيفية اعتقال والدها .

وكانت سعاد هادئة صامتة .

الا ان والدتها كانت دامعة العين ، كسيرة الخاطر ، هلعة الفؤاد .

كانت تخاف على زوجها الذي اعتقله الفرنسيون ، وعلى ابنها جهاد الذي خرج من الدار في الصباح دون ان يعود .

وعانقت سعاد ، وهمست في اذنها : يبدو ان جهاداً وأخي غسان قد التحقا بالثوار .

فشدت سعاد يدي ، وهمست : ونحن ، انا وانت، سنكون معهم ايضا . لن نسكت يا سميرة . لن ننام على الضيم ، سنقاتل ، سنحارب ، سنعلنها حربا لا هـوادة فيها . اطمئني يا حبيبتي ، لبنان سيظـــل لبنان .. لن يستطيعوا ان ينالوا منه مأربا . هل انت خائفة يا سميرة؟

كانت سعاد تتكلم بحزم ، وعزم ، وحماس .

كانت ثائرة .

لم تكن مهتمة لأعتقال والدها ، ولا لأختفاء اخيها.

كان كل ما يهمها ان ينال لبنان استقلاله .

وأثارت كلماتها الحماس في قلبي ، فهمست : لا.. وحياتك يا سعاد ، انا لست خائفة . نحن لسنا بأفضل من آبائنا واخواننا .

قالت : كم يطيب لي ان اسقط تحت رصاص السنغاليين ، فيروي دمي تراب بلادي •
وازددت حماسا لكلماتها •
وشعرت بثورة لاهبة عاتية تلهب فؤادي •
فأمسكت بيدها ، وقلت لها : تعالي •
ولم تسألني سعاد الى اين ؟
بل سارت معي ، كما هي بثياب البيت •
وخرجنا من الدار الى الشارع ، وأخذنا نعدو صارختين : الاستقلال ، الاستقلال ، الاستقلال •
ومررنا ببعض الجنود السنغاليين، فلم يتعرضوا لنا•
وكانت «صرخة الاستقلال» تنطلق من شفاهنا قوية مدوية ، عاصفة كالرعد •
وانضم الينا بعض الاولاد والشبان •
وما كدنا نسير زهاء مئتي متر ، حتى كان عددنا قد تزايد •
ووجدت نفسي مع سعاد في تظاهرة تضم عشرات النساء ، والشبان ، والرجال ، والاولاد ، وكلهم يصرخ: الاستقلال •• الاستقلال ••
ووصلنا الى ساحة السور ـ ساحة رياض الصلح اليوم ـ فاذا ببعض الجنود السنغاليين يصوبون الى صدورنا بنادقهم ••
وخاف الاولاد ، وتفرقوا مذعورين •

اما نحن ـ النساء والرجال ـ فقد ابينا ان نعـود آدراجنا ، كما امرنا الجنود ..

وهجمت سعاد على احد الجنود ، محاولة ان تنتزع بندقيته .

الا ان الجندي السنغالي صفعها ، فتقدمت منه انا لأرد له الصفعة ، صارخة به : نذل .. جبان .

وأسرع رئيسه ، وهو ضابط فرنسي ، فأمسك بي وبسعاد وصرخ بنا : عودا الى منزلكما .. لئلا نسيء اليكما ..

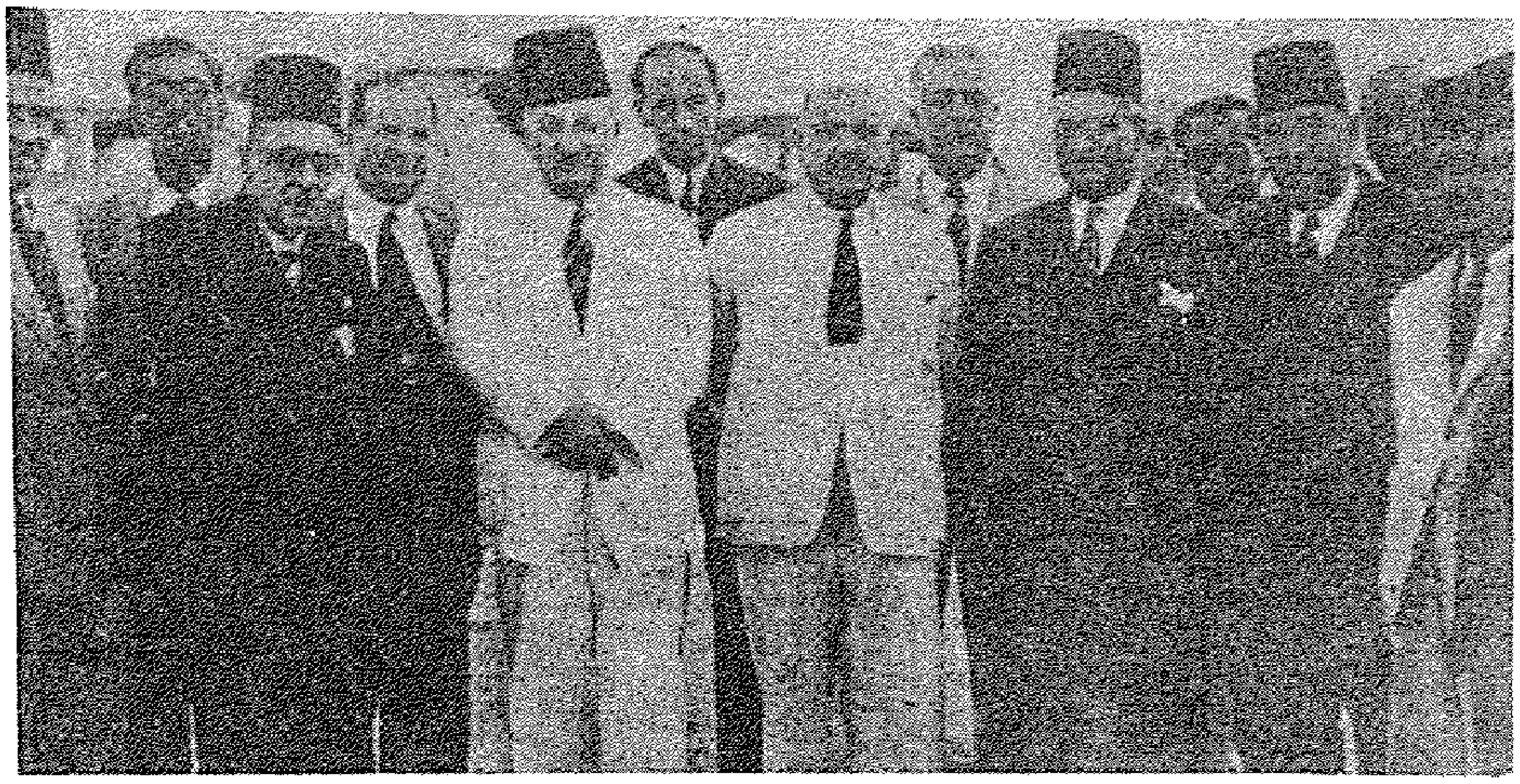

وأفلتنا من الضابط الفرنسي ، وأخذنا نعدو، لنلحق برفاقنا المتظاهرين ، الذين كانوا قد وصلوا الى شـارع المعرض باتجاه ساحة الشهداء .

وكانت ساحة الشهداء شبيهة بساحة حرب .

الدبابات تحتلها .

والجنود يطوقونها ، وهم مدججون بالسلاح .

والمدافع منصوبة في أرجائها نحو السراي •

وكانت السراي تنتصب في ساحة الشهداء ، تجاه سينما ريفولي اليوم ، وهي بناء اثري قديم ، وقد هدمتها الحكومة لتقيم مكانها موقفا للسيارات..

ووجدنا انفسنا محاطين بعدد كبير من الجنود •

وأرغمونا على الابتعاد • فابتعدنا وتفرقنا •

وحاولت سعاد اقتحام نطاق الجنود والاتجاه نحو السراي ، الا انني امسكت بيدها وأبعدتها عن السنغاليين، بعد ان تأكدت من ان محاولتها ضرب من الجنون ••

وعدنا الى دار سعاد •

وكانت الجماهير لا تزال تحتل الدار ، والكل يتساءل : ماذا حل بالمعتقلين ؟

ولم نكن قد علمنا بعد انهم في راشيا •

فقد اشيع في الصباح ان الفرنسيين نقلوهم الى مقر الحكومة الفرنسية في الجزائر •

كما اشيع ايضا انهم نُقلوا الى قبرص •

وعند الظهر ، كانت قد سرت شائعة تقول ان الفرنسيين أعدموا بشاره الخوري ، ورياض الصلح ، وكميل شمعون بالرصاص •

الا ان هذه الشائعة لم تلبث ان تبددت ، بعد ان اذاع الفرنسيون نبأ من محطة الاذاعة اكدوا فيه ان رئيس الجمهورية ، ورئيس الوزراء ، وجميع المعتقلين

بخير •

وكنا، جميعا قلقين •

نحاول ان نستطلع اخبار المعتقلين دون جدوى •

ولم نكن نعلم كيف اعتقلوا ولا ما حل بهم •

لم نعلم ذلك الا بعد أمد قصير ، وبعد ان روت السيدة لور خوري ، عقيلة رئيس الجمهورية ، لبعض زائريها تفاصيل اعتقال الرئيس •

وبعد ان روت عقيلة رياض الصلح ايضا تفاصيل اعتقال زوجها •

وقصة الاعتقال طريفة ، ومؤلمة في وقت واحد •

كان الرئيس بشاره الخوري قد سهر حتى ساعة متأخرة من الليل مع بعض اصدقائه •

وقبل ان يأوي الى سريره بقليل ، جاء الوزير سليم تقلا ، الذي كان في مأدبة العشاء التي اقامها الجنرال سبيرس على شرف الملك اليوغوسلافي ، وأبلغه ان السيد هللو اقسم بشرفه للجنرال سبيرس انه لن يقدم على اي عمل يسيء الى الحكومة اللبنانية •

وآوى الرئيس الخوري الى سريره مطمئنا •

وفي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ــ ليل ١٠ ــ ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ ــ استفاق بشاره الخوري وعقيلته على ضجة وحركة في القصر •

فخرج الرئيس بشاره الخوري الى البهو ، ليفاجأ

بجنود فرنسيين وضباط مسلحين •• بادروه بقولهم : اخرج •• اخرج ••

وخيل اليه انهم يريدون اغتياله ، فعاد الى غرفة النوم ، وأقفل وراءه الباب •

وأطل من النافذة ، محاولا طلب النجدة من الحرس الجمهوري ، الا انه فوجىء بأن الجنود السنغاليين حلوا محل الحرس الجمهوري ، وبأن القصر مطوق بالجنود الفرنسيين •

وفي هذه الاثناء اقتحم ضابط فرنسي ، مسلح برشاش ، غرفة نوم رئيس الجمهورية ، وطلب اليه ان يرتدي ثيابه •

ولم يلبث ان دخل نجل الرئيس ميشال ، وراح يساعد والده على ارتداء ثيابه ، في حين كان الجنود الفرنسيون يقتحمون جميع غرف القصر ، فيوقظون كريمة رئيس الجمهورية الكبرى «هوغيت» ويسجنونها في غرفتها ، ويمنعونها من الخروج •

ثم يقتادون نجل الرئيس الاكبر خليل ، الى غرفة الحرس من القصر ، ويسجنونه فيها ايضا ••

وسأل الرئيس الخوري الضابط : ماذا تريدون مني؟

فأجابه : لدي امر باعتقالك •

قال الرئيس : هل استطيع ان اطلع عليه ؟

ورد الضابط : بكل تأكيد يا فخامة الرئيس •

قال الضابط هذا ، وراح يتلو الامر بسرعة .
وكان الرئيس الخوري قد انتهى من ارتداء ثيابه ، فسار مع الضابط الى البهو .
وهناك انضم الى الضابط بعض الجنود ، وساروا بالرئيس الخوري الى سيارة كانت تنتظرهم على مدخل القصر .
وسارت السيارة برئيس الجمهورية ، وبثلاثة ضباط فرنسيين ، في طريق راشيا .
وفي هذه الاثناء كان بعض الضباط الفرنسيين قد اعتقلوا رياض الصلح ، والوزيرين كميل شمعون ، وسليم تقلا ، والنائب والزعيم الطرابلسي عبد الحميد كرامي ، بالطريقة نفسها التي اعتقل فيها رئيس الجمهورية (اقتحموا منازلهم ليلا ، وانتزعوهم من أسرّتهم ، واقتادوهم الى راشيا) .
اما الوزيران حبيب ابو شهلا ، والامير مجيد ، والرئيس صبري حماده ، فقد تمكنوا من الهرب ، ولجأوا الى بشامون .
وأقمت في دار سعاد طيلة ذلك النهار ، والقلق يستبد بنا .
كنا نتوق الى معرفة ماذا حل بالمعتقلين .
وفي المساء ، في الساعة السابعة من المساء ، وصل جهاد عبود ، شقيق سعاد ، وهو متعب ، منهوك القوى..

والتففنا حوله نسأله : اين كنت ؟

وهمس : في بشامون ..

ــ في بشامون ؟

وارتسمت الدهشة على الشفاه .. وماذا في بشامون ؟

وجلس جهاد يقص علينا ما جرى .

قال : هناك في بشامون الوزيران الامير مجيد ، وحبيب ابو شهلا ، والرئيس صبري حماده ، وبعض النواب ، والشخصيات السياسية ، وكان معهم الاستاذ نسيب شهوان ايضا .

وقد اعلنوا تشكيل حكومة وطنية حرة ، اطلقوا عليها اسم حكومة الاستقلال ، برئاسة الوزير حبيب ابو شهلا .

قلت لجهاد : من المؤكد ان الفرنسيين سيقتحمون بشامون ، ويعتقلون الجميع .

وطفت على شفتيه ابتسامة هادئة صافية .

وهمس : لن يقدموا على هذه المغامرة ، لان رجال الامير مجيد ، ومعظمهم من بني معروف الاشاوس ، حملوا سلاحهم وانتشروا في الجبال، والوديان ، والتلال، وهم مستعدون للنضال .

وأدركنا ان الامر خطير .

وان اللبنانيين مقدمون على معركة نضال وجهاد ، لا

يعلم الا الله ماذا تكون نتائجها •

قلت : وأخي غسان ؟ اين هو يا جهاد ؟

قال : هناك •• في بشامون •

ـ وانت ، ماذا ستفعل ؟

قال : سأعود الى هناك • انا ما جئت الى هنا الا لأطمئنكم اولا ، ولأحمل رسالة الى المطران مبارك ، والى سماحة المفتي ، وسأعود الى بشامون بعد ان اقوم بالمهمة •

واقتربت منه اهمس في اذنه : سأرافقك • لن اظل هنا يا جهاد • يتحتم علي ان اكون حيث تكون •

واغرورقت عيناه بالدموع •

وشد يدي بحرارة وهمس : لا يا سميرة ، لا •• يجب ان تظلي هنا • ان اجتياز الطريق بين بيروت وبشامون ليس بالامر السهل ، فالجنود السنغاليون منتشرون على طول الطريق ، والخطر الشديد يكمن عند كل منعطف ، وفوق كل منحنى وسفح •

قلت : انا لست بالفضلى • ما يصيبك يصيبني •

قال : لا ، قد نحتاج اليك والى سعاد هنا • يجب ان تظلا في بيروت • مقامكما هنا ، وليس هناك بين البنادق والحراب والرصاص • انتما هنا تستطيعان ان تساعدا الثوار ، وان تقدما لهم الخدمات الجلى •

وتقدمت سعاد منا لتقول : بماذا تتهامسان ؟

قال جهاد : لا تدعي سميرة تخرج من هنا يا سعاد. انا عائد الآن الى بشامون . وقد اعود غدا الى هنا . اما اذا لم اعد ، فلا تقلقوا علي .

قال هذا ، ودخل الى غرفته ليبدل ثيابه .

ثم خرج ليتناول قليلا من الطعام ، ويهم بالذهاب . وتعلقت به والدته ، وراحت تتوسل اليه ألّا يخرج من الدار في تلك الساعة من الليل .

الا انه أصر .

وقبلها ، ثم قبل شقيقته سعاد .

وتقدم مني يصافحني بشوق وحرارة .

وشعرت بيده ترتجف في يدي .

وهمس : سميرة ! سأذكرك حيث اكون ، صلي من اجلي ، ومن اجل الثوار ، ومن اجل لبنان .

وأفلت يده من يدي ، وأسرع بالذهاب قبل ان تفضحه دموعه .

وأسرعت بالخروج الى الشرفة ، فشاهدته يستقل سيارة سوداء .

وانطلقت السيارة به منغمسة في الظلام الدامس .

وكانت بيروت كلها تغرق في الظلام .

واغمضت عيني برهة ، ثم فتحتهما لانظر الى النجوم السابحة في الفضاء ، وأهمس : احرسه يا رب ، واحرس لبنان .

واذا بيد سعاد تربت على كتفي ..
وهمست : تعالي .. تعالي تتناول العشاء يا سميرة.
وحاولت الاعتذار ، الا ان سعاد أصرت ..
فدخلت معها الى قاعة الطعام حيث كان الجميع يتناولون بعض المأكولات ..
ولم استطع ان اتناول شيئا من الطعام ..
كنت قلقة ، وجلة ، مضطربة .
ولم اكن اعلم ما هو سبب قلقي واضطرابي .
فراحت سعاد تقدم لي الطعام بيدها ..
وعندما انتهينا من تناول الطعام ، خرجنا الى الصالون ، وجلسنا ندخن ونتحدث .
وطالت سهرتنا حتى الثانية بعد منتصف الليل ..
واذا بسعاد تمسك بيدي هامسة : تعالي ..
وسرت معها ، فدخلت بي الى غرفة النوم .
وتمتمت : يجب ان نأخذ لنفسنا قسطا من الراحة..
سننام الان كي نستطيع غدا ان نستأنف الجهاد ..
ونزعنا ثيابنا وارتدينا ثياب النوم ..
واستلقينا في السرير ، الا انني لم استطع ان اغمض عيني .
فرحت ادخن وأفكر .
كنت افكر بجهاد وبما قاله لي .
ماذا قال جهاد ؟

لقد قال:«ان الخطر يحدق بالطريق الممتد بين بيروت وبشامون» .

وهو الان على هذا الطريق .

اذن !..

اذن ماذا ؟ اذن جهاد في خطر .

وغمر الخوف ، والقلق ، والاضطراب قلبي ، وقد وصل بي التفكير الى هذا الحد ..

انا لم اقلق على والدي ، لأن والدي في مأمن من كل خطر الان .

انه في دار النائب خليل مسعود ..

ولم اقلق على اخي لانه في بشامون ، يحرسه رجال الامير مجيد المسلحون ..

وأمي .. لم اقلق عليها لانها في الدار ، بعيدة عن كل خطر ..

اما جهاد .. جهاد وحده اثار قلقي واضطرابي ..

لماذا ؟ لست ادري !

ومضيت في التفكير .

الا ان سعاد قطعت علي حبل تفكيري .

فقد استفاقت واستوت في السرير لتقول : ألــم تنامي ؟

قلت : لم استطع ان اجذب النوم الى عيني .

فألقت بلفافة بين شفتيها واشعلتها ، وهمست : ما

هو هذا الحلم الرهيب ؟

قلت : ما هو ؟

قالت : لقد شاهدت اخي جهاد في الحلم يحترق ، شاهدت النار تلتهمه وهو يبتسم ، انني خائفة يا سميرة.

وحاولت ان اطيب خاطرها وآهـــدىء روعها ، الا انني كنت بحاجة الى من يهدىء خاطري •

لقد اثار حلم سعاد مخاوفي •

ورحنا نتحدث ونحاول رسم الخطط للغد •

وقالت سعاد : يجب ان ننظّم مظاهرة في الصباح ، نجوب فيها انحاء بيروت •

قلت : سنقوم بكل ما يدعونا اليه الواجب الوطني المقدس يا سعاد • لن نتوانى ، ولن نجبــن ، ولن نلين • استقلالنا قبل حياتنا •

ومضينا في الحديث •

وبدأت خيوط الفجر البعيد تتسلل عبر زجـــاج النافذة الى الغرفة •

وبدأ النعاس الشديد يثقل أجفاننا •

وتراخت عزائمنا •

وغرقنا في نوم عميق سحيق بعيد القرار •

ولم نستفق الا على طرقات على باب الغرفة •

واستوينا معا في السرير •

ونظرنا الى بعض •

ثم حوّلنا نظرنا الى الساعة الجاثمةعلى «الكومودينا» قرب السرير ، فاذا بها تشير الى العاشرة من الصباح •

وقفزت سعاد لتفتح الباب •

واذا بنا امام صديقتي آمال نصري زوجة سامي مسعود نجل النائب الكتلوي خليل مسعود •

وهتفتُ : آمال !

ووثبت آمال الينا تعانقنا • وجلست على السرير •

وتمتمت : ألا تزالان في السرير ؟ ألا تعلمان ماذا جرى؟

فهتفنا معا : ماذا جرى

قالت : عين الفرنسيون اميل اده رئيسة للجمهورية، وهو الان منصرف لتشكيل الوزارة •

ووجمنا ••

وقلت : هل رضي اميل اده بأن يكون رئيسا للجمهورية ، في حين ان رئيس الجمهورية الشرعي سجين ؟

قالت : يبدو انه رضي •• وقد اتصل «بعمي» والد زوجي ، عارضا عليه الاشتراك في الوزارة ، الا انه رفض •

قالت سعاد : يبدو ان الازمة ستتخذ شكلا اخر •

قلت : اخشى ان تندلع نار الفتنة في البلاد ، وان ينقسم اللبنانيون الى فئتين ، وان نخسر معركة الاستقلال •

وتمتمت آمال : لا .. لن يحدث شيء من هذا ..
ان اميل اده نفسه يطالب بالاستقلال .. وهو لم يرض بمنصب رئاسة الجمهورية ، الا بعد ان قطع له الفرنسيون وعدا بالاستقلال .

(وأدوّن هنا ما قالت آمال حرفيا ، انصافا للرجل الكبير الذي اصبح في ذمة الله ، والذي دفع تمن هفوته غاليا .

تلك الهفوة التي كانت قبوله الرئاسة في ذلك الوقت العصيب !

انني أدوّن ما قالته آمال ، ويخيل الي ان ما قالته هو الحقيقة بعينها ، لأنه لا يعقل ان يقدم رجل ذكي ، ووطني مثل اميل اده ، على خيانة بلاده) .

ومضت آمال في الحديث لتقول : « لقد لام حموي ، النائب الكتلوي وصديق اميل اده ، لقد لام اميل اده لقبوله منصب الرئاسة ، في حين تطالب البلاد بأسرها اطلاق سراح الرئيس الشرعي واعضاء حكومته ، وطلب اليه ان يخرج من السراي ويعود الى داره ، ويعلن تضامنه مع اللبنانيين ، ويطالب بالافراج عن الرئيس بشاره الخوري وجميع المعتقلين .

فكان رد اميل اده : ان الفرنسيين لن يعيدوا بشاره الخوري الى الحكم، وقد قال لي هللو انالبلاد ستتعرض لمجزرة كبيرة اذا رفضت الرئاسة ، وسيضطر الفرنسيون

في هذه الحال الى تعيين رئيس فرنسي للجمهورية اللبنانية ، والى الغاء الدستور من اساسه ، واعتبار لبنان مستعمرة فرنسية • ولذلك ، فقد وجدت نفسي مرغما على قبول الرئاسة ، كي انقذ لبنان • ان التضحية برئاسة بشاره الخوري تساوي الاستقلال اللبناني •

هذا ما قالته آمال ، ويتضح لنا جليا ان الفرنسيين خدعوا اميل اده ، وانه كان ضحية هذه الخدعة •»

وساد الصمت بيننا برهة ••

والتفت الى آمال ، بعد صمت قصير ، لأقول :

كيف علمت انني هنا ؟

قالت : من والدك •• والدك عندنا ، وقد اخبرني انك هنا ، فجئت لأصطحبك معي • تعالي •

وابيت ان اذهب معها ••

وأصررت على البقاء مع سعاد ••

ودعتنا آمال ، وقالت لي : اذا احتجت الى شيء فاتصلي بي •• انا بانتظار طلب اية خدمة يا سميرة •

وشكرتها ••

وذهبت ••

وارتدينا ثيابنا ـ انا وسعاد ـ وخرجنا الى الصالون، حيث كان ثمة جمهور غفير من الأهل والاصدقاء ، جاؤوا يعرضون خدماتهم على والدة سعاد في غياب زوجها المعتقل •

وحاولت ان اخرج مع سعاد الى الشارع ، الا ان الاصدقاء حالوا دون تحقيق محاولتنا .

وآكدوا لنا ان الخطر ينتظرنـــا في الشارع ، لان الجنود السنغاليين يمنعون كل لبناني من المرور ، ولديهم اوامر باطلاق الرصاص على كل متمرد ..

وأقمنا في الدار نترقب الاخبار ..

وكان الوافدون يحملون الينا جميع الاخبار .

فعلمنا ان الرئيس اميل اده طلب من سامي الصلح تأليف الوزارة .

ولكن سامي بك رفض وغضب ، وصرخ : تريدني ان اؤلف وزارة للفرنسيين ، ورئيس الوزارة الشرعي في السجن ؟ هل يخيل اليك انني مجنون ؟

واتصل اميل اده ببعــض الشخصيات الاسلامية ، محاولا تأليف الوزارة ، الا انه فشل .

فلم يرض احد بتأليف الوزارة من المسلمين .

كما انه لم يرض احد من المسيحيين ايضا بالاشتراك في الوزارة .

وحاولت الصحف اللبنانية نشر بعض التفاصيل عن اعتقال رئيس الجمهورية والوزراء .

كما حاول البعض الاخر مهاجمة الفرنسيين .

الا ان السلطات الفرنسية صادرت جميــع الصحف الصادرة ذاك الصباح .

واعلنت عن عزمها على اعتقال كـل صحافي يحاول التمرد على الاوامر •

وتوقفت الصحف عن الصدور •

وفجأة ظهرت في الاسواق جريدة جديدة ، لم نكن قد سمعنا باسمها من قبل، هي جريدة «الاقدام» وقد نشرت تلك الجريدة كل شيء ، عن كيفية الاعتقال ، وعن قيام الحكومة الحرة ، برئاسة حبيب ابي شهلا ، وعن استلام الامير مجيد ارسلان قيادة الثورة المسلحة •

وشنت هجوما عنيفا جدا علـى الفرنسيين ، ودعت اللبنانيين الى النضال ، والثورة ، والجهاد •

وكاد الفرنسيون يجنون ، وهم يشاهدون تلـك الجريدة بين ايدي الناس ، دون ان يعلموا لا كيف طبعت ولا اين • ولا كيف وزعت ••

وصادروا ما امكنهم مصادرته من تلك الجريدة ••

ولكن الجريدة عادت الى الصدور في اليوم التالي بصورة غريبة عجيبة •

وقد علمنا ، فيما بعد ، ان الذي اصدر تلك الجريدة هو نعيم مغبغب •

وبدأ زعماء البلاد يعقدون الاجتماعات ، ويقومون بالاتصالات ويبذلون الجهود الجبارة من اجل اطلاق سراح المعتقلين •

وكان الجنرال سبيرس ، وهو يمثل الحكومة البريطانية في لبنان ، يساعد الزعماء اللبنانيين ، لا حبا بلبنان ، بل نكاية بالفرنسيين •

الفصل السابع

.. وبزغ فجر الاستقلال

اخذ الزعماء ، الذين نجوا من الاعتقـــال ، يعقدون الاجتماعات ، ويتخذون المقررات ، ويغذون الثورة •

وكان سامي الصلـــح ، وصائب ســلام ، وحسين العويني ، وعبد الله بيهم ، وهنري فرعون ، وغيرهم من رجال البلاد يعملون على مد الثـوار بالمال ، وبالنصائح ، وبالتوجيهات •

واتخذ سامي الصلح من قصره في برج ابي حيدر مقرا لقيادة الجماهير •

وعلم الفرنسيون بالامر فغضبوا غضبا شديدا •

وفي ليل ١٣ تشرين الثاني جاء رجل الى قصر سامي الصلح ليهمس في اذنه : اهرب •

وسأله : لماذا ؟

وأجاب الرجل : انا موفد اليك من دار ابن عمك رياض الصلح . لقد علمنا ان الفرنسيين يريدون اعتقالك.

وضحك سامي الصلح ، وأجاب : لن اهرب ، انا لست بأفضل من ابن عمي رياض ، ومن بشاره الخوري.

وفي الصباح الباكر ، جاء ضابط فرنسي الى سامي الصلح ، وقال له : السيد هللو يريد مقابلتك في السراي، تفضل معي .

وتأكد سامي الصلح انهم يريدون اعتقاله .

وسار مع الضابط الى السراي ، حيث وجد هللو وبعض كبار الضباط الفرنسيين بانتظاره .

فرحبوا به ، ثم بدأ هللو الحديث معه . فسأله عن سبب عدم تعاونه مع اميل اده ، وطلب اليه ان يؤلف الوزارة .

ولكن سامي الصلح رفض باصرار ، ثم سأله هللو عن سبب ايواء بعض الثوار في داره ، وعن الاجتماعات التي تعقد في تلك الدار .

وبعد ان استمع الى اجوبة الرئيس الصلح ، قال له : ارجو ان تنتظرني في قاعة الاستقبال .

وانتظر سامي الصلح في قاعة الاستقبال زهاء ساعتين .

وتأكد من انهم سينقلونه الى السجن .

ولكنه كان مخطئا .

فقد دخل عليه ضابط فرنسي ، بعد ساعتين ، وقال له : مع السلامة .

وخرج سامي الصلح من السراي ، وهو لا يكاد يصدق انه نجا .

وكان هناك بعض الزعماء اللبنانيين ، مرتبطين بصداقة متينة مع رجال الانتداب .

الا انهم كانوا يتحلون بروح وطنية رائعة ، وبجرأة نادرة .

فاتخذوا من صداقتهم للفرنسيين وسيلة لانقاذ المعتقلين .

ومن هؤلاء : الرئيس الفرد نقاش ، الذي شخص الى قصر الصنوبر ، والثورة الجامحة تطل من عينيه ، وقال للسيد هللو : انتم على خطأ ، واذا لم تطلقوا سراح المعتقلين فورا ، فان لبنان بأسره سيثور عليكم .

ومنهم ايضا لويس زياده ، رحمه الله، الذي شخص الى السراي ، وقابل هللو وكبار الضباط ، وقال لهم : انتم تعلمون انني صديقكم ، وصداقتي تحتم علي ان انصحكم وأحذركم . لقد ارتكبتم هفوة كبيرة في تعطيل الدستور ، واعتقال الحكام . وأمامكم الان فرصة لاصلاح الخطأ . اطلقوا سراح المعتقلين فورا ، قبل ان يفوت الأوان ، ويهب لبنان بأسره الى طردكم من البلاد.

الا ان هللو وضباطه سدوا آذانهم ، واتخذوا

قرارا بعدم التراجع .

وراحوا يساعدون اميل اده على تأليف الوزارة .

في هذه الاثناء كانت انباء لبنان تذاع من جميع محطات الاذاعة العالمية .

فاصبحت مشكلة لبنان دولية .

وتدخل سفراء الدول والرؤساء ، وأركان المنظمات العالمية .

ووصلت هذه الانباء الى الحكومة الفرنسية الحرة في الجزائر ، فاتضح للجنرال ديغول ان التقارير التي ارسلها اليه هللو من لبنان كانت مشوهة .

وقرر ان يوفد الجنرال كاترو الى لبنان لتسوية القضية .

ووصل الجنرال كاترو الى بيروت .

وأخذ يتصل بالزعماء ، وبرؤساء الطوائف ، وبالاحزاب .

واتضحت الحقيقة للجنرال كاترو .

وأدرك ان ليس في لبنان لبناني واحد يقف بجانب الفرنسيين .

خلافا لما كان هللو قد ابلغه اياه ، من ان اللبنانيين ينقسمون الى فئتين ، فئة تقف بجانب بشاره الخوري ، وفئة ضده .

وبدأ كاترو اتصاله بالمعتقلين .

فأرسل بعض الضباط الى راشيا ليحضروا بشاره الخوري •

وفي ليل ١٨ تشرين كان بشاره الخوري في سيارة تقله من راشيا مع الضباط الفرنسيين الى بيروت •

وفي بيروت توقفت السيارة امام دار متواضعة في شارع سوريا •

ودخل الشيخ بشاره ليجد الجنرال كاترو في انتظاره •

ورحب الجنرال كاترو برئيس الجمهورية ، وأبلغه اسفه ، وأسف الجنرال ديغول ، لما حدث • ثم اخذ يفاوضه في تسوية القضية •

واقترح عليه ان يطلق سراحه فورا ، شرط ان تستقيل الوزارة ، ويدعى رجل غير رياض الصلح لتأليفها •

ثم تصدر الحكومة الجديدة بيانا تعتذر فيه عما حدث •

ورفض بشاره الخوري باصرار، وقال: ان الحكومة لم تقدم على اي عمل يوجب الاعتذار • ورياض الصلح لم يتصرف الا بما أملاه عليه الواجب ، وكان كل ما فعلته الحكومة منطبقا على توجيهاتي • اذا اردتم اطلاق سراحنا فسنعود كلنا الى الحكم •

واستمرت المفاوضات بين الجنرال كاترو وبشاره

الخوري حتى منتصف الليل .

وتم الاتفاق على ان يطلق سراح جميع المعتقلين ، على ان تصدر حكومة رياض الصلح بيانا لطيفا يعيد للفرنسيين اعتبارهم ، ويحفظ لهم كرامتهم .

وطلب بشاره الخوري الى الجنرال كاترو ان يجتمع برياض الصلح ، وأن يتفق واياه على نص البيان .

وقبل ان يغادر بشاره الخوري الدار دعاه الجنرال كاترو للعشاء .

وبعد العشاء ابلغه ان سراحهم جميعا سيطلق خلال ثمان وأربعين ساعة .

وعاد بشاره الخوري الى راشيا ، مع مطلع الفجر، ليجد ان جميع التدابير القاسية التي كانت قد اتخذت بحق المعتقلين قد ألغيت .

وأصبح بامكانهم الاجتماع ، والتحدث بما يريدون. فاستبشر خيرا ، وأيقن ان الجنرال كاترو صادق في كل ما تحدث به إليه .

وأطلع الشيخ بشاره رياض الصلح ، وكميل شمعون ، وسليم تقلا ، وعبد الحميد كرامي ، على ما دار بينه وبين الجنرال كاترو . فأعجبوا، جميعا، باخلاصه وبوفائه .

وراح الاثنان ، رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة بدرسان نص البيان الذي ستذيعه الحكومة ، وتعيد به

المفرنسيين اعتبارهم •

وفي اليوم التالي ، جاء ضابط فرنسي ليقابل رياض الصلح ويطلب اليه مرافقته الـــى بيروت لمقابلة الجنرال كاترو •

وسار رياض الصلح برفقة الضابط الى بيروت حيث قابل الجنرال كاترو •

وتم الاتفاق على نص البيان ، وعلى الافراج عـن المعتقلين جميعا ، ثم اعيد رياض الى راشيا •

وأقام المعتقلون على انتظار ممضّ لاهب •

انهم ينتظرون اطلاق سراحهم بفارغ صبر •

الا ان انتظارهم طال •

وانقضت الساعات الثماني والاربعون دون ان تبزغ في الأفق بارقة امل في اطلاق سراح المعتقلين •

فعاد القلق يعصف بهم ، وعادت الهواجس تقــض مضجعهم • وقد خيل اليهم ان احاديث الجنـــرال كاترو كلها كانت مخدرا ، وأن السلطات الفرنسيـــة تخدعهم ، وان سراحهم لن يطلق •

وكان يوم الاحد في الحادي والعشرين من تشرين••

في ذلك اليوم ، بلغ القلق بالمعتقلين أشده •

فكانوا يرقبون في كل لحظة ان تفتح ابواب القلعة أمامهم ، وان يعودوا الى مناصبهم ••

وانقضى النهار •

وخيم الليل على راشيا .

وغرقت القلعة الصامدة الخاشعة في الظلام الدامس الذي كان يزيد الظلام في قلوبهم ظلاما .

وتساءلوا : ماذا سيحدث ؟

ولم يستطيعوا ان يصلوا الى جواب ..

وحاولوا النوم .

الا انهم لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا .

فجلسوا يدخنون ، والقلق يخيم عليهم ..

وعند منتصف الليل ، سمعوا هدير سيارة كبيرة تتوقف امام القلعة .

ثم سمعوا وقع خطوات جنود تتكسر في اذن الليل ، وتمزق الهدوء والسكون .

ثم سمعوا رنين الهاتف .

ثم حركة غير طبيعية .. وشوشات ، وهمسات ، ووقع أقدام ..

فنظروا الى بعضهم بوجل ، وتهامسوا : ترى ماذا يحدث ؟

لم يستطيعوا الاجابة على هذا السؤال .

فاستبد القلق بهم ، وظلوا ساهرين طيلة ذلك الليل .

وفي الصباح ، علم رياض الصلح، وكميل شمعون، اللذان كانا قد اقاما مكتب استخبارات في القلعة من

بعض رجال الامن اللبنانيين ، والحراس ، والخدم ، علما ان قوة من الجنود الفرنسيين وصلت الى القلعة ليلا وعلى رأسهم ضابط شاب ،.وأرادوا نقل المعتقلين الى جهة مجهولة ، لانهم ادركوا ان الجنرال كاترو سيطلق سراحهم ، وهم لا يريدون ان يعود رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء الى مناصبهم •

واتضح ، فيما بعد ، ان بعض الضباط الفرنسيين تمردوا على الجنرال كاترو ، عندما علموا انه سيطلق سراح المعتقلين ، وحاولوا اختطاف بشاره الخوري ، ورياض الصلح ، وجميع المعتقلين •

وربما كانوا عازمين على اغتيالهم •

ولكن الخبر وصل الى الجنرال كاترو قبل فوات الأوان ، فأوفد قوة الى راشيا اعتقلت هؤلاء الضباط وحالت دون تنفيذ خطتهم الاثيمة •

* * *

كانت هذه الحوادث تجري دون ان نعلم شيئا منها•

وكانت بيروت لا تزال مضربة •

واللبنانيون ثائرون •

والجنود السنغاليون يحتلون بحرابهم ، وبنادقهم ، ورشاشاتهم ، ودباباتهم شوارع بيروت وساحاتها

واحياءها •

وقطعت المواصلات بين بيروت والقرى اللبنانية ، لأن الفرنسيين خشوا ان يزحف الجبل الى بيروت ، وتندلع ثورة لاهبة حمراء ، لا يستطيعون اخماد سعيرها •

وكان الفرنسيون قد اتخذوا قرارا بشن هجـــوم عنيف برا وجوا على بشامون ، واعتقال الامــير مجيد ، وحبيب ابو شهلا ، وصبري حماده ورجالهم ، واحراق بشامون بأسرها ، اذا لزم الامر •

لانهم كانوا يريدون القضاء على الحركة الوطنيــة قضاء مبرما •

وبالفعل ، بدأت قوة من الجنود السنغاليين ، ومن الضباط الفرنسيين بالزحف على بشامون ، يرافقها عــدد من الطائرات الحربية •

وقطعت الطريق بين بيروت وبشامون •

وانقطعت بالتالي اخبار حكومة لبنان الحرة عنا ، فلم نعد نسمع شيئا عنها •

ولم نعد نعلم ماذا حل بالثائرين المعتصمين فيأحراج بشامون •

وكنت انا اتنقل من دار صديقتي سعاد عبود الىدار صديقتي آمال نصري زوجة سامي مسعود نجــل النائب الكتلوي ، حيث يعتصم والدي ، الى دارنا حيث تقيــم والدتي •

وكنت قلقة على اخي غسان وعلى حبيبي جهاد عبود اللذين كانا قد التحقا بالثوار في بشامون ، وقد انقطعت عنا اخبارهما .

وكانت والدتي شديدة القلق على اخي غسان .

كما ان والدة جهاد كانت قلقة على ابنها الثائر ، وعلى زوجها المعتقل .

واشتد القلق بنا جميعا ، عندما علمنا ان الجنود الفرنسيين يزحفون الى بشامون .

وكان علينا ان نفعل شيئا .

فوثبت الى صديقتي سعاد لأقول : هل نظل هنا في الدار ، في حين ان اخواننا يتعرضون للموت ؟

يجب ان نفعل شيئا يا سعاد .

وهمست سعاد ، والقلق يستبد بها : ماذا سنفعل يا سميرة ؟ ماذا تريديننا ان نفعل ؟

قلت : فلنشخص الى دار رياض الصلح ، او الى القصر الجمهوري ، او الى بيت الكتائب نستطلع الاخبار. ونقوم بما يفرضه علينا الواجب الوطني من تضحيات وبذل .

قالت سعاد : ارى الحق بجانبك يا اختي ، تعالي.

وخرجنا من الدار .

وسرنا على الاقدام الى دار رياض الصلح في رأس النبع .

وكانت تلك الدار حزينة كئيبة ، يحيط بها الجنود الفرنسيون ، ويفتشون الداخلين اليها والخارجين منها •

وأوقفنا جندي سنغالي ، وقد اقتربنا مـن الباب ، وزأر بالفرنسية : قفا •

وتوقفنا • فاقترب منا وحربته موجهة الينا ليقول : من انتما •

وقلت له : انا نسيبة رياض الصلح ، وهذه اختي •

وأفسح الطريق أمامنا ، وابتعد عنا •

ودخلنا الى الدار ، فوجدنا هناك بعـض الزعماء اللبنانيين ، وبعض الشبان والنساء •

وشاهدنا السيدة فايزة ، عقيلة رياض الصلح ، جالسة بين بعض النساء البيروتيات ، كما شاهدنـا بناته علياء ، ولمياء ، ومنى ، وكن في حالة غضب شديد • لم يكـنّ خائفات ، بل كن غاضبات •

وصافحنا السيدة فايزة ، وهي تعرفنا ، وسألناهـا عن الاخبار •

فأجابت : ليس من جديد •

قلت : لقد علمنا ان الجنود الفرنسيين يزحفون الى بشامون •

قالت : لقد وصل الخبر الي ، وأوصلته الى الجنرال سبيرس •

قلت : وأخبار المعتقلين ؟

قالت السيدة فايزة : لقد علمنا ان الجنرال كاترو يعمل على حل الازمة ، هذا كل ما وصل الينا يا ابنتي .

وأقمنا في دار رياض الصلح زهاء ساعة ، شاهدنا خلالها كبار رجال وسيدات البلاد يدخلون الى تلك الدار مؤاسين السيدة فايزة ، وعارضين عليها خدماتهم .

ثم خرجنا لنتجه الى القصر الجمهوري ، سيرا على الاقدام .

ووصلنا قرب القصر الجمهوري ، فاذا بالجنود السنغاليين يقطعون علينا الطريق .

وحاولنا التقدم في الطريق المليء بالجنود ، والذي تحتله الدبابات ، فاعترض ضابط فرنسي طريقنا ، وقال: ممنوع .

قلت : نريد ان نصل الى القصر .

قال : من انتما ؟ ولماذا تريدان الوصول الى القصر؟ وماذا تحملان ؟

وهدرت سعاد ، وقد استبد بها الغضب : هل تجد معنا البنادق والقنابل والحراب ؟ نحن صديقات كريمة رئيس الجمهورية الآنسة هوغيت ، ونريد ان نزورها .

ولم يجب الضابط الفرنسي بحرف ، بل أدار ظهره لنا وسار في طريقه .

فتابعنا سيرنا نحو القصر .

وشاهدنا المطران مبارك يخرج من القصر تحيط به

الجماهير .

وكان القصر الجمهوري يزدحم بالجماهير .

كان هناك بعض النواب .

وكان بينهم نواب من الكتلة الوطنية .

وكان هناك الفرد نقاش ، ولويس زياده ، وسامي الصلح ، وصائب سلام ، وسعدي المنلا ، وهنري فرعون، ويوسف السودا ، وبعض رجال الدين ـ مسيحيين ومسلمين ، ودروز ـ وكان هناك ايضا عدد من سيدات لبنان ، عقيلات وزراء ونواب وشخصيات كبيرة .

واخترقنا الجماهير الى الداخل .

ووصلنا الى الصالون لنشاهد السيدة لور عقيلة رئيس الجمهورية ، رحمها الله ، وابنها الشيخ خليل ، وابنتها الآنسة هوغيت .

وأسرعت هوغيت الينا والدموع في عينيها .

وقالت لسعاد : هل علمتم شيئا عن مقر والدك ؟

وردت سعاد : لا ، ابدا ، لقد جئنا اليكم لنستطلع الاخبار .

قالت : لقد اتصلنا منذ برهة بالجنرال سبيرس ، فقال لنا ان الحال ستهدأ خلال ثماني وأربعين ساعة ، وان الجنرال كاترو توصل الى حل هذه الازمة .

قلت : أيكون الجنرال سبيرس متيقنا من ذلك ؟

قالت : يبدو انه متيقن .

قلت : هل علمتم ان قوة من الجيش الفرنسي تزحف الى بشامون ؟

قالت : أجل ، وقد امر الجنرال كاترو هذه الكتيبة بالعودة أدراجها الى بيروت .

فارتحت بعض الارتياح .

وقلت : هل انت متأكدة من ذلك يا هوغيت ؟

قالت : كل التأكيد . لقد شخص اخي صباحا الى مقر الجنرال سبيرس واطلعه على الامر ، فاتصل الجنرال سبيرس بالجنرال كاترو ، وسأله عن حقيقة ذلك النبأ . وقد اتضح ان الجنرال كاترو لم يكن على علم بذلك . وعندما علم بالنبأ ، اصدر اوامر مشددة الى القيادة باسترجاع هذه القوة ، واعادتها الى ثكناتها في بيروت .

وشعت الابتسامة على شفتي : الحمد لله ، لقد اصبح جهاد في مأمن من كل شر .

وعدنا أدراجنا الى دار سعاد .

وكانت الفرحة تطل من عيني ، بعد ان تأكدت ان ثوار بشامون ، وبينهم اخي غسان ، وحبيبي جهاد ، والاستاذ نسيب شهوان ، وغيرهم من الاصدقاء ، قد اصبحوا في مأمن من رصاص وقنابل الفرنسيين .

ولم اكن اعلم ان هناك مفاجأة رهيبة تنتظرني في دار سعاد .

ووصلنا الى الدار – دار سعاد – فاذا بجمهور

غفير يحتل غرف وممرات وحديقة تلك الدار .

ودخلت مع سعاد لنجد والدتها جالسة بين بعض السيدات والدموع تتدحرج على خديها ، والهلع يطل من عينيها ، وهي تتمتم : ارجوكم اخبروني ماذا حل به ؟ اين هو الان؟ اريد ان اراه . ارجوكم، ارجوكم ، ارحموني، ارحموا قلبي . انا ام ، اريد ان ارى ابني ، اخبروني الحقيقة : ماذا اصابه ؟ ماذا حل به .

ووجمت ، وانا اسمع تمتماتها .

انها تتحدث عن ابنها ، عن جهاد .

ما به جهاد ؟

ماذا اصابه ؟

ماذا حل به ؟

ماذا دهاه ؟

ووثبت سعاد الى امها تسألها : ماذا جرى ؟

وهمست امها : لا اعلم يا ابنتي ، لا اعلم ماذا حل بأخيك ، لقد قالوا لي انه جريح ، وأنهم نقلوه الى المستشفى ، سليهم انت علهم يخبرونك الحقيقة .

واشتد الذعر بي ، وانا اسمع كلامها .

ولم اعد اقوى على الوقوف ، وشعرت بركبتي تكادان تهويان بي .

فألقيت بجسدي الواهي المضطرب على مقعد قريب .

في حين التفتت سعاد الى احدى السيدات تسألها :
ما به جهاد ؟

وردت السيدة : لقد اصيب بجرح بسيط ، ونقلوه الى المستشفى .

وتمتمت سعاد : اي مستشفى ؟

وقلبت السيدة شفتيها ، وهزت كتفيها ، وهمست :
لست ادري !

وهوت سعاد على مقعد قريب من والدتها ، وهي خائرة القوى ، تائهة النظرات ، وكأنها ادركت ان اخاها في خطر .

وكان علي ان استطلع الخبر اليقين بنفسي .

فجاهدت ، وأجهدت النفس ، واستطعت ان انهض وأسير بضع خطوات الى اخر الصالون ، حيث كان يقف خليل ابو جوده ، وموسى مبارك .

واقتربت من الاستاذ خليل ابو جوده اسأله : ماذا حدث يا استاذ خليل ؟ وماذا اصاب جهاد ؟

وأمسك الاستاذ خليل بيدي ، وسار بي الى غرفة الطعام ، وهمس : سأطلعك على الحقيقة ، ولكن لا تخبري امه الان .. سنخبرها تدريجيا .. لقد قلنا لها انه مصاب بجرح بسيط ، وانه في المستشفى .. وبعد قليل سنقول لها انه في خطر .. ثم نخبرها بأنه مات .

مات ؟

جهاد مات ؟

وسقطت على كرسي قريب ، وأنا ارتجف كأنني ورقة في مهب الرياح ..

وتابع خليل ابو جوده كلامه ، ليقول : نحن حتى الان لم نخبر احدا من اهله، لئلا تهزهم الفاجعة ، وتقضي عليهم . اما الغرباء فقد علموا الخبر الدامي .

الغرباء ؟

انا غريبة ؟

انني أقرب المقربين إليه ..

وشعرت بالالم يعصر قلبي ، ويشدني الى جهاد .. الى روح جهاد .. الى القبر ..

ولم استطع النطق بحرف .

لم استطع ان اهمس بكلمة .

لم استطع ان ابكي .

لقد كنت كعصفور ضعيف اصابته نار الصياد ، فألقته صريعا فوق التراب ..

ومرت بي ثوان هائلة وأنا بين الحقيقة والخيال ، احاول ان اكذب ما اسمع ، فلا استطيع ..

وأخيرا استطعت ان اسكب الدموع ..

وأجهشت بالبكاء .

ووجم خليل ابو جوده ، وهو يشاهدني على تلك الحال .

وأدرك الحقيقة المؤلمة الدامية الرهيبة •

فأمسك بيدي يشدها ويهمس متسائلا : أتحبينه يا سميرة ؟

ولم استطع ان اجيب بحرف، بل مضيت في ذرف لدموع الغزيرة ، والحزن الشديد يعصف بحنايا روحي رقلبي ••

وراح خليل ابو جوده يوآسيني ، محاولا تخفيف وقع الكارثة علي •

وهمس : سميرة ! كوني عاقلة •• البكاء لن يجدي نفعا •• يجب ان تكوني شجاعة ، وان تجابهي العواصف والرياح بثبات واقدام • تشجعي يا سميرة •• تشجعي يا صديقتي •

انه يطلب الي ان اتشجع وان اصمد في وجـــه العواصف والرياح ••

يطلب من زهرة صغيرة ندية ان تصمد امام سنابك الخيول ••

يطلب من لهاث شمعة هزيل ان يصمد امام العاصفة الهوجاء ••

انه يطلب المستحيل •

الفاجعة ستقضي علي •

لن استطيع الحياة بعد جهاد •

ومرت دقائق قليلة قبل ان استطيع النطق بحرف •

وراح خليل ابو جوده يمسح دموعي بمنديله ، وهو يتمتم كلمات التعزية ، والمؤآساة ، والتشجيع .

والتفت اليه بعد دقائق رهيبة لأقول : كيف مات جهاد ؟

قال : كان قادما من بشامون الى بيروت في مهمة سرية ، يبدو ان الثوار اوفدوه الى بيروت لمقابلة احد الزعماء، وفاجأه السنغاليون فيغابة فأنذروه بالاستسلام، الا انه لم يستسلم ، بل حاول العودة أدراجه .. ولحقوا به .. وآمطروه بوابل من الرصاص فخر صريعا ، شهيدا من شهدائنا الابرار .

وهمست : اين هو الان ؟ اريد ان اراه ؟ اين هي جثته ؟ اريد ان اتودع منها .

قال : في المستشفى العسكري .

واذا بسعاد تقترب منا .

وشاهدتني أذرف الدموع ، فذعرت .

ووثبت الي تهزني صارخة : لماذا تبكين يا سميرة ؟ هل مات جهاد ؟ هل مات اخي ؟

وفتحت لها ذراعي ، فارتمت بينهما .

وأجهشنا بالبكاء .

***

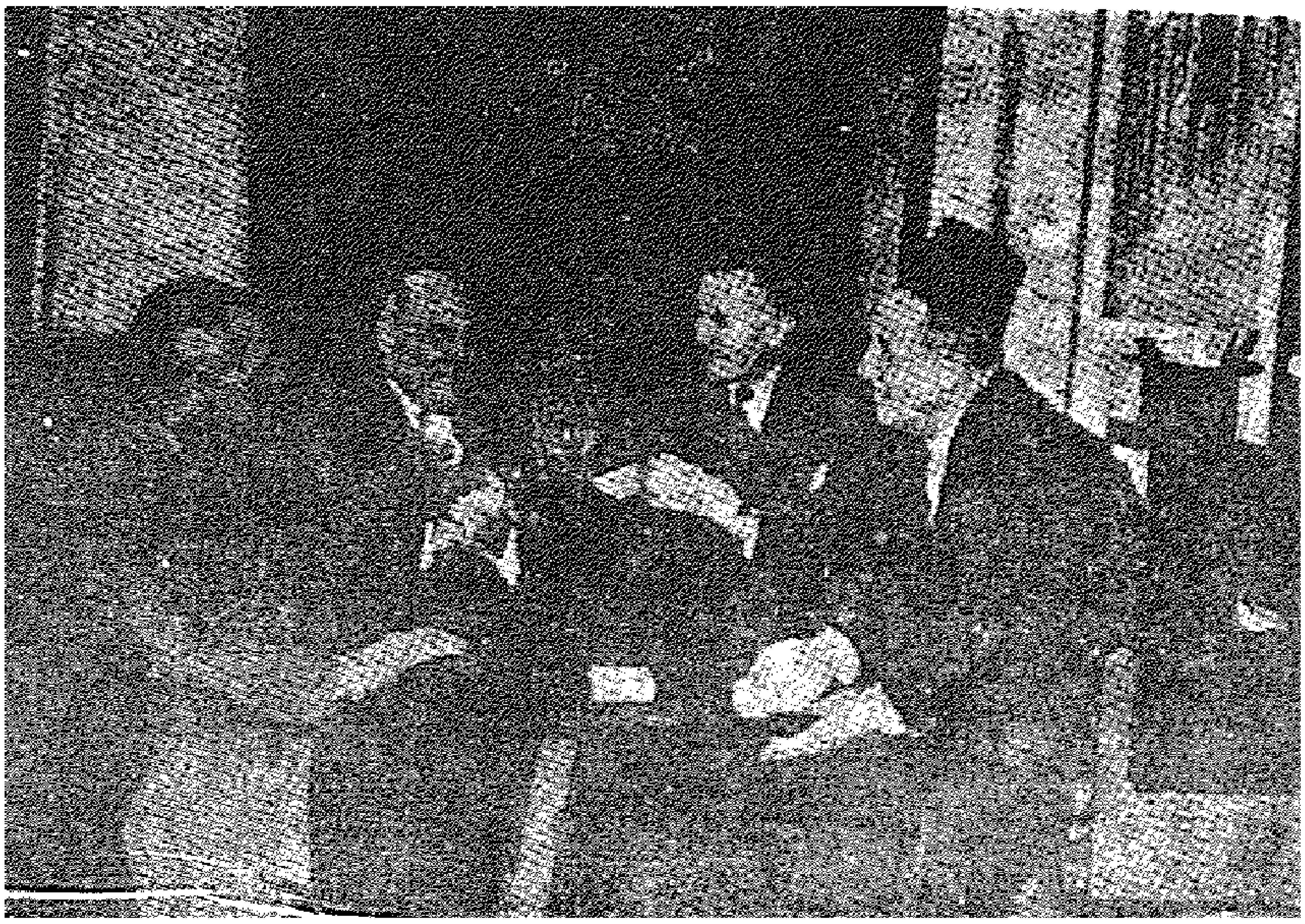

من اليسار الى اليمين : الجنرال كاترو ، بشـــاره الخوري ، ايف شونتينيـــو ورياض الصلح في احـــد الاجتماعات التي سبقت منح الاستقلال .

وكان المأتم ، مأتم جهاد .

كان مأتما وطنيا كبيرا ، بل هو كان تظاهرة اشترك فيها جميع الزعماء الوطنيين .

الكل ، الا والده الذي كان لا يزال معتقلا .

ولن أصف حال امه وأخته ، تلك الأم التي فقدت ابنها ، وتلك الأخت التي قص القدر جناحها .

وماذا اقول أن انا حاولت وصف حالتهما المؤلمـــة المحزنة التي تفتت الاكباد ؟

اما انا فقد شعرت بأنني اصبحت بـــلا قلب ولا

روح ، وانا اشاهد جهاد يدفن في التراب •

في تلك الساعة ، ساعة دفـــن جهاد في التراب ، شعرت بان قلبي دفن معه •

وهو لا يزال دفينا حتى اليوم •

***

بعد يومين ، يومين فقط ، اطلق سراح المعتقلين •

وزحفت الجماهير اللبنانية تستقبلهم بحماس ، وهم يحملون العلم اللبناني الجديد ، (علم احمـر الجانبين ، يتوسطه الابيض ، وقد رسمت عليه الارزة عوضا عـن العلم السابق، وهو نفس العلم الفرنسي تتوسطه الارزة)•

ودخل المعتقلون بيروت بتظاهرة كبرى لم يشهـد مثلها لبنان •

وكان الجنرال كاترو في استقبالهم ايضا •

ووقفت انا على شرفـــة دارنا اشاهـــد مواكب المتظاهرين تزحف كالامواج نحو البرلمان ، والدمـــوع تنهمر على وجنتي بغزارة •

ومن خلال هتاف الجماهير ، وأصواتهم المرتفعـــة الداوية ، كنت اسمع صوت جهاد •

اسمع تلك الكلمات التي سمعتها منه للمرة الاخيرة قبل ان يلتحق بالثوار :

«سميرة ! انا سأعود ، صلي من اجلي ، ومن اجل المعتقلين ، ومن اجل الثوار •• ومن اجل لبنان» •

وها انا الان اصلي •

وسأظل اصلي من اجلك يا جهاد •

من اجل راحة نفسك الطاهرة •

ومن اجل لبنان •

مؤلفات الاستاذ بيار روفايل
القصص العاطفية

الأرض العذراء
الأمل الصريع
انا خاطئة
بين نارين
حسناء بغداد
خبز ودمع
خذ قلبي ودعني
دموع الأرز ٢/١
دموع العذارى
دموع لا تجف
زنبقة في الوحول
سرّ الراهبة
صرخة الاستقلال
صقر الصحراء
ضاع عمري
طريق الدموع
ظلمتني يا قلب
غادة دمشق
في مهبّ الرياح
القلب الأخضر
لا تلمني
لن يعود

ماذا فعلت بقلبي
معقل النسور ٢/١
ملائكة في الجحيم
من اجل عينيك

نار في الجنوب
هل تذكرين
وحدي مع الليل.

تطلب من دار الجيل

قريباً في الأسواق

قصة

الأمل الصريع

تصدر

عن

دار الجيل